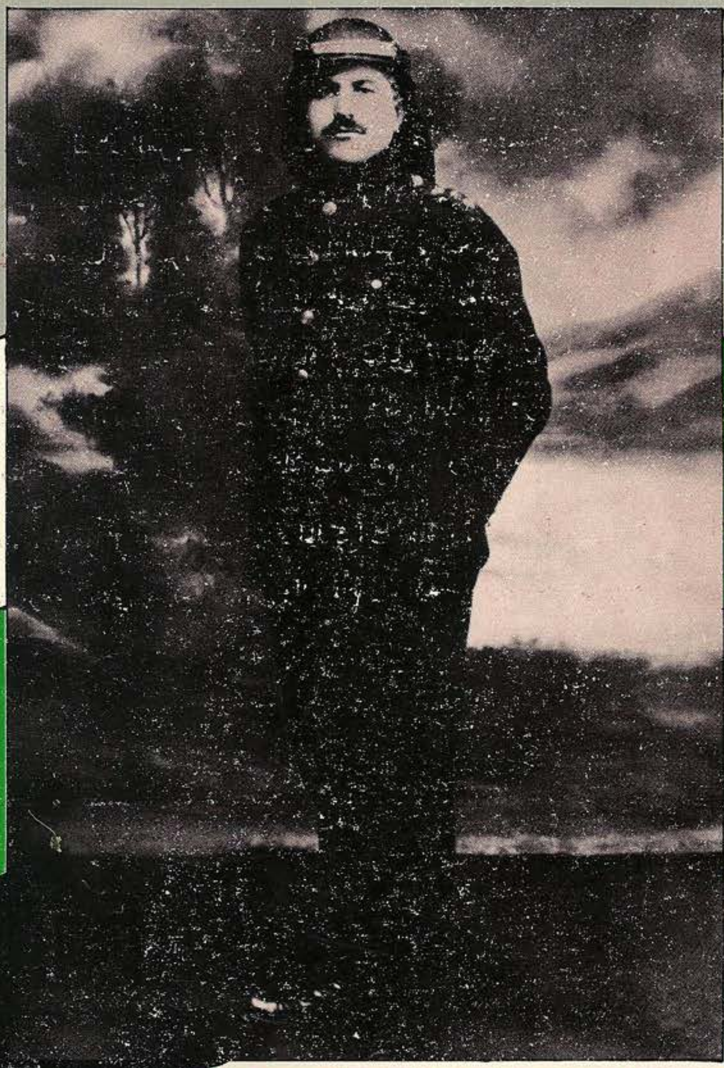
صفحة من الأيام الحمراء

مُذكرات القائد سَعيد العَاص

١٨٨٩ـ ١٩٣٦



المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

صفحة من الأيام الحمراء
مُذكَرات القائد سعيد العَاص ١٨٨٩ـ١٩٣٦
المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

لماذا هذا الكتاب

لقد مرت البلاد العربية في فترات عصيبة عانت فيها الكثير من عنت الحاكم وظلم المستعمر ابان الحكم العثماني والاستعمار الافرنسي والانكليزي ، فكانت ثورات وانتفاضات وعصيان وتمرد شارك فيها أناس لم يبخلوا ببذل ارواحهم في سبيل أوطانهم ، وكان احد هؤلاء جدي القائد محمد سعيد العاص الذي ثار على الفرنسيين والانكليز وحاربهم ولم يبخل على الجهاد في سبيل فلسطين والاستشهاد فيها ، ثم ما سوريا وفلسطين والأردن والعراق وكل بلد ينطق اهله بالعربية ، أليست جميعاً وطن العاص وامثاله من المجاهدين الذين كان شعارهم وما زال « بلاد العرب اوطاني » .

وبعد ، فلعل في إعادة نشر هذه المذكرات حافزاً للجيل الطالع والأجيال اللاحقة على اكمال الرسالة التي بدأها العاص والقسام والقاوقجي والعظمة وغيرهم .

المهندس سعيد الترك

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير
ت ٨٠٧٩٠٠/٨٠٧٩٠٠ برقياً « موكيالي »
بيروت - ص. ب ١١/٥٤٦٠ بيروت
تلكس : LE/DIRKAY - ٤٠٠٦٧

صفحة من الأيام الحمراء

مذكرات القائد سعيد العاص

١٨٨٩ـ ١٩٣٦

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

صَفْحَةٌ مِنَ الأَيَّامِ الحَمْرَاء

مُذكَرات القائِد سَعيد العَاص

١٨٨٩ـ ١٩٣٦

المؤسّسة العربيّة
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير ـ
ت ٨٠٧٩٠٠/١ برقياً « موكيالي »
بيروت ـ ص.ب : ٥٤٦٠/١١بيروت
تلكس : LE/DIRKAY ـ ٤٠٠٦٧ .

الطبعة الأولى ١٩٨٨

لماذا هذا الكتاب

لقد مرت البلاد العربية في فترات عصيبة عانت فيها الكثير من عنت الحاكم وظلم المستعمر ابان الحكم العثماني والاستعمار الافرنسي والانكليزي ، فكانت ثورات وانتفاضات وعصيان وتمرد شارك فيها أناس لم يبخلوا ببذل ارواحهم في سبيل أوطانهم ، وكان احد هؤلاء جدي القائد محمد سعيد العاص الذي ثار على الفرنسيين والانكليز وحاربهم ولم يبخل على الجهاد في سبيل فلسطين والاستشهاد فيها ، ثم ما سوريا وفلسطين والاردن والعراق وكل بلد ينطق اهله بالعربية ، أليست جميعاً وطن العاص وامثاله من المجاهدين الذين كان شعارهم وما زال « بلاد العرب اوطاني » .

وبعد ، فلعل في اعادة نشر هذه المذكرات حافزاً للجيل الطالع والأجيال اللاحقة على اكمال الرسالة التي بدأها العاص والقسام والقاوقجي والعظمة وغيرهم .

المهندس سعيد الترك

الإهداء

أقدم كتابي هذا وهو صفحة من صفحات « حروبنا الدامية ومن أيامنا الحمـراء » باسم الذين خرّوا صرعى ، في ميادين حروب سورية وفي نكبـاتها ، من أطفـال ونساء ورجال .

وباسم الشهيدة عقيلتي وطفلتها ، لأنهما كانتـا سبباً لاخـراج كتابي هـذا إلى حيّز الوجود ، وارجو من الله تعالى أن يتغمّد شهيداتنـا وشهداءنـا بالـرحمة والغفـران ، وأن يكون من تضحيات شهدائنا درس عظة وعبرة للأنسال المقبلة ومن الله التوفيق .

قائد المنطقة الشمالية بحروب سوريا المقدسة

محمد سعيد العاص

تقديم

عوامل الثورات

غني عن البيان أن الثورات تابعة لنواميس اجتماعية معينة ، وهـذه النواميس لا تعدو كونها مقاييس تتطور بحسب البيئة والتاريخ والتقاليـد وذهنية الشعـوب والعادات والثقافة والوضع الجغرافي وحالة الشعب الاجتماعية ، وأكثر ما تكون تابعة لعوامل مادية ومعنوية .

ومن أهم العوامل المادية الباعثة على انفجار الثورات ، إرهاق الشعوب المحكومة بالضرائب الفادحة ، والغرامات الباهظة ، والاستعانة بالأجانب والدخلاء وإهمال أبناء الـوطن واضطهـاد الأحرار وتشـريدهم ، واستثمـار موارد البـلاد ومرافقهـا الحيويـة ، وتشجيع المدارس الأجنبية والوقوف في وجه المدارس الوطنية ، لخنق الروح القومية وقتل روح الحرية . ولا ننسى الشركات الأجنبية التي تستحوذ على الامتيازات العـامة وتنفيـذ المشاريع المربحة واستثمار ثروات البلاد ومعادنها بشكل لا يتلاءم ومنفعة البلاد . زد على ذلك ما آلت إليه البلاد من تجزئتها لـدويلات عمـلاً بشعار الاستعمـار المشهور (فـرق تسد) .

وأمـا العوامـل المعنويـة فإنها تختلف بـاختلاف ثقـافة الشعـوب وميولهم القـومية ورغائبهم . فالحكومات المستعمـرة لا تألـو جهداً في اضـطهاد الأمم المحكـومة وطمس مجدها الغابر ، وقتـل روح الوطنيـة والثورة والاقـدام ، وتدنيس المقـدسات ، والعبث بالتقاليد والعادات ، وسن قوانين لا تتماشى وحالة البلاد الاجتماعية والدينية والتراثية ، والسعي لصهر أهلها في بوتقة ثقافة المستعمر لإرضاخه والهيمنة عليه ، وتعديل برامـج التعليم حسب أهواء المستعمرين ورغباتهم وحرمان أهل البلاد من حقوقهم الطبيعية ، والسيطرة على شؤونهم السياسية لتصبح مقدرات الوطن في يد المستعمر كرةً يقذفها حيث يشاء .

وإذا تصفحنا تواريخ الشعوب التي استعمرت منذ فجر التاريخ لرأينا أن أهداف المستعمر في جميع الأدوار التاريخية واحدة ، وهي إذلال الشعب ، وتقطيع أوصال البلاد ، فحين احتل الافرنسيون سوريا وأخرجوا مليكها الشرعي المرحوم الملك فيصل حليفهم بالأمس ، أرادوا أن يجعلوا من سوريا مستعمرة (كالماروق) ، فسعوا لتطبيق أساليب استعمارهم تحت ستار ما أسموه الانتداب ، فقسموا البلاد الى دويلات . واستنزفوا أموال الشعب ، وأبدلوا الذهب بالورق ، وخلقوا في البلاد نعرات مذهبية وجنسية ودينية ، ولم يراعوا حالة المحيط السوري الراقي ، وهيمنوا على المشاريع العامة ، فأفقروا سوريا ، وعبثوا بمقدساتها ، وأهانوا زعماءها وسعوا لقتل الروح القومية التواقة لاعادة مجد الأمويين ، واحتلوا سوريا عسكرياً ، فألفوا فيها جيشاً قوامه المتشردون الأفاقون ، وحكموا البلاد عسكرياً ووضعوا الغرامات الباهظة على البلاد وقتلوا اقتصادياتها ، والسوري بفطرته تاجر ، فأماتوا تجارته ، وداسوا كرامة الشعب السوري الباسل ، وتساهلوا في حدود بلاده . من هنا كانت انتفاضة السوري ورفض حكم الغاصب المعتدي ، فثارت فيه عزة نفسه وأبى أن يرضخ للحاكم الطاغية وهكذا لم يكن احتلال سوريا غير وبال على الإفرنسيين ، فقد ثار أهلوها أكثر من مرة . ومنها ثورة العلويين وثورة الشيخ صالح ، وثورة القنيطرة الفاعور ، وثورة بلاد الشمال جسر الشاغور ، والجوم في شمالي حلب طليعة هذه الثورات منذ عهد فيصل الأول ، فثار الفاعور والشيخ صالح وصبحي وبركات والعاص وعاصم بك وحسن بك الحلبي وعلي خلقي بك . كما أن الزعيم إبراهيم بك هنانو كان ثائراً تشهد على ذلك ثورته المشهورة مع زميله صبحي بك وعقبتها ثورة كراين الأدبية ثم ثورة سلطان الأولى لأجل ضيفه ثم الثورة الكبرى على أثر امتهان كاربيه كرامة الزعماء .

لقد ثارت سوريا على الظلم والاستبداد فكانت القدوة في إذكاء روح الوطنية والتضحية والإقدام .

والثورة كما يقول اللورد كرومر :
لا تحدث في مملكة من الممالك إلا بسببين : الظلم والفقر .

٨

ثورة حماة

بقلم بطلها فوزي القاوقجي

عندما كلفت الدخول في الجيش الافرنسي ، وجدت الفرصة ملائمة لانزال الضربة التي كنت أتخيلها ، بالافرنسيين، على أن تكون هذه الضربة ذات مفعول قوي ، من حيث نتائجها الأدبية والمادية . وأن تكون على شكل يحرك حماس الشعب ويزيل الأوهام التي أخذت تثبت في أدمغتهم بقوة فرنسا وقدرتها وأن تكون فجائية تأتي من حيث لا ينتظرونها ، حتى تضمن النتائج المطلوبة . ولهذا كان يجب إحراز ثقة الافرنسيين من جهة ، وثقة الشعب من جهة أخرى ، ثم تحري الفرص المناسبة .

أما ثقة العدو فقد تمت بما أظهرته من الفاعلية العظيمة ، وأما ثقة الشعب فقد ضمنت بما بذلته لحماية المصالح والحقوق والدماء التي كانت دوماً هدفاً للهدر ، ثم تقوت بواسطة التشكيلات التي بدأت بها عن طريق رجال الدين ، والتي بفضلها نفذت إلى الشعب وأتممت تشكيلات حزب الله الذي ربط به قسم عظيم من سواد الشعب في حماة وخارجها بعهود دينية متينة .

وكان لانتصارات عبد الكريم البطل على الاسبان ، واستعداد المارشال ليوتي للاشتباك بالبطل الريفي الأمل بقرب ساعة الفرصة المنتظرة . وأخيراً اشتبك الافرنسيون مع عبد الكريم ، وكانت الفرصة سانحة عقبتها أعمال الافرنسيين الطائشة في الجبل الذي ولدت قيامه ، فاتسع المجال أمامي بزيادة ثقة الافرنسيين الاضطرارية من جهة ، وبنشاط الحزب وحماسه من جهة أخرى .

اتصلت ببعض الزعماء في دمشق (لا يمكنني ذكر أسمائهم) فيما إذا كانوا مستعدين للثورة أو للاشتراك أو إذا كان عندهم شيء من هذا القبيل لتوحيد الأعمال ، فأجابوا بأنهم ما فكروا بهذا الموضوع قط . وإنهم يرونه مضراً جداً بمصالح سوريا .

٩

قررت البدء بتشكيلاتنا وحدها فقط . وقد وسعتها حتى شملت البدو أجمعهم تقريباً ، ومن المدن حمص وبعلبك والمعرة ودير الزور ، ثم سرت الى وحدات الجيش السوري حتى شملت مراكز القريتين وتدمر ، وحمص وحماة . والذين اشتركوا في حلف القسم الديني والشرف من الضباط كانوا كثيرين جداً وهؤلاء من الجيش السوري ومن الدرك والشرطة ، وعينّ لكلّ منهم واجب خاص بجنود يستميلها بتدبيره وحسن تأثيره ، واثارة النخوة الوطنية والدينية في نفوسهم . ثم أخذت أتجول متذرعاً بشتى الحجج بين كل مراكز هذه الوحدات وأتصل ، بواسطة الضباط ، بالجنود وآخذ منهم اليمين . وكنت ألمس لديهم الحماس المتدفق والغيرة الملتهبة . ثم انتقلت إلى رجال الوظائف الملكيين (المدنيين) ، فوجدت الكثير منهم قد أدى اليمين والتزم العهد وعينت لهؤلاء جميعاً واجباتهم التي سيتمرسون بها بعد إعلان الثورة .

أما البدو فتمكنت من إقناعهم بلزوم الاشتراك ، وذلك بعد أن أثبت لهم استعداد الجيش كله لهذه الثورة التي تنقذ بها البلاد من الافرنسيين ، ثم بالوعود المادية الخلابة ، وبرفع الضرائب عنهم ، ثم بالوعيد أن أسلط عليهم الجيش الثائر ونجعلهم هدفاً لنا عوضاً عن الجيش الإفرنسي إن لم يشتركوا . وبعد تجوال دام نحو ٢٠ يوماً تقريباً ، تمكنت من أخذ « مضابط » من أكثر الشيوخ البدوية وكذلك فرضت على كل شيخ مقدار المقاتلين من المشاة والفرسان ـ حسب قدرة القبيلة ـ الذين يجب احضارهم ، وبعد اشتراكه بالثورة يتناول كل شيخ راتبه وراتب جنوده ، وأخذت المضابط الموقعة من هؤلاء على هذا الموضوع ، وجعلت الوعد بيني وبينهم نيراناً تندلع في مدينة حماة ولدى رؤيتها يتوجهون للأماكن التي تقرر تجمعهم فيها .

ولقد نظمت هيئة حكومية تدير البلاد اعتباراً من ثاني يوم الثورة والتي تكون لها ميزانيتها من أموال الحكومة والبنوك التي تدخل في حوزتنا والتي اتخذت لها التدابير الأكيدة ، وقد اشترك في وظائف هذه الحكومة كثير من الأشخاص البارزين الذين لا يمكن ذكر أسمائهم اليوم .

وبعد ما تمت كل هذه الترتيبات ، لم يبق إلا تعيين اليوم الذي تبدأ فيه الثورة . وتعين هذا اليوم على أن يكون ١٢ ربيع الأول أي يوم مولد الرسول الأعظم . وكانت حملة الجنرال غاملن في هذه الأيام تتوغل في الجبل بموفقيات متتابعة ، وكان الموقف

يتطلب السرعة في الشروع لأن ثقل الجيش الإفرنسي كله كان في الجبل وفي الجنوب ولم يكن عندهم ما يشغل البال من القوة في الشمال . والخوف الوحيد هو أن ينجح الجيش في أعماله في الجبل وتخمد الثورة بسرعة ويستقر الأمن ثم يفرز قواه الزائدة إلى الشمال ، عندها يتعسر كل شيء . لذلك كان يوم المولد موعداً مناسباً جداً . فخرجت قبل هذا اليوم إلى البادية بحجة مراقبة قبائل العمارات الآتية من العراق وتطمين أهل القرى وحمايتهم من تعديهم عليهم ، لكي لا يحدث أي حادث يشوش أعمال الجيش الافرنسي في الجبل ، ويعرقل أعماله في الحصول على الظفر السريع . فكانت هذه الفكرة معقولة جداً ، ووجدت استحساناً وتشجيعاً في تطبيقها من قبل المستشار . فخرجت وتركت المفرزة تسير في الوجهات التي أقررتها لها ثم انطلقت بالسيارة إلى مشايخ القبائل الذين عاهدوا على العمل لكي أوثّق معهم العهود تحضيراً للعمل القريب . وكنت كذلك أتصل بالذين عاهدوني من المدن في قرى قريبة من حماة ، وندخل بعض التعديلات على أساسات الحركة وذلك تلبية لمطاليبهم كي لا تتأخر الحركة . وبالنتيجة كان اجتماع (. . .) وكان قرار دخول حماة ليلة المولد ، والكل على أهبة العمل الكامل ، خاصة الجيش والدرك والشرطة . فتركت المفرزة في (. . .) وأخذت قسماً من الجنود بالسيارة ودخلت حماة الساعة ١٠ بعد الظهر عربي ، واجتمعت مع الرؤساء ، وطلبت أن يأتوا مع رجالهم إلى الأماكن التي قررتها لهم . ثم أرسلت مفارز صغيرة لقطع المخابرات التلفونية داخل حماة وما بين حماة وخارجها ، ومفارز أخرى لمحاصرة دور ضباط الأفرنسيين لمنع اتصالهم بقطعاتهم ، والقبض عليهم كي يكونوا رهائن عندنا نفتدي بهم عند الحاجة بعضاً من رجالنا المهمين ، وكان الموعد للانتهاء من الاجتماع الساعة ١٢ موعد مباشرة هذه المفارز عملها . اتصلت المفارز بالجيش الذي استعد تلك الليلة وأعدّ رشاشاته بانتظار الأوامر . مضى على الموعد نصف ساعة ثم ساعة ثم ساعتان ولم يأت سوى (. . .) و(. . .) أرادوا الانتحار لعدم تمكنهم من جمع رجالهم . فات وقت العمل ولا بد من تأجيله إلى يوم آخر . فأخبرت الجيش بأن يلتزم السكينة المعتادة إلى يوم آخر . ثم سحبت المفارز الذين قطعوا بعض خطوط المخابرات جنوب حماة ، ثم ضربت للرؤساء موعداً آخر ، وانسحبت من حماة التي دخلتها على رأس دورية لتأمين الأمن ، وبهذه الواسطة تمكنت من إخفاء أمر دخولي تلك الليلة . ولكي أزيل أثر أي إشاعة يمكن حدوثها ثاني يوم فقد رجعت بالسيارة الى (. . .) حيث أرسلت صباحاً تقريراً مفصلاً

للمستشار الافرنسي أعلمه فيه عن سير الأمور كما هو مطلوب ، وعن اضطراري ملازمة قبائل العمارات الذين أخذت أجلوهم نحو الشرق لإبعدهم عن المعمورة . فوصل هذا التقرير صباحاً حيث كانت المدينة قد امتلأ بأنواع الإشاعات. ولكي لا أفوت فرصة وجود الجيش الإفرنسي في الجبل ، ولكي أجعل رفقائي أمام أمر واقع لا يمكن تجنبه ، طلبتهم يوم ٥ تشرين الى (. . .) للاجتماع والمداولة . وكنت في هذا اليوم أرسلت أوامر لفصائل الجيش الموجودة خارج حماة كي تترك مراكزها وتحضر إلى مراكز عينتها لها بقصد الهجوم على حماة ، وأن يأتوني ببعض الضباط الافرنسيين مكتوفي الأيدي لتكون هذه الحركة هي بداية الثورة التي لا يمكن لإخواننا تجنبها .

وهكذا كان ، فلم يكد الاخوان يحضرون من حماة حتى كانت فصائل هذه الجيش تتحرك حسب الأوامر ، وكان بعض الضباط الإفرنسيين مقيدين تقودهم جنود الثورة أمام الجماعة فالأمر وقع وكل الرؤساء وبعض شيوخ القبائل الذين شاهدوا هذا المشهد ايقنوا أنه أصبح عدو فرنسا من هذه اللحظة .

لم يبق علينا سوى تنظيم الحركة وترتيبها وهذا ما حدث . فالذي يهمني كثيراً في تنظيم شؤون الحركة ، أن تكون الترتيبات نهائية فيها اذا مسّت الحاجة لارغام المأمورين المدنيين وإجبارهم على تنفيذ الخطة والعمل بموجب الأوامر والتعليمات والأنظمة الصادرة اليهم أول يوم ، ولكن الأهم هو نشوب الثورة ثم توسيعها وتنظيمها .

وبعد إتمام الترتيبات وتعيين محل الاجتماع في حماة في دار . . . أفرزت قسماً لحماية محلة النصارى كي لا تقع حوادث غير مرضية يستغلها الخصم سلاحاً ضدنا ، وتكون حجة قاطعة بيد أعدائنا فيصمنا بالهمجية والتعصب الذميم والقتل والنهب ، وسلاحاً ماضياً يؤثر في سمعتنا في الداخل ويؤلب علينا الرأي العام المتمدن في الخارج فينقلب ضد حركتنا المقدسة ، ثم جعلت أذان العشاء من على المآذن اشارة للهجوم (بارولة الهجوم ـ وشعاره) .

وصلنا محل الاجتماع قبل الآذان بنصف ساعة فلم أجد من كان يجب أن يكون حاضراً ، لكن القسم الذي حضر كان لا بأس به ، ومع هذا عدلت الخطة لسبب ضآلة الجمع المحتشد .

المقررات

قررت أن يكون الهجوم أولاً على المخافر ، وتجريد الجنود من السلاح . ثم مهاجمة السرايا والاستيلاء عليها وإطلاق سراح السجناء واستخدامهم حالاً . وكانت السرايا محروسة ومحمية بجنود نظامية إضافة الى قوى الدرك التي أرسلتها السلطة احتياطاً في النهار .

اضطررت لهذا التغيير ، بوجه خاص ، حين علمت بأن الأوامر التي أصدرتها لبعض الرؤساء بشأن سوق فصائلهم إلى أمكنة الهجوم المعينة لم تصل بعد . والمفرزة التي أنيط بها تعطيل المواصلات وقطع الطريق بقيادة . . . لم تتمكن من تنفيذ مهمتها بسبب وصول مفرزة الارتباط من قبل الضابط الإفرنسي . . . وتبين لي بأن بعض الفصائل دخلت المدينة والتحمت مع حامية الثكنات التي أمطرتها وابلاً من الرصاص دفاعاً عن نفسها . وفوق هذا كله فإن . . . الذي كان ممن يعوّل عليهم والذي أنيط به أضخم واجب ، ذهب تواً إلى المستشار وأخبره عن الاجتماع الذي حصل والمقررات التي اتخذت والترتيبات المتخذة والخطة الحربية ، وهذا الرجل يعد أكبر زعيم بحماة ، وعلى أثر ذلك فقد أبرق المستشار إلى حمص وإلى الشام وإلى المندوب في بيروت وإلى حلب وأكد لهم نشوب الثورة في هذه البلدة وفي هذه الليلة .

وهكذا سارع المستشار لاتخاذ جميع وسائل الدفاع تخفيفاً لوطأة الصدمة ، وعمل هذا الزعيم كان سبباً لحرماننا من مساعدة فصائل الجيش التي كانت هي وهيئة ضباطها على أتم الاستعداد لنجدتنا والاشتراك معنا . بدأ الهجوم على المخافر ووُفّقنا في تجريد عناصرها من أسلحتهم . ثم استأنفت الهجوم الكبير لاحتلال السرايا فاصطدمنا مع الحامية اصطداماً عنيفاً ، واشتبكنا معها اشتباكاً شرساً . فدارت بيننا وبينها معارك كانت حامية الوطيس ، كبدتنا خسائر فادحة بالنفوس ، واستشهد كثير من رجالنا ، إذ كانت حربهم في العراء في بقعة مجردة من كل استحكام طبيعي او اصطناعي .

وفي ذلك الوقت الرهيب أطل القمر علينا من نافذته الأبدية ، ونشر علينا أشعة أنواره فأنار ساحة معركتنا . فتبين للحامية مواطن هجوم رجالنا ومكامن دفاعهم والحامية

كـامنة في السـرايا ومحصنـة فيها جـداً ، ومع كـل هذه العـوائق الطبيعيـة ، والحـوائـل الاصطناعية فإننا بفضل التدابير الحاسمة العسكرية تغلبنا على الحامية ، وأضعفنـا وطأة دفاعهم ، ولم تأزف الساعة ١٢/٣٠ حتى كان المهاجمون قد اشعلوا النار في السرايا فقتل من قتل من جنود الحامية وفر من فر من الثغرات وكان هناك سرداب في السرايا يمتد حتى اصطبلات دار العظم ، فاستفادوا منه ونجا أسرانا من قبضتهم فاستـولينا عـلى السلاح والعتاد ، وفتحنا أبواب السجون وأطلقنا سراح المسجونين .

كانت النيران تندلع في جدران السرايا وفي غرفها الجميلة ، حتى كاد لهيبها يعانق كبد السماء . فكانت هذه النيران أصدق رمز لتأديـة الإشارة المطلوبة إلى القبـائل التي كانت تترصد هذه الإشارة من مرتفعات حماة الشرقية . وبالإضافة الى ذلك فقد سيرت السيارات لإعلام القبائل التي يحتمل أن لا تتمكن من رؤية اللهب المتصاعد .

على أثر مشاهدة النيـران زحفت جموع من العشـائر المسلحـة من قبائـل (. . .) و(. . .) و(. . .) واشتركت في الهجوم الذي حدث في صبـاح اليوم الثـاني من نشوب الثورة وصدت هجمات قوى الفرسان الافرنسية حين حاولت الخروج .

التضييق على المواقع العسكرية

شرعنا بتطبيق خطتنا الهجومية على المواقع العسكرية الحصينة ، حيث دارت بيننا وبين حامياتها معـارك عنيفة . وتبـودلت مع هـذه الحاميـات القنابـل اليدويـة بدلاً من البنادق ، من مسافات قريبة جداً ، فاحترق السوق الملاصق لمركز الحـامية ، وبـدأت دائرة النيران تتسع في أطراف الثكنة .

خمدت نيران الحـاميات المـدافعة وقـوبلت الطيـارات بنيران الثـوار المجتمعـة ، وأسقطت طيارة بالقرب من حماة تتأجج ناراً وتلتهب سعيراً ، وأسقطت طيارة أخرى في أطراف الخط الحديدي جنوبي حماة وكفانا الله شرّ بلاء الطيارات المستـطير بعد احتـراق بعضها .

وفي هذه الساعة الرهيبة كنا ننتظر وصول نجدة مفارز . . . و . . . الذي كان قد

وعدنا بإرسالها ، وهذه المفارز من أقوى عناصر قوانا عدداً وعدة ، وعنصراً وسلاحاً ، فلم يف بوعده ، بل امتطى حضرته مركبة تحيط به حاشيته واتجه نحو دار المستشار ليعرض عليه اخلاصه وخضوعه وتقوية صلته به على جثث الشهداء ويؤكد له بأن الأهالي لا دخل لهم في هذه الحركة وما هي سوى حركة عصيان الجند على الجيش . (وهذه وصمة عار وفصل مؤلم مثّل على جماجم الشهداء لا يمكن شرحه الآن) .

كانت تلك أروع صفحة نورانية وأشرف صفحة من صفحات الجهاد القومي يتحمل عبء تضحياتها السواد الأعظم من الطبقة العامة التي هي الأكثرية في الأمة العربية وجنود حريتها وحماة استقلالها . بعكس ما هي عليه طبقة الارستقراطية الحديثة من تملق ورياء وخبث ودهاء ومكر وتقرب من الأجنبي المهيمن على البلاد وهكذا لم يبق أمل في إتمام الخطة المطلوبة على أثر الخيانة الكبرى من قبل اصحاب الوجهات المزيفة . ولكن لا بد من الوصول الى الهدف المطلوب . والغاية المثلى التي أطمح إليها هي إرغام الافرنسيين وإجبارهم على سحب قواهم من الجبل ، وتوجيهها الى الشمال ، لكي يتسع المجال أمام أبطال الجبل فيتنفسوا الصعداء ، ويتمكنوا من كبح جماح قوى غاملان ونقل ثقل جيوشه ، وتخفيف عبء وطأتها عنهم .

لذلك يجب أن يكون لثورة حماة مفعول كبير فتلعب دوراً خطيراً له شأنه ، وينظر إليها على أنها حركة خطيرة ومهابة ومخيفة وعامة .

لهذا قررت مغادرة حماة للاجتماع بعشائر (. . .) (الموالى) ، فذهبت للحمرة حيث مركز فوج افرنسي . فقررت القيام بحركة واسعة النطاق وعنيفة جداً وصممت على مهاجمة المعرة والاستيلاء عليها ، وتعطيل المواصلات الحديدية بين حماة و(الشمال) .

تمكنت من تنفيذ خطتي الأولى وأنهيت الدور الأول كما هو مرسوم له . فهاجمت المعرة مباغتاً ومفاجئاً سرية الفرسان المعسكرة فيها ، فقتل ضابط افرنسي وغنمنا ثلاثة وثلاثين رأساً من الخيل وكمية من الأسلحة ، ومقادير لا بأس بها من العتاد . ثم خربت محطة كوكبان وتركت العشائر تعبث بالأمن . وبعد أن انتهيت من ذلك غادرت منطقة المعرة ، ويممت وجهي شطر الحمرة حيث تقطنها عشيرة . . . (الموالى) التي قام

بالحركات الأولى بعض أفخاذها . ويعسكر في الحمرة فوج افرنسي من المشاة لأنها على سيف البادية .

هاجمت هذه القوة ذلك الفوج بعنف وأرغمته على التقهقر والهرب مخلّفاً وراءه كل أعماله وأثقاله من أرزاق وسلاح وعتاد ، وعلى أثر هذه الحركات واندحار قوى الافرنسيين ، انتشرت الفوضى في هذه الأصقاع التي عجزت الطيارات عن قمعها ، ولم تؤثر فيها المدافع التي وضعت بالقطارات وسُيّرت على امتداد الخط الحديدي لقطع دابر الفوضى . وعلى أثر إطلاق المدفعية قنابلها شدت قبائل العرب رحالها ، ونزحت عن المناطق المهلكة التي تتساقط عليها قنابل المدفعية وتؤثر الطيارات على وضعها الطبيعي . فهجّت أي نزحت من المواقع المجاورة للخط الحديدي واتّصلت بالقبائل (. . .) التي تمكنت من قطع كل صلة ، وتعطيل كل اتصال ما بين دير الزور وحلب . وهكذا ضربت الفوضى أطنابها بأصقاع حماة ـ المعرة ، وتوسع نطاق الثورة حتى شمل كافة أنحاء سوريا الشمالية ، فنجحت ثورة حماة بهذا التوسع نجاحاً باهراً أسفر عن الفوائد المثمرة الآتية :

١ ـ اضطرار الجنرال سرايل لأن يبرق إلى غاملان المنتصر في جبل الدروز والذي اكتسح المقرن الجنوبي كله ، وكان على أبواب رساس وهي مفتاح المقرن الغربي ، أن يخلي الجبل ويجلو عنه بسرعة ، ويتوجه بقسم كبير من قواه إلى الشمال لتطويق ثورة حماة وإخمادها ، بعد أن كان قد احتل السويداء عاصمة الجبل وانقذ حاميتها وتسلم الأسرى واستسلم أمير الجبل الأمير حمد من تلقاء نفسه الى الجنرال غاملان من عرى حين كان معسكراً في رساس .

٢ ـ انسحاب الجيش الافرنسي أنقذ الجبل من الاكتساح العام ومن هزيمة شنعاء ، فتنفس الصعداء واشتد الحماس ، وأزال اليأس من النفوس ونهض الجبل من عثرته ، وتمكنت قوى الجبل من مطاردة الجيش المنسحب ، وكبدته خسائر فادحة معملة في أطرافه سيف التقطيع ما أمكنها .

ولولا استعجاله بالانسحاب ، لاستحال تراجعه إلى هزيمة شنعاء وكارثة حربية لا تقل شأناً عن كارثة ميشو في المزرعة .

٣ ـ بعد انسحاب الجيش الافرنسي من الجبل لم يبق ما يمنع مجاهدي الدروز ومن التحق بهم من سوريا من الهجوم على الغوطة وعلى دمشق نفسها والتوسع بالحركات .

وهكذا أصبحت أبواب دمشق مفتوحة أمام هجمات الثوار ، ودخولها بدون أدنى مقاومة تذكر ، ولو كان الرأس الذي تزعم حركة دمشق له أقل إلمام بالفنون الحربية والاضطلاع بالإدارة الثورية لكانت النتيجة المتوخاة من ثورة عامة في الشمال حصلت في قلب دمشق، وقضي الأمر، وتمكنت سوريا من عقد معاهدة تضمن لها مطاليبها القومية ، وتحفظ لها شرفها وكيانها ، وتمحو وصمة عار ميسلون من على جبينها وتسترد ما أضاعته من كرامة وعزة قومية .

٤ ـ دخول دمشق والغوطة كانا من عوامل توسع الثورة في المناطق الأخرى ونشوب الثورات فيها .

٥ ـ أضاع الإفرنسيون اقتطاف ثمرة انتصاراتهم في الجبل وانعكست الآية فأصبح انتصارهم اندحاراً وبدّل النصر بالقهر .

إن الأسباب التي أدت الى فشل ثورة حماة في حماة نفسها وحرمان سوريا من اجتناء ثمرات هذه الثورة الشريفة ترجع إلى عوامل عديدة وإلى أعمال أشخاص لا يمكن البوح الآن بذكر اسمائهم ، إنما سيأتي الوقت الذي يعرف به كيف استثمر البعض من أغنيائها وكبارها الدماء المهراقة دماء أبنائها المخلصين لتوطيد دعائم نفوذهم .

وخلاصة القول ان ثورة حماة كانت كالقنبلة التي وجهت إلى تخريب مدفع العدو ، وسددت باتقان ومهارة فأخطأته وأصابت عجلة عتاده فانفجرت فيها وأحرقتها ، فأحرقت العتاد ، وتعطل المدفع بصورة غير مباشرة .

أبطال القوميات

أعاظم رجال الثورة في المرآة

فوزي القاوقجي

اشتغل القاوقجي في المسائل العربية بعد الاحتلال الافرنسي ووحد أعماله السياسية مع كتلة مستنيرة صالحة في حمص وحماة وكانت له صلة متينة وتأثير شديد على محيط حمص وحماة ، وكان يعتقد أن التقرب من جيراننا الشماليين سيؤمن للبلاد ما كانت تصبو إليه . انتهز فوزي ثورة الجبل فاتخذ جميع الأسباب وأعلن الثورة السورية بحماة ، وكنت أنا وقتئذٍ في جبل الدروز ، وكنا أمام جيوش غاملان ، فاستفادت الثورة من وثبة فوزي فائدة معنوية مقرونة بفائدة مادية ، إذ ارتبك سرايل في أمره ، واضطر غاملان للانسحاب من الجبل . ولكن ثورة حماة لم تكن إلا كبركان وقتي انفجر آناً ثم خمد . وعلى أثر ذلك نزح فوزي للعراق وبقي هناك مدة يجوب البلاد بين العشائر . وبينما كنت أغادر الغوطة مسافراً للشمال ، وكان مركزي النبك آنئذ ، علمت بأن فوزي في جيرود ، فأرسلت له جنوداً كانوا بإمرته في حماة فلم يحظوا به . وكان قد وصل إلى الغوطة ومنها سافر للجبل .

تخرج فوزي في المدرسة الحربية ١٣٢٨ هـ من صف الفرسان ، وهو ضابط جيد جداً وأقرب إلى الطول منه إلى الربعة . نحيف القوام ، أشقر اللون ، ذو عينين واسعتين تتدفقان نوراً وهمة ونشاطاً . طويل الوجه ، وهو شاب رشيق لبق ، في العقد الثالث من العمر . حلو الحديث ، وله مهارة تامة بجذب النفوس اليه . لم ينخرط فوزي في سلك المبادلات القومية إلا بعد اندماجه في الجيش الإفرنسي ، وربما تألمت نفسه الكبيرة من الاضطهادات المشينة التي قام بها المستشارون أولاد « الأم الحنون » حيث كان معاوناً لمستشار حماة ، وقد برز فوزي في عمله ،. وسجل له صحيفة بيضاء في الجهاد المقدس السوري ، فكان مثالاً عظيماً للجد ، وأمثولة البطولة الخالدة السورية ، فهو شجاع من الطبقة الأولى وبطل من الأبطال الذين يشرب على نخبهم كأس البطولة السورية . كنت

أنا وإياه في الشعبة الثالثة في دائرة التمرين ـ دائرة الترجمة والتعريب .

قضينا في هذه الشعبة تسعة أشهر ، ثم انتقل فوزي للواء الهاشمي ، وكان موالياً للهاشمي وبعيداً عن الأحزاب السورية . وقد أخبرني ونحن في طريقنا إلى النبك بـأنه انتسب إلى حزب العهد بعد انسحاب الحكومة التركية من البلاد العربية . وقد اشترك في وقعة رافية وكان ملحقاً عسكرياً في هيئـة القيادة العـامة للجبهـة السوريـة ـ قيادة فـون ساندرس ـ وفي الحرب العامة كان في جبهة بئر السبع . وفي عهد الحكومة الافرنسية كان معـاوناً لمستشـار حمـاة ، ثم عـين قـائـداً بـرتبتـه الأصليـة رئيس ـ كـابتن ـ في المفـرزة الاحتياطية ، وهو يتقن اللغة الافرنسية والألمانية والتركية . ولا شك أن فوزي كان ذكياً نبيهاً وشجاعاً باسلاً وطموحاً إلى أقصى الحدود . وهذا الطموح هو الذي عرقل مساعيه وولّد الخلاف بينه وبين اخوانه ، كمصطفى وصفي ، والأمير عز الدين وغيرهما . وبعد أن عدت جريحاً من وقعة معربا سألني السيد عـادل العظمـة عن أصلح الأخوان ، ممن يمكنه القيام بالأعمال العامة ، فأجبته على الفور فوزي . فأسندت إليه الهيئات السياسية القيادة في الشمال ومنـذ ذلك الـوقت تميزت أعمـال فوزي بـالدقـة والاتقان كـما أنجز مخططات حربية عظيمة للغاية ، فقوّاد الشمال جميعاً قاموا بأعمال حربية جليلة . التحق فوزي بالغوطة بعد رجوعـه من بغداد ، وحـين وصولـه لجيرود زحفت من النبـك على حمص ، وبعد معاركي مع مارتي الزراعية ، عدت للنبك والتقيت فوزي في الغوطة وقد صادف مقاومة في الجبل حين اراد جمع قوى من المقرن الشمالي بايعاز من أصحاب الجبل وهيئة القيادة ، لأنه كان يغري الدروز برواتب معينة ، واشترك بالرأي مع نسيب بك ، فنزل معهم قريب من خمسين فارساً تمركزوا هناك حيث اجتمعت به لكن احداً لم يقدم لنا إعانة ولو مقدار بارة واحدة ، وزحفنا معاً على الشمال حيث توليت حرب عيون العلق ، فأتاني فوزي بمفرده إذ تخلى عنه جميع الذين معه ، وكان مجيئه شهادة له على ما يتمتع به من شجاعة منقطعة النظير ، قاومنا العدو ست ساعات متوالية ، وفي اليوم الثاني دافـع فوزي عن أهل البلد ، وأنا اتخذت الجبل مركزاً لي ، فدافع كل منا حتى آخر رصاصة ، ثم عدنا للغوطة وقمنا بأعمال موحدة مشتركة ، فأعدنا للغوطة سيرتها الأولى . ولا أنسى صموده في وقعة « أبو تركي » وحروب النبك ، ثم عودته للغوطة وقيادته المعارك الضارية في حركة التطويق ، ثم نزوله للغوطة بعد الصلح مع الإخوان وحـربه في عـين ترمـا ،

واستبسـاله وإقـدامه عـلى الاتجاه نحـو الشمال حتى العمق . ففـوزي كـان في الصف الأول ، كما كان في مقدمة أبطال هذا الجهـاد من حيث الاقدام والتضحيـة والصمود . وهو إلى ذلك رجل فعال وبطل لا يهاب الموت ، ولكن الحظ لم يسعفه فهو مع ذلك مثال عظيم للبطولة السورية الخالدة ، ومثل أعلى للصمود السوري وقائـد محنّك بكـل ما في الكلمة من معنى . كما كان من الذين دونوا في هذا الجهاد صحائف غـراء وبوّأ الثـورة السورية مكانة سامية فضلاً عما قام به من جليل الأعمال مما يجعله قدوة لضباط العرب ينسجون على منواله ، ومثـالاً للشباب يقتـدون به ، فسـوريا تفتخـر بجهود ابنهـا البار الشجاع فوزي لأنه آية من آيات البسالة والشجاعـة ومنزلتـه لا شك في قلوب اخـوانه المخلصين سامية . فلمثل هـذا فليعمل الشبـاب السوري النـاهض وعلى خـطة فوزي واخوانه فلتمش الأمة السورية العربية لانقاذ بلادها .

« محمد سعيد العاص »

اشهر رجال ثورة حماة

القاوقجي بطلها ، ومصطفى عاشور الذي استشهد بمعركة معربة ، وسعيد الترمانيني ، وعبد القادر مليشو الذي استشهد بمعركة عين نرما . وللمرحوم الدكتور الخطيب يد طولى في اعمالها . وهناك اشخاص لا مجال الآن لنشر اسمائهم ولذلك سنضرب صفحاً عن ذكرهم لأسباب تتعلق بسلامتهم .

ان ثورة حماة كانت العامل الوحيد في سحب جيوش غاملن بقضه وقضيضه ، وهي احدى دعائم الثورة السورية ، ولولاها لما اشتدت الثورة وقوي ساعدها . وتضحية حماة تعد من أعظم التضحيات في سبيل الواجب المقدس وتضحية فوزي القاوقجي تعد من اعظم التضحيات ، فبارك الله بالبطل الشجاع فوزي ، وجزى الله حماة عن الأمة السورية العربية أعظم الجزاء .

المقررات

كانت المقررات التي اتّخذت في دار احد المواطنين السيد عبد الرحمن مبنية على الأساسات الآتية :

١ ـ نسف الجسور الحديدية الكائنة على نهر العاص ، وهي جسر الظاهرية وجسر الغجر .

٢ ـ تجريد المخافر من السلاح .

٣ ـ مهاجمة السرايا وحصر الجند في مراكزها .

ونظراً لتغيب فوزي خارج المدينة فقد كان يقوم بوظائف المخابرة كل من السيد

عبد القادر مليشو ورفيق آخر لـه ، للاتصـال مع الهيئـة الثوريـة ، وقد تخصصت قـوة الحاضر لمهاجمة خان المرابط والثكنة ، على ان يرابطوا في بستان العدسة ، لكنهم رابطوا في بستان ام الحسن ، ولما ذهب أحد المكلفين الإشراف على الحركات ولم يجدهم عاد من حيث أتى . وأما الذين انيط بهم امر تعطيل المخابرات وقطع الاسـلاك الهاتفيـة ، فقد قاموا بواجبهم ، ولكن الحركة تأجلت بسبب احجام أشراف البلدة عن القيام بواجباتهم التي انيطت بهم وقد اتى أحد اعيان البلدة مع السيد الحناوي في لباس انيق ابيض فرأى فوزي الاسراع في العمل كما بيّنا في مقالنا السابق .

هاجم شباب الحاضر السوق والسرايا واشتبكوا مع الجند مع مصطفى عاشور وقد بدل فوزي بزته في دار صديق له ، وحمي وطيس المعركة ، فكان أول شهيد سقط بهذا القتال خالد القواس ، وأول جريح جميل عباس . ولما أوصلوا الجريح للدكتور صـالح عالجه ، ولكنه رحمه الله أصيب برصاصة فخر صريعاً ، واستمـرت المعركـة طيلة ذلك اليوم والليلة الثانية حتى الصباح ، وقـد تمكنوا من إحـراق السرايـا بالبنـزين . وما ان انسحب الثوار حتى دخل الجيش وراح يعمل في الأهالي تذبيحاً وتقتيلاً ، فقتل منهم ما يربو على الثلاثمائة شخص بين طفل وفتى وفتاة وشيخ وكهل . وابرز هذه الضحايـا كان الشهيد صالح قنباز - وفرضوا على حماة غرامة قدرها ثلاثة آلاف بندقية و٩ آلاف جنيه ، وارتكب الافرنسيون من ضروب الفظائع والهمجية ما يندى له وجه المدنية خجلاً ، اذ لم يرحموا الشيوخ ولم يرأفوا بالأطفال ولا بالنسـاء ، حتى جرت دمـاء الابريـاء في الشوارع والأزقة أنهاراً .

الشهيد صالح قنباز

الشهيـد صالـح قنباز علم من أعـلام الـوطنيـة ، وطبيب من أحـذق الأطبـاء ، وخطيب مصقع ، وشاعر رقيق الشعور وأديب مجيد ، وعلامة جليل . وهو مؤسس دار العلم والتربية ، وأحد افذاذ النهضة الفكرية . سار مع القضية منذ انبثاقها . تخرج في مدرسة الطب العثمانيـة بالآستـانة ، وكـان في جميع ادوار حيـاته المـدرسية المجـلي بين اخوانه ، والأول بين اقرانـه ، كان أعـظم مفكر ببلدة ابي الفـداء بل من اعـظم علماء

العرب ، تفقه بالدين ، ومهر بالطب ، فكان يؤاسي الفقير ويعطف على الضعيف ، بل كان مثلاً أعلى في الأخلاق الفاضلة ، وحامل لواء نهضة الحرية ، ومن انصار الوطنية .

فضياعه يعد نكبة عظمى وداهية دهياء ، وخسارة ليس بعدها خسارة .

تغمده الله برحمته وجعل مأواه النعيم .

ونحن إذ نبكي صالحاً فإنما نبكي رجلاً من خيرة من أنجبتهم الأمة العربية ، ومن القلائل الـذين يحملون بين جـوانحهم روح النهضة الحقيقيـة ، فحماة الشهيـدة تبكي صالحها لأنـه ابنها البـار ، ومضمد جـروح مصائبهـا ، فارقـد أيها الأخ رقـدة البطولـة الخالدة ، ورفرف في سماء بلدتك مُشِيعاً في أبنـائها روح الاتحـاد والتضحية وسـلام الله عليك أخي .

الاجتماع السري الأول لإعلان الثورة

بقلم : زعيم سوريا الكبير الدكتور شهبندر

في الساعة الأولى بعد منتصف الليل من صباح اليوم الحادي والعشرين من أغسطس سنة ١٩٢٥ في نهاية جلسة سرية عقدناها في بيت اخينا المجاهد المحترم الحاج عثمان الشرباتي في الصالحية ، اخبرنا احد المندوبين الثلاثة الذين أرسلوا الى جبل الدروز وهو المرحوم الشهيد الكريم السيد توفيق الحلبي ، ان الاتفاق قد تم على ان نخرج بالخيل والرَّجْل الى جوار قرية الكسوة لندخل دمشق عنوة نحن والمجاهدون من اخواننا في الجبل في صباح الاثنين الواقع فيه الثالث والعشرون من اغسطس ، أي بعد ثمان واربعين ساعة من هذا الاجتماع ، وهو ما يقابل اليوم الذي نجتمع فيه هنا لإحياء هذه الذكرى في القلوب ، من الذين حضروا هذه الجلسة التاريخية السرية غير صاحب البيت ، وغير أخيكم الواقف في هذا المكان ، وغير أخينا حسن بك الحكيم الموجود معنا في هذه الحفلة التذكارية السادة يحيى بك حياتي وفوزي بك البكري ، ونسيب بك البكري ، وسعيد بك حيدر ، والمرحوم الشهيد سعد الدين بك المؤيد ، وثلاثة أو أربعة آخرون احدهم انسحب في منتصف الجلسة والباقون سنذكر اسماءهم في الفرصة المناسبة .

وبعد البحث في جميع الخطط العملية الممكنة ، ورد ما لا يمكن تطبيقه ، قررنا بالإجماع ان نتخذ احدى قرى الغوطة ، وهي من املاك احد المؤتمرين محلاً نجتمع فيه في اليوم التالي ، لنكون مع اخواننا المجاهدين من بني معروف في جوار الكسوة في الوقت المتفق عليه .

قضيت مصالحي يوم السبت ، وأنهيت ما كان معلقاً منها ، وبعد العشاء في المساء دعوت نسيبي نزيه بك المؤيد العظم ، وكان على علم بجميع ما جرى ، فتهيأنا وأخذنا كل ما نحن بحاجة اليه من سلاح وملبس وطعام ، وركبت في السيارة سواقاً وضعته

جانبي ، وخرجنا فالتقينا بثلة من الدرك الوطنيين خارج السور من جهة الباب الشرقي ، ولكن سواد الليل حال دون معرفتهم بنا مع حرصهم الشديد على حراسة الطريق وايقاف كل مار في تلك الأيام العصيبة . فلما وصلنا القرية لم نجد احداً من المؤتمرين قدمها سوى يحيى حياتي بـك ، فقضينا الليلة معاً . ولما قمنا في الصباح لم نجد شيئاً من وسائل السفر المقررة مهيأ مثل الخيل والزاد والسلاح ، مع ان الساعة الرهيبة أزفت ، وخطر اكتشاف الخطة شديد . وكان بيتي هدف انظار التحري . فكان ثلاثة منهم لا يفارقونه من الصباح الى المساء ، يسجلون اسماء الداخلين اليه والخارجين منه ، فرأينا من الموافق أن نعود قبل ان تثبت الشبهة علينا وعلى اخواننـا من جراء تغيبنـا لأن قائمـة بالقبض على أربعة وعشرين شخصاً كانت محضرة على مائدة رئيس الحكومة ، فعدنا وأودعنا السيارة محلها في طريق خلفي ، ودخلنا الدار من غير ان يشعر بسفرنا احد .

مرافق الجنرال ميـشو

وبعد نحو ساعتين ، جاءني أحد الأصدقاء وأخبرني ان الكابتن عطاف الجزائري مرافق الجنرال ميـشو يود مقابلتي ليحادثني في الشؤون الحاضرة ، فقابلته الساعة الثانية عشرة ، وجرى بيننا حديث مستفيض تبين لي منه أنه أُرسل من قبل الجنرال ، فوجدت من الضـروري ان اعقد اجتمـاعاً آخر معه نُتم فيـه حديثنـا ونستكشف مـا عنـده من الأسـرار ، وان يكون هـذا الاجتماع في بيت الأخ سعيـد بك حيـدر ، وبحضور الأخ حسن بك الحكيم ، فتم هذا الاجتماع في السـاعـة الرابعـة من بعد ظهـر ذاك اليوم ، وكانت خلاصة مطالبه ان نستعمل نفوذنا لدى المجاهدين اخواننا ليخلدوا الى السكينة ، وخلاصة مطالبنا تحرير سورية ووحدتها وتركها تؤلف مجالسها وحكومتها .

الحذر من الكابتن عطاف

فرح الكابتن عطاف بحمل هذه المطالب ، ونحن تخامرنا الريب من أمـره ، بل ازداد اعتقادنا ان الغاية تخـدير اعصـابنا والسعي لحجـز حريتنـا واخراجنـا من صفوف القتال ، خصوصاً لأن موعد اللقاء بجانب قرية الكسوة هو في الصباح وهـذا بالبـداهة اصبح مستحيلاً .

فارتأى كل واحد منا ان يخرج الى مكان يضمن فيه حريته ليكون جاهزاً للعمل .

فركبت سيارتي وركب معي نسيبي نزيه بك المؤيد بعدما تزودنا بكل ما يلزمنا ، وخرجنا الى الزبداني ، وكذلك فعل حسن بك الحكيم وسعيد بك حيدر فذهبنا الى جهات زحلة .

ليلة في الزبداني

قضيت في الزبداني السهرة وصباح اليوم التالي مع العلامة الاستاذ احمد زكي باشا ، والزميل الكريم الدكتور محجوب ثابت . وقبيل العصر كنت في طريقي على متن الجبال الشاهقة على ارتفاع نحو الفي متر عن سطح البحر ، فدخلنا كهفاً نمنا فيه ، وفي منتصف الليل جاءنا دركي يخبرنا ان الجنرال سراي يطلبنا لإتمام المفاوضة التي بدأت مع الكابتن عطاف ، فأخذنا كل حيطة لهذه الدسيسة التي لم تَخْفَ علينا ، ولولا ذلك ما نجونا من الوقوع في الشرك الذي كان منصوباً لنا في الزبداني ، والذي دلت عليه برقية من مستشار الدرك الفرنسوي بوجوب تعقبنا ومقابلتنا اذا اقتضى الحال بالسلاح .

النجاة من أيدي السلطة

وجهنا وجوهنا شطر الغوطة من طريق لا تخطر على بال ، إذ بينما كان البحث عنا في بيروت في الغرب ، كانت خيلنا ورجالنا تتهيأ في الشرق ، وهكذا يممنا الجبل في مثل هذا الاسبوع من مثل هذا الشهر ، في حين كان القوم يتحدثون عن وصولنا الى ثغر حيفا في فلسطين سالمين . اما الصديقان الكريمان حسن بك الحكيم وسعيد بك حيدر ، فقد تمكنا ايضاً من الوصول الى الجبل بعدنا ، وقد كان الطلب عليهما من جانب الحكومة حثيثاً .

هذه صفحة واحدة من تاريخ نشوء الثورة السورية ، وهي ناقصة جداً ما لم تتم بصفحة اخرى سبقتها ، وهي الأساس الراسخ الذي بنيت عليه الثورة وخلاصتها ما يأتي :

اجتماع الدكتور بزعماء الدروز

في ربيع سنة ١٩٢٥ ترامى الي أن الضيق في جبل الدروز يتهدد بالانفجار ، وان اعمال الكابتن كاربيه تجاوزت حدود اللياقة ، فطلبت الى الذي بلغني هذه الأخبار

الهامة ـ وهو صحفي حر لا يستطيع احـد ان يتهمه في وطنيتـه ـ ان يجمعني في داره في عرنوص بالمرحـوم الأمير حمـد الأطرش امـير الجبل ، فتم الأمـر كما طلبت ، ورأيت في المرحوم ـ على لينه ودماثة اخلاقه ـ صلابة وطنية دلتني على شدة انفعاله من اعمال الظلم والإرهاق ، وبعد حديث طويل تناولنا فيه أوجه العمل ، تقرر عقد اجتماع ثان وثالث لإتمام ما بدأنا به .

وبعد مضي نحو اسبوعين ، كانت نخبة منتخبـة من زعماء الجبـل بينها المـرحوم نسيب بك الأطرش ، والمرحوم الامـير حمد الأطـرش ، وعبد الغفـار باشـا الأطرش ، ومتعب بـك الأطرش ، وابـو حمد يـوسف العيسي وغيرهم . وكـذلـك كـان صـاحبنـا الصحفي وسعيد بك حيدر ، وأحد اخواننا من اهل بيروت مجتمعـين عندي ، فتنـاول الحـديث مختلف الشؤون، وقد قـررنا في نهايـة الجلسة الأخيـرة ان نقف ونقسم الايمان المقدسة على الدفاع عن استقلال البلاد ووحدتها .

* * *

هـذه هي الصفحة الأولى من تـاريخ الثـورة السوريـة سردتهـا عليكم لأنها رمـز التعاون الحقيقي والاتفاق المحكم بـين الناهضـين من أبناء البـلاد على اختـلاف البقعة والطائفة والنزعة . وغني عن البيان أن الزعماء الدروز لما غادروا دمشق الى الجبل ، كانوا أقـرب الى فهم الموقف في العـاصمة وأكـثر تقـديـراً لشـأن النـار التي ستهب من جميـع الأرجاء . وحدث في تلك المدة ان الكابتن كاربيه حاكم جبل الدروز ، سافر بالإجازة الى فرنسا ، فحل محله الكابتن ره ينو بالوكالة . ولما آنس من الدروز تلك النفرة الخالصة التي فضتهم من حول كاربيه ، طمع في ان يحول الوكالة الى اصالة ، فأخذ يدس دساً اصولياً حاذقاً بحيث أجمعت الآراء على انه كـان من الأفواه المهمـة التي نفخت في بوق الثورة .

ارتأى ره ينو أن يقابل الزعماء الجنرال سراي ويطلبوا اليـه الخلاص من كـاربيه ففعلوا ، وسافر وفـد منهم الى بيروت ، لكن الجنـرال رفض هذه المقـابلة ، فعادوا من حيث أتوا وهم أشد حنقاً وأكثر انتقاماً ، وكان هذا العمل من اشد العوامل الغريبة التي أدت الى الانفجار .

* * *

صفحة الشهيد المجاهد حسن الخراط

كان المرحوم الخراط حارساً بسيطاً فأصبح بفضل جرأته وشجاعته وتضحيته علماً من اعلام التضحية ، وهو رجل مهيب ضخم الجثة واسع العينين لطيف المعشر سليم السريرة طاهر الطوية جواد منحه الله عصابة من أشجع عصابات دمشق ، وهي عصابة الشواغرة ، وأمده الله بروح من عنده ، ويسر له مساعدة شيخ الديرانية الذي كان يسير الناس بسرد احاديثه وحسن وعظه وثقتهم بديانته ، ولهذا كان لعصابة الخراط صفة دينية وبخاصة اشتراك الشيخ محمد حجاز أحد شيوخ الصوفية معه ، فكان شعارهم أثناء الزحف التهليل والتكبير .

للمرحوم الخراط صلة مع بني البكري نظراً لوجاهتهم بدمشق وما عرف عن احدهم السيد نسيب من شدة الطموح . فلما تقرر اعلان الثورة كما تبين للقارىء الكريم من مقال الدكتور الشهبندر ، أعلم فوزي بك البكري الخراط ورفقاءه بوجوب تنفيذ المقررات فعلاً مكانه ، رحمة الله عليه ، والقوة التنفيذية لمقررات الاجتماع الذي عقد ببيت الشرباتي فاشترك معه كل من بديعة ومحمود سلوم وهما من اركان عصابته ، فأطلعهما على حقيقة الأمر وطلب منهما السفر معه الى حجيرة ونجها ، فلبيا طلبه . وكان القصد من سفرهم الاجتماع بالدروز الذين زحفوا على العادلية والذين كان يرافقهم زكي بك الدروبي ، على ان يكونوا ادلاّء للقوة الزاحفة على دمشق ، لولا انسحابهم من العادلية على أثر مهاجمة الطيرات والجند . فالتحق بالمرحوم سليم الحارس ـ وهذا الأخير قتل قضاء من قبل ابن أخته على البيادر ـ وحمدي الكناكري ، فأوعز المرحوم الى محمود سلوم بأن يذهب لكشف طليعة الدروز بجهات نجها ، فامتطى فرساً وودعهم ، ولكن الطيارات كانت قد عاجلت القوى الدرزية فارتدت الأخيرة كما سنأتي على بيان ذلك في كتابنا الباحث عن وقائع الجبل ، وعاد محمود سلوم وأعلم المرحوم بواقعة الحال ،

٣١

فانتقلوا من حجيرة وجعلوا مركزهم بابيلا ونـزلوا في دار عـلي الضبع . وفي مسـاء هذا النهار وصل نسيب بك البكري وأخوه فوزي بك الى دار محمود سلوم فأوصلهما محمد ابو اركيلة ونسيب دوبانة من الشاغور الى الشبعـا ، وكان قـد وصل اليهـا حمزة الـدرويش يصحبه بعض الدروز ، ولما شعرت السلطة بالتحاق نسيب بك بالثوار ، اختبأ فـوزي بك في الشاغور فنقلوه أولاً الى دار محمود البديوي ورابطت هذه القوة الضئيلة في بريـة الشاغور ، واتخذت بستان الحلاق مكمناً لها .

وسيرت السلطة الدبابات لتفتيش هذه الجهات واهتـدت الى مقرهم ، ورابـطوا هناك حتى مطلع الشمس . ولما تنفس الصبح عززت السلطة الدبابات بمفرزة عسكرية واتخذت وسائل الدفاع ، فنصبت الأسلاك الشائكة في حي القراونة في شـارع اليهود ، وهذا اول سلك نصب في دمشق ، والغاية من نصبه منـع الدخـول والخروج وتسهيـل عملية التفتيش منعاً لتوسع الحـركة ولإرهـاب الناس . ومـا ان توسـطت الشمس كبد السماء حتى هاجم أهل الحي الأسلاك وخربوها ، وكان على رأسهم كل من سليم قسومة وعلي شماطة يقودان اطفـالاً صغاراً من الأحـداث ، فكانت أحـداث الشاغـور طليعة الثورة . ونظراً لتشديد السلطة على المحلة انتقل فوزي بك في يوم واحد الى أربع عشرة داراً لكي يخفي أثره . وبقي السلك ثلاثة أيام مخرباً ، ولما اشتد التفتيش عن فوزي بك قرر المرحوم استصحاب فوزي بك الى الجبل حرصاً على حياته .

المؤامرة على المرحوم
ووقوعه في الكمين ونجاته

بمـا ان فوزي بك لا يحمل الدراهم ، فقد ذهب برفقة المرحوم الى جرمانا لجلب دراهم من عميله ابي علي ، فاعتذر لهما ووعدهما الى العصر واراد ان يهيء طعاماً فقبلا . وبعد الغذاء قفلا راجعين الى مراكزهما . ولما دنا وقت العصر عادا الى جرمانـا فصادفـا ستين جندياً بقيادة النائب الدركي ابن طبيخ فاجتازا الطريق من بين هذه القوة بعد ان سلما على النائب ولم يكن لديهما من السلاح سوى خنجر ومسدس ، وكانت هذه القـوة أتت لتفتيش جرمانا . فلما ابتعدا عن الجند اشتبه النائب بأمرهما ، فصـرخ عليهما فعلما بأن وراء الأكمة ما وراءها ، وكانت خيول الدرك مربوطة بحوش البكري فتـواريا عن

٣٢

انظار الجند وجعل المرحوم وجهته أرض النبرات وبديعة المناشفي ، على أن يكون اجتماعهما في بيت سحم ، ونجيا بأعجوبة بفضل معرفتهما بطبيعة الأرض وعلمهما بداخلها ومخارجها ، ووقوفهما التام على ادغالها ، ولا عجب فأهل مكة أدرى بشعابها .

ولكن وجهة بديعة لم تكن مستورة تماماً عن أنظار الجند ، فسدد الجند اليه ورموه بالرصاص ، فولولت نساء القرية من الذعر على أثر إطلاق النار . وكان الحاجز الوحيد لمنع الجند من اللحاق ببديعة النهر الذي تمكن من اجتيازه ، واخفق الجند في اجتيازه ، وما كاد يصل الشاغور حتى اسرع اليه مأمور الدخولية وأعلمه بأن المرحوم موجود في داره . وصل بديعة بستان الشرطوط ، فشاهد ثلاث سيارات مملوءة بالجند ، وخلفها سيارة يمتطيها ضباط ، ودليل هذه القوة ابو رياح رأس الجواسيس المعروف .

ولما رأى بديعة بأم عينيه الضباط الافرنسيين ، أيقن أن هذه القوة لم تأت الا من اجل القبض عليهما ، وأوصاه مأمور الدخولية ان يكون على حذر من جنود المخفر ، فتمكن بديعة بمهارته من الوصول الى دار المرحوم وخرجا سوية ، واتخذا مقرهما وادي خير .

وادي خير ـ الكمين والتحاق اشخاص

اتخذ المرحوم مكمنه الأول وادي خير ، وبدأت تفد عليه طلائع المجاهدين وفي مقدمتهم الشهيد ابراهيم الطناتي ، الذي مات في البئر جريحاً حينما دخل الجند حمورة وسليم الحارس الذي قتل على البيادر من قبل ابن شقيقته قضاء ، وشوقي المالح الذي استشهد بأفتريس من قبل الأكراد ، وسرحان ، أبو تركي الذي استشهد بعربين ! ومحمد العدس الميداني وحمدي الكناكري وابو سعيد المغربي ، الذي كان بالطبع ملازماً له .

طوّاف الغوطة واعمالهم

بدأت هذه الفئة الباسلة تطوف قرى الغوطة وتحرضها على شدّ أزر الثورة ، وقد اتاهم مخبر أعلمهم بأن اولاد حتاحت من الميادنة عائدون من الحرجلة ، فوجد المرحوم

ان لا مناص من دعم قواه بشيء من الأسلحة والمال ، فرابط لهؤلاء السادة واخـذ منهم ثلاثة رؤوس من الخيـل وكديشـة وحماراً أبيض وثـلاث بنادق ، و٤٥ ليـرة ، وقمبازين جوخاً ، وأربعة سراويل وعباءتين ، وهذا رأس مال ثورته الأولى ، وقد يعترض البعض على عمل المرحوم ويعده سلباً ، ولكن للضرورة أحكاماً والمصلحة تبرر الواسـطة ، إذ لولا هذا العمل لما استطاع المرحوم ان يقوم بأي عمل كان ، لأن الثورة لم تؤسس عـلى نظام عملي ، والذين أعلنوا الثـورة لم يدخـروا لها مـالاً ، بل كـانوا قـوالين اكـثر منهم فعّالين ، والثورات تحتاج لاستعدادات اولية ولأموال مدخـرة، أما الثـورات التي تستند على الأقوال المنمقة فهي ضرب من ضروب الشعوذة .

وهكذا بعد ان أمن المرحوم هذا الرأس المال الضئيل عاد الى مربضه ، ولما حان وقت المولد التحق به الشهيد عزت الذي قتل بالحتيتة التركمان وسالم الزير .

* * *

مأثرة اولاد المغاربة

قبض جنود المغاربة على عزت حمامية فأخذوا حصانه وأطلقوا سراحه ، وهذه مأثرة تسجل بمداد الفخر لأبناء المغاربة الذين قاموا بأعمال جليلة انسانيـة ، وهذا دليـل على وحدة الدين وشدة تمسك العرب بقوميتهم وعنصريتهم فبارك الله بهم . فالوحدة الدينية هي اقوى رابطة بين العناصر الساذجة ، كما ان قوة الوحدة القومية تختلف بحسب ثقافة الأقوام ، ولهذا يجب على العرب ان تجعل اعظم قوة لها الوحدة الدينية ، لما لها من التأثير العظيم في نفوس الأقوام غير العربية كالشراكسة والاكراد وغيرهم .

عـادت هذه الفئـة كما كـانت وتغلغلت في أحـراج الغـوطـة الحصينـة وادغـالها المشتبكة ، واشتد ساعد الثوار ، وكثرت وفود الملتحقين ، وقويت شوكتهم بالتحاق ابو عبدو ديب الشيخ وأبو سليم بيسان ، وكان اول من خرج سابقاً قبـل المرحـوم لإعلان الثورة الشيخ نديم والعرجا وأبو فهد الجوبراني ، فانضموا الى هذه القوى . وكان اهل المليحة يتولون أعمال الاستخبارات كما اتخذ الثوار الحيطة والتدابير اللازمة وبثوا العيون والارصاد في مداخل الزور .

اعتقال الجاسوس عادل الترجمان

بدأت دوريات الثوار تتجول في منـافذ الـزور . ولما كـانت مارة بجـوار القواص قبضت على عادل الترجمان يصحبه شاب كردي ، ولدى استجوابه تبين أنه جاء يتجسس على الثوار ليقف على مخابئهم ، ولـدى تفتيشهما وجـدت مع عـادل اوراق مخبأة في ثنيـة كسوته ، وفيها خطاب الى وجوه شراكسة مرج السلطان وسـراتهم ، يحضهم على قمـع دابر الثورة ، واستئصال شأفة جماعة الخراط قبل استفحال امرها ، واعـلامهم بأن حملة ستزحف قريباً لمهاجمتها ، وتحرضهم بوجوب مؤازرتها ، ونجدتها على ان تكون مهاجمـة اهل مرج السلطان من خلف القوة حين تهاجم القوة العصابة من الأمام .

وقعة المليحة الأولى

بعد ان قبض الثوار على عادل الترجمان ورفيقـه قرروا اعـدامهما فشنقـا في ارض بتروخ فاستاءت الحكومة من استفحال أمر العصابة واجراءاتها ، فسيرت لها قوة بقيـادة السيد رفيق العظمة وبإمرته احمد يغمور وعبـد الرحيم افنـدي الطاغستـاني وأديب كفر بطنه ، وكانت السلطة تعتمد على اديب نظراً لخبرته بالبقاع ، وكانت هذه القـوة عبارة عن سرية مؤلفة من ستين دركياً . فأخبر الثوار بوصول هذه القوة طفل من المليحة يسمى بشير الهندي ، وأبان لهم بأن مقر القيادة في بيت ابي عمـر العيسى ، فغادرت العصـابة مقرها ، وبعد ثلاث ساعات ، أي في الساعة السادسة عربي ليلاً او الحادية عشرة زوالية وصلت المليحة .

فتقدم رحمه الله بنفسه ، واستصحب معه كلاً من الثائـرين بديعـة ومحمود سلوم والشهيد حسن المقبعة وتوفيق الدرزي الشوفاني . فتسلقوا الدار التي ينام فيها الضبـاط وانحدروا الى الشرفة ، ومنها نزلوا الى الدرج ، فصادفوا أديباً وهو ذاهب الى بيت الراحة يحمل بيده ابريقا ، فقبض عليه كل من حسن المقبعة وبديعة وحمدي الكناكري ، وكان رحمه الله قد ترك بجوانب الغرفة التي ينام فيها الضباط عزت حامية وتوفيق قسومة وابو صلاح العرجا .

فدفع هؤلاء الشجعان باب الغرفة وقبضـوا على القـائد العـظمة واحمـد يغمور ، ولكن عبد الرحيم الطاغستاني شعر بالخطر الداهم فتناول مسدسـه ، ولما دخلوا اطلقـه عليهم فأصاب مقتلاً من المرحوم الشهيد توفيق الدرزي ، فأطلق الثوار النار على عبـد الرحيم فأصيب بإذنه وقبض عليه . ولما علم الجنود بحقيقة الأمر ولوا مدبرين ، وتركوا ١٣ رأساً من الخيل وثماني بنادق ، واعتقل الضباط وأرسلوا الى الجبل .

شهامة الثوار

تأمل أيها القارىء الكـريم رحابـة صدر الثـوار وسجايـاهم الخلقية التي يجب ان تسطر لهم بمداد الفخر ، ان احد الضباط قد قتل رفيقهم فلم ينتقموا من القـاتل لأنـه أسير ، وقتل الأسير عار عند العرب ، وهـذا منتهى الأخلاق فهـل عامـل الافرنسيـون اسرانا بمثل هذه المعاملة ؟ كلا . ان المرحوم شوكة والأمير عز الدين واحمد مريود وغيرهم من الأبطال سقطوا جرحى في أيدي السلطة كما سقط مئات من الثوار أجهز عليهم وهم احياء ، فأين اخلاق المدنية الغربية من اخلاق العرب الأوفياء ؟ ان الشرق هو مهد مدنية الأخلاق وان الغرب مهد المدنية المادية .

فالشرقي اسمى أخلاقاً من اعظم متعلم غربي مهما كانت سذاجة الشـرقي ، ثم قل لي بربك لو ان هذا الحادث كان مع السلطة فهل كانت أبقت على واحد من هؤلاء الأسرى ؟ فأينا اذن يحتاج للانتداب ، نحن العرب أولو الأخلاق الحميدة ، امـا هؤلاء المستعمرون الذين لا يعرفون للأخلاق معنى ، ولكن : هي القوة . . .

معركة الزور الأولى

في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٢٥

بعد أسر الضباط وانهزام قوة الدرك بيومين ، وصل سليم مرجان رئيس عصابة المليحة ، وأخبر الثوار بأن الحملة التي سيرتها السلطة للانتقام من الثـوار وصلت جسر الغيضـة ، وتقدمت حتى الـطريق العام ، وكـان قد سبق هـذا الأمـر حـادث يستلفت

الأنظار ، وهو أنه قبل زحف الثوار على المليحة حينما كانوا بالغور التحتاني أي « الزور »، وصل اليهم شخصان، أحدهما عقيلي . فلما سألهما الثوار عن سبب مجيئهما أجابا : جئنا لنجدتكم ، فإن لدينا أربعين بندقية يحملها اربعون شخصاً ، واربعين شخصاً بدون سلاح ، ولكنهما بعد برهة تواريا عن الأنظار . وانضمّ الى الثوار سليم مرجان ، وكان قد وصل قبله بيوم بشير الهندي الطفل المليحاني (من الأحداث) . وهذا اعلمهم بأن الحملة وصلت جسر الغيضة ، فاستعد الثوار لمقابلتها . ودارت رحى القتال بين الطرفين ، وكانت قوة الثوار كما قيل ٦٥ بندقية .

اصطدم الجند بالثوار من الفجر حتى العصر ، وامتدت الجبهة من جسر الغيضة حتى حدود الحتيتة ، وكانت معركة حامية الوطيس ، ابلى المجاهدون فيها بلاء حسناً ، وقد قتل قائد الهجانة، واضطر الثوار لاجتياز المخاضة ، وكان يصحب الخراط كل من بديعة وحمدي الكناكري وعزت حمامية والطناني وثائر آخر ، فأصيب الخراط بكتفه فاستنجد باخوانه قائلاً لا تتركوني يا ربعي . فنقلوه الى أرض الخلالات ومن ثم الى عقربة . أبلى أبو عبدو ديب الشيخ في هذه المعركة بلاء حسناً ، وتمكن الثوار من دحر قوى العدو. وكشفوا مكامن الهجانة بحوش الدالاتي ، وقد تمكن الثوار من نقل الخراط تحت نيران العدو وامتطى أحد اخوانه فرساً وأردفه خلفه وأسرع يرافقه أربعة اشخاص وتركوه عند ابو عبد وغبور .

قوى الخصم

تقدر قوى الخصم بما لا يقل عن الألف وفي رواية ١٣٠٠ محارب ، وهي حملة مختلطة مؤلفة من سنغال ومغاربة وبدو وشراكسة و٢٠٠ دركي وبينها قوة الهجانة و٤ دبابات وبطارية بمدفعية جبل عيار فوهتها ٥ ـ ٦ س .

خسائر العدو

تعد خسائر العدو بالمئات ، وأما خسائر الثوار فهي ثلاثة قتلى وأربعة جرحى ، ويؤكد الواقفون على حقيقة الأمر بأن العدو مني بخسائر لا تقل عن ٣٠٠ ما بين قتيل وجريح .

ولا شك بأن هـذه المعركـة كانت الأسـاس لنمو الثـورة ، لأنها قوّت معنـوياتهم وعظمت شأنهم ورفعت رؤوسهم ، لقد كانت مفخرة من مفاخـر الثورة ، لأنها كـانت عاملاً أساسياً في تعضيد قوة الثورة .

ولكن الثوار لم يلاحظوا مسألة التجسس ، لأن العدو يصرف مبالغ طائلة في هذا السبيل ، ويتذرع بجميع الوسائل للوقوف على حالة الثوار ، فكان من واجب قادة الأمر أن لا ينخدعوا بالعقيلي ورفيقه وأن يكون الحذر والحيطة هدف كل ثائر فلا ينخدع ثائر بالمظاهر .

* * *

الهجوم على دمشق

بعد أن تمكن نسيب بك البكري من حشد قوى المقرن الشمالي خابر سلطان باشا بكتاب مفصل يبين له بأنه أصبح على استعداد تام لمهاجمة دمشق وقد وقع الكتاب المذكور بيدي وحفظته لكن السلطة استولت عليه بعدما وجدت حقيبتي في أحد البيوت بـواقعة النبك . فتذاكرنا مع سلطان باشا والشهيد البطل فؤاد بك سليم وزكي بك الدروبي ، وقـررت بأن التحق بنسيب يصحبني زكي بـك الـدروبي صـديق نسيب بـك الحميم . فودعنا سلطان باشا وتوجهنا نحو شقاء . ولما وصلناها وجدنا الثوار عائدين بالغنيمة الى الجبل . وكان سلطان باشا طلب بكتاب خاص من نسيب بـك بأن ينتـظرني في بيته ، ولكن الرسول تأخر بالسفر فما كان من نسيب بك إلا ان جمع قوى الجبل ، وزحف بها على دمشق ، وكان هدف الثوار احتلال القلعة .

انقسم الثوار الى قسمين ، قسم زحف من الشاغور ، وهي عصابة الشاغور بقيادة المرحوم الخـراط وقسم كان قـوامها القـوة الدرزيـة زحفت بصحبة نسيب بـك البكري وزعماء المقرن الشمالي من الميدان ونـزلت في بيت المهايني ، وأمـا القوة الـدمشقية فقـد استمرت بزحفها وحاصرت بيت العظم الذي كان مقـر الجنرال سـرايل ونجـا الجنرال بأعجوبة ، وهناك اشتدت المعركة ، وإليك ما نشرته الجرائد آنئذ بهذا الشأن .

المقطم : القدس الثلاثاء . ٢٧ ـ ٢ بعد الظهر مستعجل المقطم :

« دخل فرسان الدروز دمشق أمس والطيارات والمدافع تضربها وقد ثارت دمشق اليوم »

هافاس ـ بيروت ٢٠ اكتوبر :

« انضم الغوغاء الى عصابات الدروز التي تسربت الى ضواحي دمشق الجنوبية ونصبوا متاريس في الأحياء الاسلامية واضرموا النار في المخازن والبيوت . وقد ظل الجنود مستولين على المباني العامة والعسكرية ، واطلق الثوار نار البندقيات عليها ، فقابلت المدفعية هذا الفعل بمثله وأطلقت قنابلها في النهار والليل على الاحياء العامة ، وكان للاوتومبيلات المدرعة المعدة للهجوم تأثير عظيم ، فأخمدت حدة العصاة ، وكانت خسارة الجنود الفرنسويين يسيرة ، فيؤخذ من الاخبار الأخيرة ان كبار الأعيان في العاصمة قدموا خضوعهم لنائب المندوب السامي ، فأطلعهم على الشروط التي لا مندوحة لهم عن الاذعان لها والتسليم بها بلا تردد » .

واشيع بأن المدفعية دمرت الميدان . وان الطيارات احرقت حي الشاغور وسوق ساروجة ، ووزع قلم المطبوعات في بيروت البلاغ الآتي :

« انتهى الهياج الذي اثارته بدمشق حركة جبل الدروز وبعض العناصر المعادية للانتداب ، وقبل الوجهاء جميع الشروط المفروضة وهي وضع غرامة كبيرة وتسليم عدة الاف من البنادق » .

خسائر دمشق

زقاق سعدي عمود ١٥٠ داراً والحصرية ١٥٠ داراً ، والمعلط ١٠٠ دار .

واحرق في سوق العقيق خان وفندق وأحرقت في البزورية سبع دكاكين ، كما أحرقت دار آل العظم ، ومدرسة الإسعاف الخيري ، وخمس دكاكين في الدرويشية ، و٢٥ دكاناً وخمسة بيوت وبعض الدور بسوق ساروجة ، وحارة العيد ، وأحرقت ٧ دكاكين في مأذنة الشحم وخان البواري من حي اليهود وقسم من محلة حمام العاصي يقدر

عددها بثلاثين داراً ، وأحرق في سوق مدحت باشا ٤٠ محلاً تجارياً وفي محلة الخراب ٥٠ داراً و١٨ دكاناً .

وتقدر خسارة دمشق بثلاثة ملايين جنيه .

ونشر مكاتب التيمس برقية قال فيها :

« ان البلدة اصبحت خرابا ، ولكن الإصابات بالنفوس غير كثيرة » .

وقد زار وفد من وجهاء دمشق قائد المركز ، فطلبوا اليه ان يوقف اطلاق المدافع على ان يقوموا بكل ما تفرضه عليهم السلطة ، فرفض طلبهم قائلاً لهم ان السلطة قررت ضرب المدينة حتى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وعندها يمكنهم ان يعودوا فيناقشهم .

وقد تأكد بأن جماعة الخراط التي دخلت يوم ١٨ تشرين الأول سنة ١٩٢٥ لم يزد عددها على ٧٠٠ رجل على اعظم تعديل . وقد علمت السلطة بقرار العصابة مهاجمة دمشق قبل اثنتي عشرة ساعة ، ومع هذا كله لم تقم السلطة بأي عمل لرد العصابة وقد نشر احدهم مقالاً قال فيه .

قدرت البيوت المتهدمة بنحو ١٠٠٠ ، والضحايا ١٢٠٠ و١٥٠ مخزناً نهب الثوار بعض محتوياتها .

اما النهب فكان من قبل المتطوعين ولكن عصابة الخراط لم تتعرض لأحد من المسيحيين بل بالعكس حافظت عليهم وعلى اليهود ايضاً .

وقد اعتقلت السلطة كثيراً من الوجوه ومنهم الامير طاهر والأمير عز الدين والشيخ موسى الطويل ورشدي البكري وزكي بك العظمة .

وقد قتل من المسيحيين بين ١٨ و٢٠ من الشيوخ والنساء والأطفال وامرأة وثلاثة اطفال بسبب تهدم بيوتهم بقنابل السلطة في الميدان وشابان اصابهما رصاص الرشاشات ، وكانت المصفحات ترمي برشاشتها بدون تمييز على المارة وبيوت نسيب البكري وغيرها .

ان مهاجمة السيد نسيب دمشق بدت وكأنها لم تكن سوى خطة لإثارة الأهالي على السلطة ، مع ان السلطة لم يكن لديها قوة كافية لصد هجمات الثوار ، ولكن السيد نسيب بتركه الحبل على غاربه ونزوله ضيفاً في بيت المهايني أدى لحدوث اضطرابات

شديدة ، مع أن خطة الهجوم كانت لا بأس بها اذ كانت تقضي بأن يهاجم الثوار القلعة كما كان بامكانهم القيام بحروب الشوارع واحتلال معظم مناطق دمشق الشرقية حتى شارع جمال باشا . ولكن بسبب عدم المام نسيب بالفنون والخطط الحربية ، ادت مهاجمته لخراب دمشق ، هذا من جهة ، ووقوع كارثة عظمى من جهة ثانية .

اما الثورات الصحيحة فيجب ان تكون مستندة على خطط صريحة ومعينة . فهذا الهجوم كان سيؤدي لاحتلال دمشق حتما لعوامل شتى ، اهمها عدم وجود قوة كافية للسلطة للدفاع ، وثانياً حصر النقاط العسكرية والابتعاد عن الأماكن المأهولة بالسكان . ثالثاً ، اتخاذ تدابير صارمة لمنع تسرب الفوضى وقمع عوامل النهب والسلب ، رابعاً كان بالإمكان جمع أموال لا بأس بها من البلدة تنفق على الثورة وتنظم خطط دفاع في الشوارع والمنعطفات، خامساً وجود قسم كبير من الأهلين في الثورة مع انه لم يشترك بهذه الحركة سوى فئة ضئيلة من الشاغور بقيادة المرحوم الخراط ، وهي التي ابلت بلاء حسناً ، أما عصابة الدروز فقد اكتفت من الغنيمة بالنهب والإياب. فلو ان السيد نسيب لم يسرع بالهجوم وتريث لكان التحق به القواد ، ونظمت خطة محكمة لاحتلال مناطق دمشق ، ولسارت الثورة على منهاج منظم . . لكن العجلة من الشيطان وهكذا باء هجوم نسيب بالفشل ، وانسحب على اثر مداخلة السكان وكانت النتيجة ان غرمت السلطة دمشق بـ ١٠٠ الف جنيه ، وثلاثة آلاف بندقية .

وقد أظهر حسن المقبعة شجاعة نادرة وقتل بعض الجنود ممن كان يحرس دار العظم ولكنه استشهد رحمه الله .

* * *

يعد ضرب الافرنسيين دمشق وصمة عار تاريخية في جبين الأمة الافرنسية لأن ضرب المدينة على هذا الشكل يعد ضرباً من ضروب الهمجية ، فقد خربت السلطة معظم حيّ الميدان فضلاً عن حوادث ذهب ضحيتها الأطفال والنساء والرجال ، علماً بأن القوانين والشرائع المدنية والحربية تحرّم ضرب مدينة بكاملها . لقد كانت أعمال الافرنسيين من الوحشية بحيث فاقت فظائع نيرون وهلاكو وحتى تيمورلنك .

٤١

دمشق الخالدة ! مهد البطولة ، تقذف بمئات الألوف من القنابل ، وتيتم فيها الأطفال وتخرب المساكن ويزج احرار البلاد بالسجون ، وتوضع غرامة باهظة على السكان الذين لا ذنب لهم سوى الرضوخ للقوة ففي ذمة التاريخ أيتها المدينة الخالدة ! . . .

العصيان في دمشق
ثوار الدروز يدخلونها

قالت المقطم :

« تلقينا التلغراف التالي المستعجل من مكاتب المقطم الخصوصي ببيت المقدس ، بعد الشروع في طبع المقطم عصر الثلاثاء ، فأمسكنا عن نشره خوفاً من ان يكون فيه مبالغة اذ لم نكن نظن ان رجال السلطة العسكرية في دمشق يضيعون صوابهم ويأمرون بإطلاق قنابل المدافع والطيارات على مدينة عظيمة آهلة بالرجال والنساء والأطفال ، بل هي اقدم مدينة تاريخية ، ولكن ظهر بعد ذلك ان الخبر صحيح برمته » . وهذا هو نص التلغراف :

القدس الثلاثاء الساعة ٢:٣٧ بعد الظهر
مستعجل ـ المقطم بمصر

« دخل فرسان الدروز دمشق امس والطيارات والمدافع تضربها وقد ثارت دمشق اليوم »

مراسلكم

وفي المساء وزعت وكالة « هافاس » التلغراف التالي :

« بيروت في ٢٠ اكتوبر ـ انضم الغوغاء الى عصابات الدروز التي تسربت الى ضواحي دمشق الجنوبية ونصبوا متاريس في الأحياء الاسلامية وأضرموا النار في بعض المخازن والبيوت » .

وقد ظل الجنود مستولين على المباني العامة والعسكرية واطلق الثائرون نار البندقيات عليها ، فقابلت المدفعية هذا الفعل بمثله وأطلقت قنابلها في النهار والليل على الاحياء العاصية ، وكان للاتوموبيلات المدرعة المعدة للهجوم تأثير عظيم ، فأخمدت حدة العصاة وكانت خسارة الجنود الفرنسويين يسيرة .

ويؤخذ من الأخبار الأخيرة ان كبار الأعيان في الاحياء العاصية قدموا خضوعهم لنائب المندوب السامي فأطلعهم على الشروط التي لا مندوحة لهم عن الاذعان لها والتسليم بها بلا تردد .

وقد وصلت الى راشيا فصيلة فرنسوية بقيادة الكولونل كابترال ، وهي التي تطوف في جنوب لبنان ، فردت الى الجبال عصابات الدروز التي كانت تنهب القطعان .

واحتلت القوة الفرنسوية الكبرى في جبل الدروز في حوران قرية بصرى اسكي شام من دون قتال .

وحاول بعضهم تعطيل سكة الحديد بين دمشق وبيروت فعرف الأمر في الحال ، ولم يقع من جرائه سوى تأخير يسير في سير القطارات ، وظلت المواصلات منتظمة بين دمشق ودرعا بفعل القطارات المدرعة .

وعاد الجنرال سرايل المندوب السامي امس من درعا الى دمشق بعد ما زار قواعد الأعمال العسكرية للقوة التي تقاتل في جبل الدروز .

اما في غير هذه المواضع فالسكينة مستتبة .

* * *

بيروت في ٢٠ أكتوبر - انتهت ثورة دمشق وقد قبل الأعيان ان يدفعوا غرامة كبيرة وأن يسلموا الوفاً من البنادق .

ترجمة حياة القائمقام زكي الحلبي

في وعرة زاكية ، وبين صخورها الصلدة تمكنت قوة ضئيلة لا يتجاوز عددها الثلاثين من المجاهدين بقيادة نخبة من انجب الأبطال في الوطن العربي من التغلب على العدو الغاشم ، وكان ذلك بعد أن انسحبت هذه القوة من الغوطة وبعد وقعة ترما المشهورة ، تلك الوقعة التاريخية التي سجلت لأبطال سوريا مفخرة على مفاخرهم الماضية ، ومنحتهم شرفاً لا يمحوه كرّ العصور ولا توالي الدهور . هناك استشهد المرحوم زكي بك الحلبي ، أحد أبطال الأمة العربية الذين عرفوا بدهائهم الإداري ، وانضباطهم العسكري . لقد كان أمثولة في الأخلاق الفاضلة وقدوة في الفداء والتضحية . ففي سبيل الواجب القومي خرّ هذا البطل صريعاً في أول سهل يتصل بهذه الوعرة المقدسة ، تلك الوعرة السوداء ، التي يجب على كل فرد عربي ان يجعلها أمام عينيه كنصب أبدي مقدس لأنها أصبحت مأوىً لرفات العدد الكبير من الأبطال الذين اوقفوا حياتهم على خدمة قومهم واستقلالهم .

كان زكي في الجناح الأيسر من هذه الوعرة يحميها ببندقيته ، كما يحمي الأسد أشباله وهو رابض في عرينه . وكان الى جانبه من المجاهدين أبو سليمان الرجلة وابو خالد سلام . وكانت تنساب قوى العدو من معبر امامه ويفصل السهل بين الوعرة والمعبر ، فلاحظ زكي بك خطر تقدم العدو من هذه الجهة فخرج كالأسد قاذفاً بنفسه الى السهل ، فتصادم مع العدو في هذه الجهة وانسحب على أثر انسحاب القوى الى مخيم النعيم قاذفاً بنفسه الى السهل متجهاً الى الغرب ، بعد ان بدأ اخوانه بالانسحاب ، وكان خليل بصلة يرقب انسحابه وبما ان النهار قد اندحرت جيوشه وهاجمتها جيوش الليل الدامس ، فقد تمكن زكي بك من الالتجاء الى عرب النعيم المخيمة في تلك الجهات .

قضى زكي ليلته عندهم وفي الصباح توجه نحو فرسه لفك قيدها،لكن شيخ القبيلة طلب اليه ترك فرسه لأن نصفها له ، وهو شريك ابن الصباغ الميداني ، فأبى زكي بك وأراد المقاومة فما كان من ذلك الخائن إلا ان صوب بندقيته الجاهزة نحو المرحوم بسرعة واراده قتيلاً .

كان زكي بك مربوع القامة ، تخرج في المدرسة الحربية في القسطنطينية سنة

٤٤

١٣١٨ هـ وترقى لرتبة رئيس، والتحق بالثورة العربية حين وصول الأمير زيد للطفيلة. وكـان قبل ذلـك يحارب في الجيش التـركي تحت قيادة حـامد فخـري فاتـح بخـارست المشهور ، ثم ترقى في الجيش العربي لرتبة قائمقام عسكري ، وكـان في عهد الحكـومة السورية المستقلة قائداً للواء حوران .

ولما نشبت الثورة السـورية المقـدسة ، انضم اليهـا في كانـون الأول سنة ١٩٢٥ وكنت أنا وأبو عبدو سكر والأمير نسيب شهاب والشهيـد فائق العسـلي وخليل الحـوي وغيرهم في (بيت سحم) وكان أكثر تجواله في أول الأمر مع ابو عبدو سكر ، ثم مع ثوار الأكراد ، ومع صادق بك الطاغستاني ، فكان خير صلة لخير عمل . وبعدها اخـذ على عاتقه قيادة منطقة الغوطة الجنوبية واشترك في جميع معارك الغوطة ووقائعها ، الصغيـرة منها والكبيرة ، وله يد طولى في التنظيم ، وهـو من اعظم اعضـاء المجلس الوطني ولـه الفضل في معارك غوطة الكبرى وجوبر ، ومعارك الميدان ، ومعارك الشمال ، ومعارك التطويق ووقائع الغوطة الأخيرة .

ولا أنسى تأمينه لخط رجعتي يوم انسحابي على اثر وقعـة النبك المشهـورة ، تلك الوقعة الهائلة التي هاجمني فيها الجنرال مارتل بخيله ورجله وعدده وعسكره بقوى تتجاوز العشرة آلاف وكان العدو يكمل حركة تطويق قواتي وتـطويقي والقضاء عـلى متراسي ، فكان دفاعه عند انسحابي اكبر سبب في المحافظة على حياتي ، اذ كدت أقع اسيـراً لولا وقفتـه في التل المتحكم بـطريق النبك ، ومعـه كثير من الأصـدقاء ، بينهم صـادق بك الطاغستاني والشهيد احمد منلا ، فضلاً عن بسالته وثباته في وقعة يلد الأخيرة .

كنت مع الشهيد محمود المغربي والشهيد مصطفى عـاشور وشـاب نابلسي يسمى حسيناً عندما وقف زكي بك نفسه فأردفني على راحلته الى ان عثرت على فـرس . كان رحمه الله مثال الشهامة والبسالة وعنوان البطولة والحكمة ، عالماً ادارياً ومتفانيـاً في حب وطنه وتحريره ، ولا أنسى مواقفه الأدبية وارادتـه الصائبـة الحازمـة في استمرار الكفـاح وإحياء الثورة . فكان بدراً ساطعاً في افكاره وتدابيـره العسكرية ولا عجب في ذلك لأنه ابن بجدتها وحامل لوائها ، ولم اشعر يوماً بالقنوط يتسرب الى روحه وقد حارب في معظم مناطق الثورة وبخاصة مصادمات الشمال لقطع الخطوط الحديدية .

ان الثورة السورية فقدت به رجلاً لا يقاس بالرجال ، واداریاً عملياً صامتاً يفعل ولا يتكلم .

اني اذرف من مقلتي الدمع الهتون على مضجعه الأبدي الـذي بقي مجهولاً لـدينا حتى هذه الدقيقة .

استرح أيها البطل المقدس في نعيم الفردوس بين الحـور العين ورفـرف بروحـك المقدسة الوثابة فوق رؤوسنا ، ورتل علينا من السماء أيات البطولة الخالدة .

وها انذا انادي بملء فمي كلّ من يهمه نجاح هذه القضية المقدسة ان ادركوا ارملة زكي ووالدته وأطفاله الذين ينوحـون عليه آنـاء الليل وأطـراف النهار . كفكفـوا دموع عائلته وآله بدفع الفاقة عنهم .

أيها الشاب السوري . رتل آيات الاجلال وامش مرتفع الرأس في مشارق الأرض ومغاربها وافخر بأن أساس استقلالـك قد بني عـلى جماجم الشهـداء وفي طليعتهم فؤاد سليم ورشيد طليع واحمد مريود وعادل نكد وفائق وحكمت العسلي وفؤاد ارسلان وعلاء الدين الكيلاني وشوكت العائدي وعبد القادر مليشو ومظهر السباعي وابراهيم صـدقي ومحمد علي الدروبي وزكي الشوربجي وزكي المرادي وخطاب وابراهيم ومصطفى عاشو ومحمود حمدي السمان وعبد العزيز الزين وعبد الـوهاب الـرجلة وسعيد البـري اولئك نخبة ابناء سورية وضباطها .

نم واسترح يا زكي بك في مرقدك ، نومة الشهداء الاحياء عند ربهم ، فأنت حيّ في قلوبنـا وفي تاريـخ سوريـا الشهيدة النـاهضة ، وهـا أنـذا أودعـك بـاسم البـطولـة العسكرية ، واقسم لك اني لا أترك جهادي أنا واخـواني المجاهـدين من الضباط مـا لم نصل الى بغيتك وهدفك وهو تحرير بلادك واستقلالها .

السفر الى الغوطة
والاجتماع الى نسيب
الخراط بالغوطة ـ انسحاب نسيب

وصلنا خلخلة وكنا أربعة ، فؤاد سليم ، ونصري سليم ، وزكي الدروبي ، ومؤلف هذا الكتاب . حللنا ضيوفاً في بيت مغوش، وتذاكرنا مع المغوش بشأن عربان السلوط وبوجوب الاتصال بابن الغصين ، وكتبنا تقريراً مشتركاً ارسلناه لسلطان نحثه على توسيع نطاق الثورة ووقعنا عليه ، ومن ثم ودّعت الاخوان ويممت وجهي شطر الغوطة ، فصادفت بطريقي دروزاً يحرسون أسرى دوما ، وهم النائب الحموي على الضبطية واثنان من رفقائه احدهم كردي ، فاستوضحت منهم فاعلموني بمهاجمة دوما من قبل محمود كيوان فاستأنفت سيري حتى وصلت الجديدة . هناك شاهدت قوى الدروز محتشدة ، لكنني توجهت نحو دار المختار حيث التقيت بنسيب وبحثنا مسألة زحف القوة على دمشق ، فأعلمني بأن رمضان شلاش معسكر في العتيبة فتذاكرنا مع رؤساء ثوار الدروز ومنهم السيد سعيد بك عز الدين ، وابو خمري زيد عامر وغيرهم من الرؤساء .

قررنا اعلام رمضان عن خطتنا ودعوته الى الغوطة ، ولما قطعنا حبل الرجاء من مجيء شلاش ، سرنا ليلاً وتوجهنا نحو دير العصافير وشاهدنا دمشق بأنوارها المشعة التي كانت تبدد جيوش الظلام فيا له من منظر خلاب . أما دليلنا في تلك الرحلة فكان احد المجاهدين الذي جرح في احدى المعارك .

لله ما أبدع منظر دمشق من الغوطة ، دمشق اللؤلؤة الوهاجة التي ينتشر في سمائها وتمتد في آفاقها انوار المصابيح الكهربائية فتنير الحدائق والبساتين وتضفي على الطبيعة جمالاً لا يضاهيه سوى تألق الكواكب في السماء الصافية .

ما أشبه دمشق بجنة يغمرها النور وترتع في جنباتها الحور ، دمشق مهد بني أمية ومرتع بطولاتهم وموئل تراثهم ووارثة امجادهم تحيط بها الغوطة التي كانت تغرق في السكون ويخيم فوقها الهدوء .

وصلنا دير العصافير ليلا ، فنزلنا في دار الصواف واحتللنا حانوته ، وجمعتنا

الصدف هناك بالسيد جمال افندي النشواتي ، فأكـرم وفادتنـا أيّما اكـرام ، وفي الصباح جاءنا المرحوم الخراط يصحبه أبو دياب الكردي وسعيد عدي ، فلما دخل الغـرفة القى السلام وكنا نتناول طعام الافطار ثم اضطجع وهو مدجج بالسلاح ، وجلس الى جانبه الأيمن ابو دياب الكردي وسعيد . والمرحوم رجل مهيب طويل القامة حنطي اللون وسيم الطلعة . وقد بادرنا بالحديث قائلاً ، أؤلاء الكفرة يهدونني بقتل فخـري ، فليكن فداء للوطن .

وبعد ان اتمم حديثه قررنا ارسال قوة لاستطلاع حالة العـدو وقوتـه التي وصلتنا أخبارها بأنها ستزحف على مرج السلطان . فأرسلنا قوة من الدروز لهذه الغاية . وأعلمنا المرحوم بأنه سينجدنا بقوته وبين لي أسفه الشديد لقتل ابن الصواف قضاء وقدراً حينـما كان آتيا لتزويدهم بالعتاد، ذهبت قوة الكشف حتى جسر المطير أما نحن فغادرنا الحانوت خشية عليه من الدمار من الطيارات ، وأعلمنا السكان بأن حملة زاحفة نحونا من المرج بالاضافة الى حملة اخرى زاحفة من دمشق .

ابو صلاح العرجاء

متخفياً بمئزر النساء

جعلنـا مقرنـا ببيت التركمـاني ، وانتظرنـا مجيء قوة الكشف التي ارسلنـاها واذا برجال من اهل القرية يهرعون الينا ويعلموننا بأنهم قبضوا عـلى جاسـوس فطلبنـا جلبه وتبيناه فعرفه نسيب بك بأنه العرجاء ، فسلم على نسيب بك وأخرج مسدسه البارابلو ، واعلمنـا بأنـه رافق الحملة وفي الطريق هـرب متخفياً بمئـزر النساء ، فقـد كان حليقـاً كالنساء . فهـذا الشيخ المجاهد المتعصب لا تميزه عن النساء اذ لا شارب له ولا لحية ، ولكن لـه قلباً كـالصخر او هـو اقوى . ومـا كاد يلقى نسيب بصـره عليـه حتى اسـرع وعانقه ، فقص عليه ما جرى له وكيف رافق الحملة الزاحفة على مرج السلطان وكانت الحملة وصلت بـزينة بعـد نسيب الذي قـرر الانسحاب ، وبعـد هنيهة وصـل نـوري القصاب الذي استشهد بوقعـة تل الشيـخ في زعنبر وحسن بـك مردم بـك الذي قتـل بانفجار القنبلة .

هروب الإخوة البكري

خرج اولاد البكري بمآزر النساء من حارة الأكراد وقد استأجروا ولداً كردياً بأربع ليرات يدلهم على الطريق ، ومعهم بديعة فأتوا الى الجديدة ونزلوا في بيت جورية .

وحينما اعلموا نسيب بوصولهم ارسل لهم شبلي وأخاه ولدي سعيد عز الدين فتوجهوا بهم الى الرضيمة .

ولما وصلوا الهيجانة طلبوا من سعيد شيخ الهيجانة راحلة، فتمنع واجتمعوا هناك بعز الدين الزين ، ولما سمعوا كلمات قارصة من شيخ الهيجانة غادروها الى الجربا ، وأخذوا فرس فخري بك البارودي ، ومنها الى الجديدة والهيجانة ، فأحضر الثوار لهم فرساً من خيول الدرك وكديشة ، وساروا الى البيطرية حيث اجتمعوا بأبي خمري ، ومن ثم سافروا الى الجبل ونزلوا بالرضيمة ، ومنها انتقلوا الى شقا والسويدا واجتمعوا بسلطان والشهبندر وبسعيد العاص مؤخراً وكان الشهبندر يجيب اندريا عن كتابه .

عود على بدء

عادت القوة الاستطلاعية ، وتقرر اجتماع الثوار بالهيجانة ، وكتب نسيب بك للرؤساء بهذا الخصوص وأنابني عنه بحجة انه يريد ان يذهب لأجل مشاهدة اشقائه واخذ معه مساء سعيد عز الدين على أن يكون اجتماعنا بالهيجانة وبقيت مع فلول الثوار في حين كانت الطيارات تحوم فوق دير العصافير وجهات بزينة . أما القوة الاستطلاعية فقد تمكنت من قتل جنود وحراس خفر جسر المطبر ، وهكذا بقيت وحيداً ، بعد ذهاب نسيب مساء مع سعيد عز الدين لرؤية اخويه بشير وفوزي وابن اخيه ، رغم اني بذلت قصارى جهدي لابقاء نسيب الا أنه أبى . وأما اصطحابه محمد سعيد عز الدين فقد اضعف قوى الدروز الذين اصبحوا كالغنم بلا راع ، لأن سعيداً كان قائدهم .

وكان هناك شراذم ثوار من الدمشقيين امثال سعيد الاطن ، وخليل بصلة وغيرهم فقررنا الذهاب الى الهيجانة وفعلاً توجهت نحوها ووصلتها .

الطائرات تقذف الهيجانة بالقنابل

احتشدت فلول الثوار بالهيجانة في بيت سعيد عرابي الكائن في مدخل القرية ، وكان من المجتمعين كل من خليل بصلة وسعيد الاطن والشيخ حجاز واشقاؤه وعز الدين الزين وابو دياب الكردي وسعيد عدي (ومسلم وردة الجاسوس) وبعد ان انعقدت الجلسة سمعنا رمي الطيارات على قرحتا فخرجنا لمشاهدة القذف فكانت اعمدة الغبار تتصاعد في الأجواء ، وبعد هنيهة هاجمت سبع طائرات وبدأت تقذف قنابلها على القرية واليك أيها القارىء وصف ما جرى في الجلسة :

تذاكرنا بوجوب الاحتفاظ بالقوة الثانية وبقوة الدروز والعودة الى الغوطة بانتظار عودة نسيب الذي علمنا بأنه اصبح في الجبل .

وكان عز الدين الزين يلبس فوق بزته العسكرية قمبازاً طويلاً وبينما كنا نتبادل الاراء كان خادمه يخرج من الغرفة ويتهامس مع ابي دياب وسعيد عدي ويعود فيكلمهم بالكردية . .

ولما وصلت الطائرات خرج بعضنا من الغرفة وهم خليل بصلة وابو دياب وسعيد الاطن ، ولم نتمكن نحن من الخروج لأن الباب امتلأ بالثوار ، فوقفت في الشباك وكانت الطائرات تلقي قنابلها بجوار غرفتنا ، فسقط مرجل طوله متر ونيف بين سعيد الاطن وأبي دياب والثاني سقط خلف غرفتنا ، ولكن الذي سقط أمام باب الغرفة لم ينفجر ولو انفجر لأودى بحياتنا كلنا .

أما الطائرات فكان عددها سبعاً تتناوب في الاغارة مرة أربعا ومرة ثلاثاً واستمر القذف مدة طويلة حتى المساء ولكن الله لطف بنا جميعاً .

وانتهت هذه المهاجمة الجوية الفجائية بقتل شاب من عائلة الترجمان التحق حديثاً بالثورة ، وجَرح امرأة وطفلها ، وقتل عدد من الحمير وهجر السكان القرية .

استشهاد الضابط عز الدين الزين

عودتي الى الجبل

قبيل الغروب غادر السكان القرية الى جورة النفل ، وانسحبت قوة الدروز الى الجبل ايضاً ، ولم يبق غير اشخاص يعدون على الأصابع ، وشرادم من ثوار دمشق . فوقف سعيد عدي ومسلم وردة وأبو دياب (بجانب المطخ ـ الرام أي الماء الذي يشكل بحيرة صغيرة من مياه الأمطار) .

وكان بجانبهم الضابط عز الدين الزين وخادمه الكردي ، فلمحته واقتربت منه وطلبت منه ان يذهب معنا الى الجبل ، وكان ينتظرني كل من خليل بصلة وسعيد الأطن والشيخ حجاز ، فأخذته ولم اتمكن من اقناعه بالسفر معنا ، واجابني أحد الأكراد اننا نلتجىء الى الحوانيت حتى تعودوا . فودعناهم بعد أن ارسلت خليل بصلة للمومى اليه ليعدل عن البقاء فرفض ، ولما أسدل الليل سدوله غادرنا الهيجانة بصحبة فئة من الدروز كأدّلاء لنا .

وأما عز الدين ، فهو ينتمي الى أسرة معروفة بدمشق ، وكان ضابطاً بخربة الغزالة فوضع يده على أجور جمالة حوران وفر بالأموال الى الجبل ، وهي المبالغ المخصصة للحوارنة الذين استخدموا بحملة غاملان .

ويقال بأن المبالغ لا تقل عن الخمسة الاف جنيه ورقا ، وأهدى فرسه الى احد الشيوخ ، ومنها اتى الى الغوطة ، فانتهز خادمه فرصة وجود أبي دياب وسعيد عدي فأطلعهم الخادم على حقيقة امر ضابطه فأقنعوه بالبقاء معهم ، ولكنهم لم يتركوا له فرصة للنوم اذ قتلوه واستولوا على ماله بعد انسحابنا ، وذلك بناء على ما اعلمني به خليل بصلة بعد انتهاء الثورة ، اذ كانت حصة كل فرد منهم الف وخمسماية جنيه .

وهذه خيانة كبرى يجب تسجيلها بمداد أسود ، لأنهم أضاعوا ضابطاً وطنياً من خيرة الضباط وكان يؤمل منه للثورة خير فذهب رحمة الله عليه ضحية ماله وسذاجته .

الحالة المعنوية في الغوطة

لم تثر الغوطة بعد ، ولم يكن بالغوطة سوى جماعة المرحوم الـذي توارى عنـا بعد اجتماعنا به في دير العصافير ، ولم يكن في قرى المرج ثائر سوى قرية الغزلانية ، ولم يكن حدث بالغوطة سوى وقعة الزور الأولى ، وكان رمضان شلاش توجه بقواه الى الشرق ، وقوى سعيد عز الدين الى الجبل وبذلك خلت الغوطة من الثوار .

وكانت أول ثغرة تفرقة قد حدثت بين نسيب وشلاش حين تطاحنا على الزعامـة فأدت هذه الأحوال الى تبلبل الأفكار ، وأحدثت قلقاً بل هلعا عظيماً في نفوس الثوار .

في طريقنا الى الجبل

علم القارىء بأن نسيباً انسحب وسلمني زمام الـوكالـة ، وكلفني أن أوقع عـلى الأوراق هكذا :

« الفقـير اليه تعـالى نسيب البكري » ، فـأبـدلت كلمـة نسيب البكـري بسعيـد العاص . وانسحاب نسيب من الغرائب ، اذ كان بإمرته ثلاثماية بندقية ، وهذه قوة لا يستهان بها ، ولكن كانت له طباع غريبة ، فبينما تراه يتأجج حماساً ويزج الناس في أتون الحرب إذ به ينسحب ويترك الدار تنعي من بناها .

فالذي حرّم نسيباً من زعامة الثورة هو اسراعه في الانسحاب ، مع أنه كان المجلّي في ميادين الاقدام والاقتحام . غادرنـا الهيجانـة ووصلنا المطح والليل يستـرنا بسحبـه الكثيفة فاضطررنا لأخذ قسط من الراحة ، فجمعنا كمية من الشيح وأشعلناها وتدفأنـا بها إذ كان البرد قارصاً . نمت قرب هذه النيران المستعرة وأنا أتلذذ بـرائحة نـار الشيح الذي يحمل عبقاً طبيعياً ينعش الأفئدة . وبينما كنت اغط في نومي ايقظني رفقـائي على طلقات البنادق، فانتبهت واستأنفنا سيرنا، وأضعت قلمي «ستيل» الأمريكاني، وجعلنا وجهتنا صوت طلقات البنادق لنعرف حقيقة الأمر . بلغنا الصورة عند مـطلع الشمس وهناك سألنا الرعيان عن المعركة الليلية ، فأعلمونا بأن معركة نشبت بين عربان السلوط

وبين دروز خلخلـة ، ولم يكن من الدروز سوى سعيد المغوش ابن سليم فقتل . والمسألة هي عبارة عن اختلاف على غنم ، ولكنّ لهذا الحادث مغزى سياسياً قوياً وهو إشعال نار الانتقام بين العرب والدروز خدمة للمستعمـرين ، لكي لا يتّحدوا في المستقبـل . وقد استفادت السلطة من هذه الحوادث، وهذه من الضربات التي كانت من العوامل الهدامة للثورة كما سنأتي على تفاصيل ذلك في وقائع اللجاة .

حَمْلة الإقليم

اجتمعنا هناك بالشيخ حجاز وكان حافياً حاسراً ، وبأبي صلاح العرجا ، وعلمنا بأن حملة الاقليم يقودها زيد بك الأطرش بقرية لاهتي ، وان نزيه بك في بيت سعيد عز الدين ، وانه عاد من فلسطين . فذهبنا الى لاهتي لأنها مقر القيادة ونزلنا في بيت شبلي عز الدين ، وهو الذي اشتهر بنهبه وسلبه بالغوطة ، وحينما وفدت جموع المجاهدين سمعته يسر لأحد اقاربه قائلاً (من يشبع مرقعي العبي الجياع ، هؤلاء عبارة عن كـلاب) . فاشمأزت نفسي منه وغادرت بيته ، وذهبت لبيت عبد المجيد باشا ، وكان هناك صيّاح بك الحمود وزيد بك الأطرش وغيرهم . وأما بيت عبد المجيد باشا فهو يحتوي على بهو جميل واسع فرش بأثـاث جميل دمشقي ، وهـو قصر جميل للغـاية ، فيـه من الطنـافس والفرش ما لا يوصف . فتذاكرت مع زيد بك وصياح بك وأعلمتهما حقيقة الموقف في الغوطة ، وبينت لهما مطالعاتي بالتفصيل بشأن تعطيل الخطوط وكيفية الهجوم على دمشق على خارطة عسكرية كنت أحملها .

طليعة ثوار الغوطة

لقد سبق نشوب الثورة السورية دعاية دينية منظمة غير الدعاية السياسية ، وهذه الدعاية الدينية التي كان يقوم بها رجال الدين تحض البسـطاء على الجهـاد ، وتألفت في احدى احياء دمشق جمعية سرية دينية يرأسها رجل ديني كبير يساعده في ذلك شيوخ من الـطبقة الثـانية نضـرب صفحاً عن اسمـائهم الآن رغم معرفتنـا بها . وهـذه الجمعيـة بالاضافة الى اهدافها الدينية كانت ترمي لغاية سياسية، وهي توحيد اعمالها مع الأتراك

او الانضمام اليهم . واعضاؤها من البسطاء الـذين كانـوا يحلفون الايمـان المغلظة على السيف والمصحف في دار أحد رؤساء الجماعة في العمارة . وكان اول المنضمـين للثورة هو المدعو أبو عبدو ديب الشيخ الذي حينما جاء رجال التحري للقبض عليه فر من بيته والتحق باخوانه الذين كانوا قد سبقوه الى الزور ، وعددهم لا يتجاوز اصابع اليد ، بينما رجالات أحزاب سوريا تتخبط في دياجير القرارات الثوروية ، واليك اسماء طليعة الثوار في الغوطة . الشيخ نديم عابدين ، ابـو صلاح العـرجا ، عبـد الوهـاب ؛ الشيخ ابـو سليمان العرجا ، استشهد في وقعـة زاكي ، شريف لبـاد قتل امـام بيت العظم ، ابن زريق قتل في وقعة جسر المطير بقنبلة سقطت من طائرة ، خيرو الشقراء من العمـارة ، صالح النجار قتل من قبل كامل الشماط مع ابن البواب سعيد القلعجي ، الشيخ نديم عابدين ، شفيق سكري قتله المتطوعة في الميدان والقي القبض عليه مريضاً ، ولما ارادوا احضاره تمنع واعتصم بعمود الكهرباء ، الشيخ عرب ، ابو فهد الجويراني ، الطناني ، المرحوم الخراط .

وبعد دخول دمشق التحق الثوار الآتية اسماؤهم :

أبو عبدو فارس ، الشماط ، شفيق ابو فهد الجوبراني قتل بمعركة عين نرما وسلخ وجهه ، ابو فارس محمود الشيخ ، الشيخ ابو سعيد البويضة ، الشيخ محمد الفحل .

قبض محمود كيوان بدوما على نائب الدرك ، اذ اخرجه من الخزانة واسمه احمد رمزي الصنطية الحموي ورفقائه الثلاث ، وغنم ٤ بنادق وصندوق قنابل وخمسة رؤوس خيل ، وطلب من المال ١٠٠ ليرة وانسحب .

استعمل الثوار في مهاجمة بيت العظم قناني مملوءة اسبيرتو ، ووجد امام بيت زكي الركابي اربعة قتلى منهم ثلاثة دروز والرابع مسيحي .

ومن فظائع الافرنسيين حرقهم خمسة أشخاص من كفر بطنا بالبنزين وبياع الحليب مع حماره ، واربعة جمّالة شواغرة مع جمالهم وهم رضا الكيالي ، وصالح شينابو ، وسعيد الكحل .

وقد كلفني زيد بك بالعودة معه ، فأعلمته بأني أرغب ان اجتمع بـالقائـد العام . وإليك بعض مطالعاتي لزيد بك :

١ ـ توحيد قوى دمشق مع قوى القنيطرة .

٢ ـ الابتعاد عن النهب والسلب ، لأن عامل النهب هو الذي أدى لفشل نسيب باحتلال دمشق .

٣ ـ تعطيل الخطوط الحديدية من الشمال والجنوب .

٤ ـ اقتحام دمشق من جهات مختلفة ومعينة .

واعلمته ايضاً بأن ممدوح عامر ونايف وغيرهم كانوا من عوامل الفشل لإقدامهم على النهب ، كما ان حركة شلاش باءت بالفشل كما سنبين ذلك في حركات شلاش . ومن ثم ودعت زيداً وسرت الساعة الثالثة ليلاً بالتوقيت العربي وبصحبتي علاء الدين المسوتي فقط ماشياً على قدميه ، فجمعتني الصدف بالشهيد ابراهيم بك الأطرش الذي استشهد مع محمود البربور في الخيارة من قذف الطيارة . فأعلمني بأن سلطان باشا بريمة ، فنمت في قرية درزية ، وحين اشرقت الشمس اجتمعت بالشهيد فؤاد بك يصحبه الأمير حسن وسعيد اليماني وشقيقه نصري وهو محمل بغلاً رشاشاً وبغلاً آخر عتاداً ، فسلمت عليه ، وشدد على ضرورة اجتماعي بسلطان باشا لأنه وصلت اليه دراهم وعتاد .

وصلت ريمة ، فعلمت بأن سلطان غادرها الى مردوك فاجتمعت به فيها ، وكان معه اولاد البكري والشهبندر ، فسلمنا عليهم جميعاً . وكان اولاد البكري يكتسون كسوة (زوكرتية) وكان الشهبندر يكتب الرد على كتاب اندريا . وقد عرض علينا هناك احد الدروز آلة كاتبة بأربعة مجيديات فلم يقدم الشهبندر على شرائها ، كما اني كنت قبل مغادرتي الغوطة طلبت من نسيب ربع مجيدي فلم يتمكن من ان يقرضني هذا المبلغ الضئيل .

وقد علمت بأن السندروس أرسل لي ليرتين وعلى ما يقال من جيبه الخاص ، وان المبلغ محفوظ لدى الدكتور الشواف ، فلم استطع ان اخذ غير اربعة عشر مجيدياً أي جنيهاً ونصف جنيه بكل مشقة وصعوبة ، لأن الشواف صرف المبلغ على الثوار . وذلك في ٧ شباط سنة ١٩٢٥ .

وأتت سيارة تحمل من فلسطين السيد عبد الرحيم المدفعي فذاعت اشاعة بأن المبلغ ألف جنيه ، ولكن الحقيقة كما نقلها لي بنفسه في اريحا انها اقل من ٦٠٠ جنيه .

وبعد ان كتب الشهبندر الجواب قررنا السفر الى السويداء وهذه صورة الكتاب :

وثيقة تاريخية

جواب سلطان بقلم الشهبندر الى اندريا

من زعماء الثورة الوطنية في جبل الدروز الى صاحب السعادة الكولونيل اندريا المحترم .

تناولنا بمناسبة زيارتكم الكريمة بصري اسكي شام دعوتكم السامية الى السلم ثم تبلغنا مع سليمان بك عبده رسالتكم الشفاهية ، فحمدنا سعادتكم على هذه الغيرة الشريفة لايقاف رحى القتال بين سورية التي تنشد الحرية ببذل النفس والنفيس ، وفرنسا التي دل تاريخها على احترام مثل هذه الحرية . ذكرتم في كتابكم وجود غلط من قبلنا يدفعنا الى الابتعاد عن الجمهورية ، وان هذا الغلط ناشىء من تشويق اناس قد يكونون غرباء عن البلاد وقصدهم بث الاضطراب في سورية ، فنقول يا صاحب السعادة، ان ما تدعونه غلطاً يدفعنا الى هذا الابتعاد ان هو إلا جراح مزمنة تحملناها حيناً من الزمن ، حتى عيل صبرنا ، وبهذا العالم على لسان صحافته الحرة السيارة كما يشهد الصادقون من كتابكم والأمناء من مواطنيكم بأننا لم نمتشق حسامنا إلا دفاعاً عن شرفنا الذي ارجو ان لا يعبث به الموظفون الافرنسيون فأساءوا بذلك الى سمعة فرنسا الحرة أكثر مما أساءوا الينا . ان اضرارنا مادية واما اضرار فرنسا فمادية ومعنوية في آن واحد ، وهو أشد الضرر. ان الاناس الذين زعمت الرسالة انهم كانوا غرباء عن البلاد وان قصدهم بث الاضطراب فيها ، فحسبنا أن نقول لكم لازالة هذه التهمة الشنعاء من نفوسكم إننا لا نسمح لأحد غير سوري صميم ان يكون صاحب الكلمة فينا ، إنّا عرب سوريون نقدس كل عربي سوري كما انكم فرنسيون تقدسون كل فرنسوي ، ونحن لا نعرف سوى واحد له كلمة نافذة يسعى للاضطراب حينا في الاضطرابات نفسها كإرهابكم ، وانما يعمل الجميع قلباً وقالباً لرفعة هذا الوطن المقدس . نحن لا نكره واحداً وانما نحب بلادنا وحاشا أن تعدّوا محبة سورية كرهاً بكم ، وما ترونه من

الاضطراب الذي ابتدأ في جبل الدروز وختم على كافة الانحاء بصورة فظيعة تنذر بأوخم العواقب ، هو عنوان ما يجيش في صدور الأهلين من الخيبة العظيمة التي استولت على النفوس منذ الاحتلال الى اليوم . ان هذا التضامن المتين في الأرواح والاجسام بين ابناء البلاد على اختلاف المذاهب والتباع ، قائم من أساسه على وحدتنا الجنسية التي لا ينفصم عراها . نصحتمونا ونحن من يصغي الى النصائح الحكيمة المخلصة ، بأن لا نثابر على ما دعوتموه غلطاً ، وان لا نصغي الى من يحرفون حسن نيات فرنسا نحونا ، فاسمحوا لنا يا سعادة الكولونل ان نذكركم بأننا نشكو أوجاعاً معينة ، فإذا لم تداو هذه الأوجاع دواء ناجعاً بصورة سياسية مضمونة فكيف السبيل الى التكوين . هل نحن في عصر الرقيات والمعاوذية حتى تخمد ثائرتنا بمجرد الكلام فقط ، إننا نريد برهاناً حسياً قاطعاً على حسن النيات ، وما لم يقدم على هذا البرهان بشكل عملي فتأكدوا انا مرغمون ويا للأسف على الاستمرار على خطتنا الشريفة المشروعة وان سفك الدماء مكروه تمجه النفوس ، واكره منه ان يتعارض كياننا القومي للخطر ونتقاعس عن القتال .

ولا يكون مثل هذا التقاعس في نظر الأمم الشريفة إلا جبناً وخيانة .

إن مطاليبنا مبينة ، وهي قائمة على الحقوق التي خولتها المعاهدات الدولية والتصاريح الرسمية ، ولا سيما تصريح فرنسا وانجلترا المشترك الصادر في اوائل نوفمبر سنة ١٩١٨ .

ان هذه المطاليب تكفل استقلال سورية من جهة ولا تضر بمصالح فرنسا من جهة اخرى ، وكل استمرار في القتال بعد اتخاذ تلك الحقوق الصريحة اساساً لهذه المطاليب العادلة ، هو استمرار على التعدي ومثابرة على سفك الدماء البريئة . وها نحن أولاء نقدم للحكومة الجمهورية برهاناً حسياً على حسن نياتنا بتلبية دعوتكم الشفهية مع سليمان عبدي الى المفاوضة مع علي بك عبيدو عز الدين الحلبي لترسلوا اليهما تأميناً يمكنهما من مقابلتكم وإلا فأرسلوا اذا شئتم من قبلكم من يقوم بقضاء هذه المهمة تمهيداً للاتفاق بين سورية الناهضة وفرنسا الحرة وتفضلوا بقبول مزيد احترامي .

السويداء في ١٥/١١/٩٢٥

القائد العام لجيوش الثورة الوطنية

سلطان الأطرش

العودة الى السويداء

قبيل المساء غادرنا قرية مردك ميممين وجوهنا شطر السويداء وكان قد عرض علينا آلة كاتبة بأربعة مجيديات ، فرفض الشهبندر شراءها ولما قربنا من جوار القلعة بعد اجتيازنا الوادي حامت طيارة في سمائنا، وكانت الغزالة قد اختفت غربي الأفق الغربي في مكمنها ، وهجم الليل بجنوده السوداء فاضطجعنا جميعنا واضطجع الزعيم الشهبندر على قفاه ناظراً الى السماء ، واضعاً منديلاً ابيض فوق وجهه . وكان سلطان يمتطي فرساً شهباء وقد وقانا الله شر الطائرة فلم تتمكن من كشفنا . فدخلنا البلدة ونزلت ببيت أبي علي الموالي للافرنسيين مع اخواني ، وسلطان نزل ببيت مجاور لدار ابن جربوع .

حظنا من اموال الثورة

تجهزت حملة الإقليم على أثر وصول الدراهم من فلسطين ونشطت حركة توسيع نطاق الثورة ، وذهبت الحملة وعلى رأسها زيد بك الأطرش يصحبه من الأبطال الامير حسن ، وصياح الحمود ، وفضل الله الاطرش ، وحمزة الدرويش ، والبطل الشجاع الشهيد فؤاد بك سليم ونزيه بك المؤيد ، وسعيد اليماني وابو تركي وغيرهم من الأبطال الذين تضرب الأمثال بشجاعتهم وشدة بأسهم ، امثال سلمان بك الأطرش وغيره ، والشهيد سعيد اليماني ، وتشكلت مفرزة رشاش بإمرة فؤاد بك بقيادة الشهيد الملازم سعيد اليماني ، وبعد مغادرة الحملة واجتماعنا بها في الطريق ، اشترى سلطان باشا الأطرش حصاناً جديداً لفؤاد بك سليم . ولما طلبنا ان يجهزنا القائد العام اعتذر بأن الأموال قد نفدت ، وكان قد اشترى لخير الدين الطيار حصاناً أدهم كالليل الداجي ، واكتفى بتسليم حصان فؤاد بك لمنير ، على ان يسلمه له . وعلى أثر ذلك توسطت الشوّاف بأن يراجع الباشا لتأمين دراهم لنا فلم نتمكن من أخذ سوى ١٢ مجيدياً فقط بعد مفاوضات امتدت ثلاثة أيام فأتممت ثمن البارودة من الدراهم المرسلة لي من قبل السيد السندروس ، وقد تصرف صديقنا الشواف بأكثر من نصفها ورهن الشاب الشجاع السيد منير خاتمه الذهبي وساعته واشترى بثمنها بندقيته التي حارب بها طيلة وجوده بالثورة ورهنها عند أبي عسلة .

إنها لحالة مرهبة ، القوّاد لا ينالون سوى الشقاء ، والشباب الوثاب يرهن أغراضه وكل عزيز لديه لشراء بندقية يدافع بها عن وطنه ، بينما الأموال تغدق على الثورة اغداقاً . فما فضل الرجال على الرجال إلا بالأعمال ، وأعمال ابطال الشمال كانت خوارق .

عودتي الى الغوطة

٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥

بعد أن قطعنا حبل الأمل من المعونة من سلطان باشا والشهبندر ، قررنا العودة الى الغوطة ونفوسنا تنز ألماً وتأثراً ، وقد تقرر ارسال نجدة بقيادة حسني صخر للالتحاق بقوى الاقليم ، فقررنا النزول الى الغوطة معها . وكانت فئة لا تقل عن عشرين فارساً بينهم معزبنا أي مضيفنا الشهيد حسين من عائلة ابي عسلي يصحبني خير الدين ومنير الريس والمسوتي ، وسرنا من الطريق الشرقي ـ الجرد ـ حتى وصلنا دير حجر ليلاً . وتقطن هذه القرية طائفة من النصيرة وقد ابلى شيخها بلاء حسناً في حركات التطويق ، وهي من املاك حسين بك الأيبش ، فلم يفتح لنا السكان الأبواب فارغمناهم على فتحها . وغفونا هنيهة ، وكانت اهداف سيرنا القرى الآتية : ·

السويداء ، الشهباء ، الصورة ، دير حجر ، فغادرناها ومررنا من جوار تل السلطان فشاهدنا صواريخ ضيائية تقذف بالهواء ، وحانت مني التفاتة واذ بصاحبنا المسوتي يتوارى عن الأنظار فضحكنا وقهقهنا حتى قلبنا على أقفيتنا وتغلغلنا بالغوطة ، ولما سألت عن زيد الاطرش علمنا بأنه غادر الغوطة وتوجه الى الاقليم ، وترك محمد عز الدين فاجتمعنا به بسقبا ووحدنا اعمالنا الحربية مع اعماله . وكان قد اجتمع به قبلنا السيد بشير البكري وأبو عبدو ديب الشيخ .

وفي اليوم الثامن من شهر تشرين الثاني نزلنا بزبدين ، وفي اليوم التاسع غادرناها الى سقبا ونزلنا في دار ابن عم ابي عبدو الشعباني ، وداره فخمة جداً فرشت بأثاث جميل ومزينة بالمرايا المصقولة ، وتحتوي على بهو واسع وفخم جداً ، ومن ثم انتقلنا الى دار ابي عبدو .

اجتماع سقبا

هذا اول اجتماع حافل نعقده بقرية سقبا وقد حضر هذا الاجتماع من رؤساء الدروز كل من : محمد عز الدين ، وجاد عامر ، ومحمود عامر ، وابو حمزة زيد عامر ، ونايف ابو حسني . ومن السوريين العاص وبشير البكري وابو عبدو ديب الشيخ ومنير الريس وخير الدين والمسوتي فتبادلنا الآراء وتحدثنا عن الحالة الحربية ، فكان من رأيي إظهار فعالية هائلة ، وما علينا إلا أن نهاجم حامية دوما والسعي لمنع النهب والسلب والفوضى وقمع دابرها ورفع الغرامات عن عاتق سكان القرى التي كان يضعها البعض من ثوار الجبل وغيرهم ، فأجاب شبلي عز الدين بأن مسمار حدوة فرسه او حدوة فرس درزي أكبر قيمة من كل هذه البلاد ، ولم يأت الى مهاجمة الحاميات بل لتعطيل الخطوط .

فأجبته بلهجة شديدة وقاسية ، الخط موجود فاذهب لتعطيله وقولك حدوة فرس درزي تساوي هذه البلاد قول مردود عليك ، وادى الأمر الى مشاجرة كلامية كنا بغنى عنها . وانتفض ابو عبدو ديب الشيخ من هذه الأقوال التي فاه بها الحلبي ، وغادر الجلسة ، ولكن نحن نعرف بأن هدف شبلي وامثاله كممدوح عامر وغيرهم لم يكن سوى النهب والسلب ، وأصررت على قراري وهو مهاجمة حامية دوما وساعدنا بشير البكري في تنفيذ هذه الخطة وأسفر الاجتماع بهمة محمد عز الدين عن تنفيذ خطتنا هذه .

الطيارات في سماء سقبا

بينما كنا نتنافس في تنفيذ خططنا الحربية بعد مناقشة عنيفة أدت الى تضارب الاراء بيننا وبين زيد عامر وممدوح عامر وشبلي ، هرع الناس يعلموننا بأن الطيارات مقبلة من شمالي البلدة وشرعت تقذف قنابلها على القرية بمراجلها الهائلة الضخمة .

حامت بعض الطيارات فوق رؤوسنا وقذفت بقنابلها الجهنمية على الدار التي اجتمعنا بها ، وبما ان حالة البلدة اصبحت سيئة هرع الأهالي يغادرون القرية ولم يسفر اجتماعنا عن نتائج مفيدة ، فقد اتفقنا مع محمد عز الدين على مهاجمة حامية دوما فغادرنا سقبا وجعلنا وجهتنا عربين والبعض من رؤساء الدروز ذهب الى حمورة ومسرايا وحتى

بيت ساوا وصلنا عربين قبيل الغروب ونزلنا مع بشير البكري وابي عبدو ديب الشيخ في بيت رجل دمشقي ، فأكرم مثوانا ، وأغدق علينا نعمه وهيأ لنا شاهياً فاخراً فتناولنا كؤوس الشاهي الأخضر ، وبعد ان استرحنا هنيهة ذهبنا بعد المغرب لدار المختار الشيخ يونس واجتمع رؤساء الحركة المؤلفة من العاص ومحمد عز الدين وبشير البكري وابي عبدو ديب الشيخ يصحبني الأسد الشجاع منير الريس وخير الدين وقررنا باجتماعنا الليلي هذا قبل مهاجمة دوما نسف جسر المطير ، وتعهد بتنفيذ هذه المهمة الشاب الشجاع منير الريس ، يصحبه رفيقه الطيار خير الدين وبعض الفلاحين ، فذهبوا الى الجسر وتمكنوا من الحصول على تنكة زيت كاز من دكان موجود بجوار الجسر ، واحرقوا باب الدكان لتمنع صاحبها عن فتحها ، واخرجوا تنكة الزيت واحرقوا بها اخشاب الجسر وباب الدكان وعادوا ادراجهم الى عربين .

وعلى اثر عودتهم غادرنا عربين لمهاجمة دوما يسترنا الليل بعباءته السوداء الكثيفة ، سرنا حتى وصلنا مفرق الطرق المؤدي الى دوما ومسرايا ، فتوقفنا برهة وأرسلنا خبراً لزيد عامر وشبلي الحلبي وممدوح عامر ، فأبوا الاشتراك معنا لأن هدفهم النهب والسلب لا الحرب ، فاستأنفنا السير ، وتقدمنا نحو دوما حتى وقفنا امام ابوابها ، ومن هنا ارسلنا قوة ضئيلة من بين الزيتون لتشغل النقطة وتناوشها كي لا تشعر بتقدمنا نحوها . وهنا لا بد من الاشارة الى امر هام وهو لما شاهد الشاب بشير البكري تقاعس زيد عامر ورفقائه عن الالتحاق بنا أرخى لفرسه العنان وقال : ها انا سأهاجم النقطة وحدي فمن شاء فليلحقني ، ومن شاء فليبق ، وهذه مفخرة أسجلها لهذا الشاب . فصحبه ابو عبدو ديب ، ولكن الدروز اتجهوا نحو أبواب البلدة ، واحدثوا ضجة عظيمة وأطلق البعض منا الرصاص ، فانتبه الجند خلافاً للتعليمات ، لأننا كنا نطمح في الوصول لنقطة الحامية بدون ضجة . فتنبه الجند وافسد الجهال علينا خطتنا المدبرة ، وهذا خطأ لا يغتفر في حروب العصابات ، لأن الهدوء من أهم الأسلحة المعنوية التي يجب ان تتذرع بها العصابات في حروب المفاجآت،فالحروب الليلية يجب ان تجري بكل هدوء وسكون ، وان تكون بعيدة عن كل جلبة وضوضاء .

دخلنا البلدة فتقدمنا اناس من سكانها وأرشدونا الى نقطة الحامية ، وكان البرد قارصاً جداً لدرجة أن كلاً منا كان يرتعش ارتعاش القشة في مهب الرياح العصافة .

زحفنا من شارع البلدة الكبير المؤدي الى النقطة حتى وصلنا آخر القرية ، واستولينا على بعض المواقع الموجودة هناك ، ولكن العدو أمطرنا بوابل رشاشه ، فقاد بشير وهو يمتطي جواده وكاد يقضى عليه وكان من رأيي مناوشة النقطة من مئذنة الجامع بوضع اشخاص هناك . فتوسل السكان ان لا نجعل الجامع هدفاً للطيارات وقنابل العدو ، فعدلنا عن هذا الرأي وكافحنا الخصم عن بعد مئة متر واكثر . وقد تمكن البعض من الثوار بالتقدم من الأقبية الموجودة ، وبعد انبلاج الفجر حمي وطيس القتال وخضنا مع الحامية معارك ضارية واشتد هول الصدام وكان رصاص الرشاش يتساقط فوق رؤوسنا كالمطر المنهمر . وما كادت الغزالة تشرق علينا وتنتشر اشعتها الفضية حتى شاهدنا بأم أعيننا شدة نيران العدو ، وشاهدنا البعض من شباب الدروز جريحاً في آخر الشارع المشرف على النقطة ، واحد الثوار استشهد امام باب النقطة فأحضرنا حبلاً وسحبنا به جريحنا ، ولكن حينما احصينا انفسنا وجدنا المحاربين خمسة عشر شخصاً من ١٥٠ محارباً .

لقد اختفى معظمهم في البيوت والبعض دخل دار وديع الشيشكلي التي كانت مقراً لجنود الدرك في البلدة وغنموا سرجاً وسجادة وبعض اغراض الجند . اشتريت السجادة بمجيدي ونصف ، وكانت فراشي الوحيد . وبالنهاية اصبحت نصيب زيد مراد اغتصبها من علاء الدين المسوتي حين سفره بها الى الجبل اثناء انسحابه النهائي . ولما اصبح الصباح خافت الأهالي من مهاجمة الطيارات ، فرجونا بأن نغادر القرية . كمنا تحت شجر الزيتون خارج البلدة وأحضر لنا الأهالي ما نحتاجه من خبز وعنب وزيتون ، ولكن لم نكتف بالحرب ، بل عمدنا فور خروجنا من القرية الى قطع الاسلاك ونشر الاخشاب وقلع بعضها واحراق بعضها الآخر ، ولكن ما كادت الشمس تشرق حتى شوهدت الطيارات تحلق فوق المخفر وفي السماء ، واستمررنا بالتخريبات حتى قبيل العصر ، وطرق مسامعنا بأن حملة زاحفة على دمشق كنجدة ، فقررنا الاشتباك معها ورابطنا لها خارج البلدة ننتظر تقدمها .

واغرب ما شوهد بأننا حينما أردنا تحميل جرحانا على الخيول ، أسرع اليها البعض من دروز الجبل وامتطوها وفروا بها ، ولم ينبس محمد عز الدين ببنت شفة ، لأن الذي فر بالخيل من بني الحلب ، فساءنا هذا العمل لأن صاحب الخيل رجل فقير من دوما ، واكتفى محمد عز الدين بقوله للرجل سترد لك خيولك ،وهو معروف بدوما وكان قائمقام

٦٣

بها سابقاً ، وجرح بجانبي ابو علي الصحناوي الذي رافقني في معارك الضنية ولكن كان جرحه بسيطاً جداً .

لقد كان للنهب في هذه المنطقة التي لم تثر بعد أثر سيء وبخاصة ما قام به محمود كيوان وغيره من فرض غرامات على الناس لا معنى لها ، فهذه الأمور ولّدت بالنفوس النفرة والضغائن أما الذي نهب الخيل وفرّ بها فهو يوسف حنا .

كانت هذه المهاجمة الثالثة لدوما لأن الأولى كانت من قبل شلاش والثانية من قبل محمود كيوان . اما مهاجمة محمود كيوان فقد كانت مفخرة من مفاخر الشجاعة والبسالة حين دخل مخفر الدرك بضعة اشخاص ، واخرج قائد المخفر من الخزانة ، وأسر الجند وبعث بهم الى الجبل كما بينا سابقاً ، وأما مهاجمة شلاش فسنذكرها حين نتحدث عن اشتراك شلاش بالثورة السورية .

مقررات يلدا
التحاق زكي الحلبي

على اثر التحاق أبي عبدو سكر وجدنا من اللازم الاجتماع الى جميع رؤساء الثائرين وكان المرحوم زكي الحلبي قد وصل والطرزي يحمل دفاتره ، واصبحت الفئتان قوة كبيرة فاجتمع رؤساء الثائرين المرحوم الخراط ، وسعيد عدي ، وأبو دياب وخليل بصلة والشيخ ديب ، ومن الشباب الناهض عبد الوهاب عمر باشا وصالح سلو العلاف والمرحوم فائق العسلي وجميع من التحق بأبي عبدو سكر وصبري فريد .

ومن الرؤساء والقواد :

زكي الحلبي والعاص ونزيه بك ، وأبو تركي .

ومن الدروز محمد عز الدين وفرحان ناصيف ، ووجوه الحلبية امثال عبد الكريم الحلبي ومن الشباب الأمير احمد ومنير الريس وياسين الخانجي ، وصبري العسلي وخليل الحموي ، والقواص قريب عبد القادر ، والسيد الطرزي من الكهول بل من الشيوخ . وافقنا على مقرراتنا السابقة بتشكيل حكومة على أن تكون الأعمال الحربية مناطة

٦٤

بالعاص . وقبلنا مبدئياً كيفية دمج القرى بالجيش الثائر بنسبة ٢٥ في المائة ورفضنا اقتراح التجنيد بالمال ، لأنه يفسد الثورة الآن ، وليس لدينا أموال خلافاً لرأي أبي عبدو ، واكتفينا بإشاعة ذلك بالرغم من معارضة المرحوم وإخوانه ابو دياب والشيخ حجاز وانفرط عقد الجلسة .

المقررات تحت ظلال الزيتون

بعد ان تغادر القرية وتسير هنيهة تظهر امامك فسحة واسعة تحيط بها اشجار كثيفة من شجر الزيتون وهنا عقد المجاهدون مجلساً تحت ظلال الزيتون بينما كانت الشمس المشرقة تكسو الكون بأنوارها البهيجة وكان كل من محرر السطور ونزيه بك وابو عبدو سكر ومحمد عز الدين ومن الشباب الوثاب منير الريس والشباب الذين اتينا على ذكرهم آنفاً وزكي بك الحلبي فاتخذنا المقررات الآتية بعد درس الحالة من جميع وجوهها :

اولاً ارسال خمسين فارساً بقيادة نزيه بك لاستئصال شأفة عصابة سليم المفتي واختيرا لهذا العمل عصابة الكواونة وعدا ذلك فقد اقترح أبو عبدو سكر التجنيد ووضعها على بساط البحث منعاً للنهب والسلب، وبعد ذهاب القوة غادرنا بيت سحم ويممنا وجوهنا شطر الحتيتة (حتيتة التركمان) فوصلناها حين كانت الغزالة تلقي اخر سهم في كنانتها على بقاع المرج الواسعة .

العوامل الحقيقية لمعركة يلدا وبابيلا الشهيرة

ذهب ابو قاسم سكر يصحبه كل من ثابت الزند ومحمود عزيزية وسطام الريحان وابن دقماق لجلب مبالغ من حمدي الحكيم ، لأنه وعد بها ابا عبدو سكر بدون علم احد ، فتعهد بايصال الكتاب الى المومى اليه كل من غالب دقماق ورمضان دربازة وابو علي الكلاوي وابو فارس الحرش وعبد الرزاق الشمري وسعدي قويدر ومحيي الدين الحباب ونسيب حباب ومحمد شرف .

ذهب من هؤلاء كلّ من أبي علي الكلاوي ورمضان دربازة واحجم البقية عن استئناف السير ، ومكثوا بجانب الكرم ، والمبلغ مئة جنيه . فجاء عندهم بياع هريسة لوز ، واشترى مدّين زيتون ، وكان جاسوساً يتستر ببيع الهريسة للثوار تحت ستار الفقر والمسكنة . شاهد الثوار قطعاناً من الماشية فتخيل لهم عن بعد بأنها جنود زاحفة فتخلوا عن مراكزهم ، واختفوا عن الأنظار . ولكن غالب دقماق تقدم نحو هذه الخيالات الوهمية فتبين له حقيقة امرها ، عندها احضر منها ذبيحة وكلف رفيقه سالم بذبحها صباحاً .

التغلغل بالغوطة

عود على بدء

غادرنا قبيل الغروب دوما بعد أن وثقنا الوثوق التام من ان قوى العدو أحجمت عن التقدم نحو دوما بالرغم من الأخبار التي وردتنا بأن النجدة لا محالة آتية . كنا على طريق دوما العام ، واتخذنا التدابير اللازمة على الطريق المؤدية لقرية القابون والجهة الشمالية ، وكمنّا بجوار الزيتون مع علمنا بأن الموقع ليس مساعداً للحرب . ولم نغادر مكاننا حتى آذنت الشمس بالغروب ، واصبح بجانبنا قوى ضئيلة على اثر تسرب الثوار الى القرى المجاورة ، واشتبك خير الدين ومنير مع الدرزي الذي امتطى خيل العجلة ولكن محمد بك أنقذه من ايديهما ، ووعدهما بإعادة الخيل . وأما أبو عبدو فقد تألم من هذه الحالة وغادرنا مع بشير البكري الى قلمون ونحن جعلنا وجهتنا سقبا . وقد شاهدنا الطيارات التي رمت الأوراق الى النقطة ، وقذفنا البعض منها بقنابله حينما كنا بحديقة الزيتون ولكن لم نصب بأذى .

وذلك يوم الخميس المصادف ١٢ تشرين .

وقضينا ليلة الجمعة في سقبا ويوم الجمعة أتينا الى زملكا في ١٢ و١٣ تشرين .

في زملكا

دخلنا داراً فسيحة الرحاب ، يطل بابها على رام كبير بالقرب من البساتين الشمالية ، وبينما كنا ضمن الدار والبعض منا ينظف اسلحته والبعض يناضل الدبابات اللحمية (القمل) اذ بفرسان كشف قوى العدو تسقي خيولها من الماء المجتمع امام باب الدار التي نقطنها ، فصادفهم احد الثوار من الدروز بجوار القبور فأطلق عليهم النار ففروا وعلقت حفافة رأس احدهم بالشجرة فأتى بها الينا وأعلمنا بواقع الحال فغادرنا البيوت وحملنا بنادقنا واقتفينا اثرهم حتى الطريق المؤدي الى دوما .

١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ في زملكا

غادرنا زملكا بعد ان اصلحت بندقيتي لدى بندقي القريـة (تفنكجي) وبعد ان قطعنا حبل املنا من زحف القوة التي فرّت جنود استكشافهـا ، وبعد ان أدى سكـانها مبلغاً ضئيلاً مجهولا لديّ مقداره الى محمد عـز الدين لمبـايعة عتـاد لعصابـة الدروز التي صرفت مقداراً كبيراً من عتادها في معركة دوما . اتينا (عربـين) وقضينا ليلنـا في بيت الشيخ يونس . (وعربين) لم تثر كبقية القرى ، ولهذا كانت محطة عامة للثوار ومستودعاً ثميناً لتأمين معيشتهم ، ومعظم المعارك دارت رحاها بجوارها ، ومنيت بخسائر فادحة ، واصيبت جوامعها بقنابل الطيارات والمـدافع ، وتهـدم قسم كبير من أحـد جوامعهـا ، وخرّب سوقها من قبل السلطة وسنأتي على وصف هذه التخريبات في حينه .

حرب النبك الأولى

المرحوم الخراط في النبك

زحف المرحوم يصحبه ١٤ ثائـراً الى قلمون ونـزل في معرة البـاشا وزحف أولاد عكاشة صحبة جمعة سوسق وأخيه أحمد ومعهم ٦٠ بندقية . فوصلوا الى البقعة وتخابـر أولاد عكاشة مع المرحوم وأرسلوا له رسولاً . فاجتمعوا به وزحفوا على بيـرود ، وهناك قبض بعض ثوار عصابة ابن عكاشة على جاسوس من مسيحي يبـرود في بيته ، فقتلوه وغرّم الثوار البلدة بـ ٢٠٠ جنيه وكسور ، وذلك بعد ان تفاوض وجوه البلدة مـع جمعة سوسق ، وكان اخوه أحمد وضع غرامات سابقاً على القرى واستوفـاها منهـا ، واستولى المرحوم الخراط على موسيقة الدير او (الكنيسة) . وصادف آنئذ فرار الشهيد محمد علي الدروبي من الدرك ، فالتحق بالثوار فجردوه من سلاحه وراحلته ، ولكنه رحمة الله عليه لم يتأثر من هذا العمل ، وطلب قوة تسير معه للاستيلاء على مخفر (قارة) ، وتمكن فعلاً من دخول المخفر وتجريد الجنـود من أسلحتهم . ونظراً لتـواتر الحـوادث وتمركـز الثوار بالنبك ، فقد سيرت السلطة قوة لاستئصال شأفة الثوار . فزحفت هذه القوة من الطريق الشرقي ، وصمد لها الثوار في بساتين النبك ، كما ان الثوار كانوا قد استـولوا عـلى ١٤ رأساً من خيول الدرك المختبئة في البلدة وأسروا عدداً لا يتجاوز اصابـع اليد . وصـل

النبك اربع مصفحات مستورة ، وأربـع مكشوفـة ، وكان عـدد الجنود سبعـين جنديـاً معظمهم من السنغاليين . فاحتـدم وطيس القتال بـين الثوار والجنـود ، وكان رمضـان شلاش موجوداً في النبك ، وربط الجند المدخل الشمالي ، فأسفرت المعركة عن اندحار الجنود .

استولى الثوار على السيارات ، وأخـذها ابن سـوسق ، كما غفـوا الرشـاشات . وأسفـرت المعركـة عن قتـل الجنـود وعـددهم لا يقـل عن السبعـين ، بقيت جثثهم في الميدان ، ونجا القائد اسماعيل بك بصحبة مستشار حمص . وقد كان بين الجنود الأسرى من الدرك صادق افندي الدغستاني ابن عم خضر بك المشهور ، وابن عم الثائر صالح بك الدغستاني خال سعيد الترمانيني الثائر المعروف ، واحمد من قرية حوّارة واحد جنود فوزي بك . وبعد انتهاء المعركة حدثت ثغرة خـلاف بين المـرحوم الخـراط وشلاش ، فغادر شلاش النبك وانسحب الى جيرود ، واما المرحوم فانسحب عن طريق القلمون .

الى الغوطة مرة أخرى

حينما كنا بحمورة نمي الينا خبر بأن المرحوم الخراط وصل سقبا ، فقررنا الاجتماع به واستقصاء الحوادث منه ، وتوحيد الأعمال ، وتهنئته بسلامة الأوبة فجمعنا قوانا كلها وسرنا قبيل العصر ، وارسلنا خبراً للمرحوم ، فرتب رحمه الله ما يلزم امام مدخل القرية الشرقي لاستقبالنا ، وكان هو على رأسهم . وحين وصولنا صدحت الموسيقة وكان معظم جنود عصابته مرتدية الكسوة العسكريـة كالجنـود ، فدخلنـا القريـة باحتفـال مهيب ، وكانت ترتيبات الاستقبال على احسن طراز ، وما ابدع مناظر الثوار بكسوتهم الوطنية ، فتصافحنا مع المرحوم امام مدخل القرية ودخلناها كما يدخل الجيش الظافر ، وصدحت الموسيقة بألحانها الشجية التي تثير الأفئدة ونفخ في الأبواق بأصـوات تشنف اسماعنـا ، فكانت مواكبنا كمواكب الجيوش المنتصرة ، وغادرنا القرية الى قـرية (كفـربطنـا) ونمنا فيها .

شلاش في زبدين

حينما كنا بكفر بطنا وصلنا كتاب من رمضان شلاش يطلب فيه مقابلتنـا ويعلمنا بأنه ينتظرنا في زبدين ، وقد اصبحنا قوة لا يستهان بها ، فقررنا الاجتماع به ، وغادرنا كفربطنا وصورة الكتاب محفوظة لدى المجاهد الشجاع السيد محمد عز الدين الحلبي . وكان شعارنا أثناء الزحف التهليل والتكبير ، وهذه تهليلة الثوار (اللهم صل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) ويدير حركة التهليل الشيخ محمد حجاز .

كان منظر زحفنا من أجمل المناظر وأبـدعها ، وكـانت اصوات المجـاهدين تخـرق الأجـواء كقصف المدافـع ، ولها دوي كـدوي النحل ، يـا له من منـظر فخم ، تتدفق الجموع تدفقاً . منظر يثير الحماس في النفوس ويجعل الانسان يستعذب الموت ، مناظر البطولة الرائعة المنسجمة مع مناظر الطبيعة الخلابة ، مناظر حدائق الغوطة الجذابة .

لقـد علت أصوات المجـاهدين واختـرقت اجـواء الفضـاء بعـد ان شقت عنـان السماء ، وبلغ الحماس منتهاه ولا تسأل أيها القارىء عن الاندفاع المستولي على النفوس وبالأخص في الطريق المسوّر بالدكوك بالقرب من زبدين حيث هرع السكـان لمشاهـدة زحف الجموع . ولما وصلنا الى باحة القرية استقبلنـا السكان بالحماس وانتصب ميدان سباق امام القرية والبوق يصدح ، فكأننا كنا في عرس ، وما أبدع مناظر الثـوار بلامـة الحرب . خرج رمضان شلاش ممتطياً حصانه لاستقبالنا ، فاجتمعنا به وتصافحنـا واياه ودخلنا القرية بسلام وبعد قليل ذهبت الى البيت الـذي يقطنـه شلاش ، واذ بـرمضان جالس كأمير شرقي يدخن اركيلة ويستنشق منها النيقوتين المحلول بالماء بعظمة وكبرياء . وما كدنـا نستريـح حتى بادرنـا رمضان قـائلاً أنـا أمقت النهب والسلب ، وان الرجـل الشجاع هو من يقوم بجلائل الأعمال . فتأملت من تهكمه وأجبته قائلاً : ان الرجل هو الذي تشهد له أعماله في ميادين الحـروب ، وماذا فعـل الله بعبدالله سبت ، وأين بقي مـوسى الشـركسي ؟ فـامتعض من أسئلتي وقـال لي لـماذا تكـثر من السؤال عن مـوسى وعبدالله ؟ فقلت إنهما التحقا بك بناء على ان يلتحقا بي . ولم يكن بصحبته سوى ثلاثة اشخـاص ، احدهم يسمى رضـا الشـركسي من الأنـاضـول والبـاقيـان من شـراكسـة القنيطرة .

وكان كلّما اراد تبديل مجرى الكلام ألاحقه بالسؤال ، فانزعج مني واستشاط غضباً واحتدم غيظاً وحنقاً .

كان مقيماً في بيت الزيبق وقد وصلنا سابقاً منه عدة كتب يطلب منا النجدة واطلق على جيشه الجيش القلموني او (القيادة القلمونية) ، وكان رمضان شلاش يطمع لتسلم القيادة المدنية ، وشغله الشاغل القضاء على زعامة سليم آغا لممالأته وموالاته للفرنسيين ، وما كدنا نتمم الحديث حتى قررنا الذهاب الى (يلدا) و(بابيلا) وإذ برمضان يتوارى عن الانظار ، لأنه تأكد بأنه لا يستطيع تسلم القيادة .

وقعة الزور الثانية

معركة المليحة . جرح الخراط . استشهاد الشجاع فرحان شرف .

بعد أن توارى رمضان شلاش عن الأنظار جعلنا وجهتنا (يلدا وبابيلا) وبقي المرحوم بعاصمة حركاته زبدين . ولما وصلنا مساء (يلدا) جمعتني الصدف بمنير شيخ الارض ، الذي أتى للالتحاق بالثورة . فتحادثت معه ملياً فوجدته يميل لمغادرة ميدان الثورة والسفر الى باريز لاتمام تحصيله ، ومن ثم تمنا .

سمعنا مع طلوع الشمس أصوات البنادق تدوي في الفضاء ، وتنذرنا بشر مستطير ، فخرجنا من البيوت واجتمعنا في الجهة الشمالية . ولكن ما كاد يسمع ابناء المقرن الشمالي اصوات البنادق حتى اعتزل قسم كبير منهم وكلهم مشاة وابتعدوا عن مراكز احتشادنا ، وأعلمونا أنهم مغادرون ميدان القتال الى الجبل . فبقي الفرسان وقوى الحلبية فقط ، لأنه لا يمكنهم التخلي عن زعيمهم محمد عز الدين ، وكان مجموع القوى لا يقل عن اربعمائة محارب ، فأصبحت قوانا مئة وخمسين محارباً .

كانت الطيارات تحلق فوق ميدان القتال وتقذف قنابلها الجهنمية ، تساعدها المدفعية المنتصبة بالمعمل في الجبخانة وغيرها من المواقع بدمشق ولم يبق منا سوى ٨٢ فارساً .

امتطينا صهوات جيادنا وزحفنا نحو اصوات الرصاص بعزم ثابت وعقيدة

٧١

راسخة ، حتى وصلنا قرية عقربا . فتشنا عن شخص نستوضح منه ونستعلم عن المعركة فلم نر احداً لأن البلدة خالية . واصلنا سيرنا وتقدم اولاد سعيد عز الدين ، وهما نجيب وشبلي للكشف وللاستطلاع . ثم لم يلبثا أن عادا ادراجهما بعد ان اطلعا على حقيقة الأمر ، فاعلمانا بأن رحى الحرب دائرة في الزور .

قررنا الزحف على الزور ، وتألمنا جداً من انسحاب المشاة الذين اهلكوا الغوطة بطعامهم وغذائهم حتى اذا مست الحاجة اليهم احجموا عن الزحف واعتزلوا العمل ، أما نحن فواصلنا زحفنا حتى المليحة .

ولما اجتزنا شوارع المليحة المتهدمة ، أسرع طفل صغير أمامنا يحمل قصبة طويلة واخذ على عاتقه الدلالة . فترجلنا عن خيولنا وربطناها بمحل مصون تحت اشجار باسقة ، فأوصلنا الى نقطة كائنة على جسر الغيضة (موضع جنبي - يان موضع) والزور وأرانا العدو وقال دونكم الخصم .

المعركة

سددنا بنادقنا على العدو وصدمناه صدمة هائلة ، واحتدم وطيس المعركة بيننا وبينه ، واشتد النضال ، فكنت لا تسمع سوى صرخات عالية ، واصوات انفجار القنابل وأزيز الرصاص ، وانصباب نيران الرشاشات وانفجار مراجل الطيارات .

انها لساعة رهيبة يشيب لها الأطفال . ولم يمر على صدامنا طويل وقت حتى ارتكبت القوى حين شاهدت الطيارات تحوم فوق مربط الخيول ، فخافت على خيولها وعادوا الى مربط خيولهم . وصرخوا بصوت واحد قائلين اننا نخشى ان تقتل خيولنا وها نحن ذاهبون لتأمين خيلنا في حوش بيت العظم (في المليحة) .

ونظراً لكسر حدة الصدمة وخفة وطأة المعركة فقد ذهبنا جميعاً للمليحة ، ولكن الفرسان عدلوا عن ربط خيولهم بالمليحة واختاروا البلاط .

طلبت من اخواني العودة ونخيت الشباب لأجل استئناف الحرب ، فلبى طلبي كل من الشجعان فرحان شرف وسلمان وخير الدين الطبار ويوسف وأسعد الشوفاني وابو

قاسم الشوفاني وعارف الدرزي . واما البدو فكانوا عزّلا وعددهم بضعة أشخاص .

عدنا للحرب والعود أحمد . أما الفرسان الذين تركونا نسبح في لجج النيران ووابل القذائف ومطر الرصاص فسخرنا منهم كما هزئنا من فرار ابناء الشهباء .

مشينا نحو العبّارة على طريق المليحة المهيع الذي تكتنفه الأشجار ، وكانت عاصفة الحرب قد سكتت ، وصمت قصف المدافع وخرست لعلعة الرشاشات ، وهدأ انهمار الرصاص ولم يعد لأزيزه أثر .

وصلنا العبّارة وشرعنا بتخريبها بقصد إغراق الطريق بالماء ، وذلك لأجل شل حركة الدبابات وتعويقها . فلم نتمكن من تخريبها بأيدينا لأننا لا نملك اي واسطة او آلة تساعدنا على التخريب . وكان البدو يتنكبون هراوات وأحدهم يتقلد سيفاً وآخر يتنكب بندقية صيد . وهم من عرب النعيم . فسألتهم لماذا أتيتم ؟ فأجابوني « جينا لنحارب معكم » . فقلت لهم وبماذا تحاربون ؟ أجابوني بهذه العصي : (الهراوات) . واضافوا : الصحيح حنا (نحن) جينا للجسب (للكسب) اتينا فاذا قتلتوا (قتلتم) نجسب بواريدكم (نغنم بنادقكم) واذا غلبتم نجسب من العدو (انتصرتم) فضحكت وقهقهت طويلاً لهذه الصراحة الجلية . والبدوي ابن الصراحة . واجبتهم (زين ابشروا) أي (حسناً) . مشيت في الطريق المؤدي لجسر الغيضة ، بعد ان تركت مكمني الذي كان على مقربة من العبارة ، وكنت شاهدت قوى الخصم ، وسمعت اصواتهم . فوجدنا من اللازم التباعد عن الطريق لكي لا تهاجمنا الدبابات (التانكس) والمصفحات ، وتغلغلنا بين الأعشاب . وبعد ان تيقنا من قوة العدو كمنّا في نقطة كائنة بمنتهى دف القنب (حقل القنب) يبعد عن طريق المليحة تقريباً (٤٠٠) متر وكان شتل القنب يسترنا عن نظر الجند وهو بالنسبة لنا الحصن الحصين ؛ مع أن المشاتل لا تساعد إلا على منع الرؤية . فتحنا نيران بنادقنا وأطلقنا رصاصها ، وأذكينا نار الحرب ، وكانت الساعة قريبة من الخامسة بالتوقيت العربي . اشتبكنا مع الخصم بحرب ضروس ، ومكمننا طاروق ماء ـ شق ماء (ساقية جافة) . وكنا نشاهد الجند تتقاطر خلف بعضها البعض تقاطر الأباعر ، وعمائم جنود المغاربة تعلو هاماتهم كقمم الجبال المكللة بالثلوج ، وقلانس الأنصار الفجّار من المتطوعة كسحب الظلام القاتمة او الغيوم

السوداء المتراكمة في الليل الأليل . وبعدنا عن العدو لا يتجاوز الخمسين متراً . فبارك الله بشتائل القنب وشجيراته ، لأنها حصننا المنيع ، وسلكنا الشائك اذ اخفتنا عن انظار الخصم كما اوقفنا هجومه بنيران بنادقنا المنهمرة . هنا صدمنا العدو صدمة حيدرية ، فقابلنا بنيرانه الجهنمية الحاصدة وقذفنا بقذائف مدفعية دباباته الصغيرة ، وأمطرنا بوابل من رشاشاته السريعة التي كانت تهطل علينا هطول المطر . أما قصف المدافع فكان كهزيم الرعد والقنابل كالصواعق حتى انها كانت تقتلع الأشجار من جذورها فوق رؤوسنا .

احتدم وطيس القتال واشتد هول المعركة ، وأصبحنا نشجع أنفسنا وننخي بعضناً بعضاً ، ولله در الباسل فرحان ، فقد أبلى بلاء حسناً ، فكان ينادي الجنود بصوته الجهوري وبلهجته الدرزية الحلوة . قائلاً : « يا كلاب حنّا عيال معروف » . استمرت المعركة حتى الساعة الحادية عشرة . ونفد عتاد خير الدين اللبابيدي وتعطلت بندقية فرحان ، فأعطيناه بندقية خير الدين ، واعطيته كيساً مملوءاً عتاداً . واستأنفنا الحرب حتى نفد عتادنا ولم يبق لدي سوى مشطين ، ولدى فرحان اربعة من البندق (أربع فشكات) . وطرق مسامع فرحان وطأة سنابك خيل ، فالتفت الي وقال فللنطحهم نطحاً أي نلتحم معهم التحاماً (وحقيقة الأمر أن فرحان توهم) فأجبته الأحسن ان ننسحب عن وجهة خط رجوعنا ، أي عمودياً ، فأبى وقال لا بد من ان ننطحهم ، فقلت بنفسي قد يتبادر الى ذهن فرحان بأني خفت ، فأمرت الإخوان بمغادرة مكمنهم ، ونهضت وتقدمت أمامهم نحو الطريق حتى وصلت أمام العبارة . فانتبهت بسرعة الى انكشاف الموقع وسهولة الطريق ، عندها سارعت للتغلغل في الغيضة بسرعة .

وما كدت أخطو عدة خطوات حتى سمعت أصوات الجند تقول امسكوه امسكوه . فتأكدت وقوع الأخوان أسرى في أيدي الجند الأوغاد ، وعقب جلبة الأصوات لعلعة رشاشة فواصلت سيري في الغيضة لأخرج الى ساحة واسعة فسيحة مسوّرة من الجهة الغربية بالمدامك، هناك شاهدت المدرعة فرميتها بمشط ، وادّخرت المشط الثاني احتياطاً ! ويممت وجهي شطر القرية ، وكان يتبعني احد البدو فناداني « كف » يعني (قف) . وشاهدت ارتجاف رجليه كما ترتجف الأغصان من شدة العاصفة ، وقد استولى عليه الرعب وجلس مكانه جاثياً على ركبتيه . فاضطررت لتركه وشأنه ، وتوجهت نحو

القرية وقد قطعت أمل الاستمرار من رفيقي ، وأصبح العدو امامي وقد هيمن على خط رجوعي .

أسرعت لاجتياز القرية قبل ان يتغلغل في منافذها فسخّر الله لي ثغرة مررت منها كالسهم ، واصبحت القرية خلفي ، وسخر الله لي صفين من شجر الحور ، فمررت من الفرجة الكائنة بينهما ، ومشيت مسافة لا تقل عن كيلومتر ، وأصبحت بمأمن من مطاردة العدو الذي بقي بجوار المقبرة . وحين خرجت من بين فرجة صف شجر الحور المتقابل ، ظهرت أمامي فسحة واسعة ، فقعدت على ربوة عالية اتحرى المكان ، وأنعم النظر في الجهات ، بينما كانت الشمس تودّع هذه البقاع مرتدية كسوة وملتهبة كشعلة حمراء ، تنثر اسهماً نارية ، كما كانت نيران المدافع وقذائفها تنثر علينا مقذوفاتها الجهنمية قبل ان تختفي الشمس وراء الأفق الغربي لتشرق على قارة ما وراء البحار وجزرها النائية .

وطرق مسامعي دويّ رصاص كاد يصمّ أذنيّ ، فانتبهت وأمعنت النظر محدقاً الى تلك الجهة ، واذ بخير الدين اللبابيدي يمر من امامي مرور السهم راكضاً بسرعة البرق . فغادرت مكاني وأسرعت لايقافه ، ووقفت على وجهة مسيره ، وانتظرته . فلما دنا مني سألته عن الرفاق فلم ينبس ببنت شفة ، وقد ارتبط لسانه ولم يع سؤالي ، وواصل ركضه فألقيت نظرة طويلة الى الجهة الغربية ، فشاهدت اشباحاً تتراءى خلف الأشجار واشخاصاً كأنها غنم مستنفرة فرت من قسورة . وحقيقة الأمر أن هؤلاء العزّل أصبحوا اضعف من الغنم ، لأنهم معرّضون للموت اذا لم ينقذوا انفسهم . واذ برفيقيّ سلمان ورفيقه يسرعان نحوي ، فتأكدت من أنهم مطاردون من قبل العدو . ولما تبيّنتهما وجدت أنهما مخطوفان ممتقعا اللون ، تظهر في اسارير وجههما كآبة الحزن وسورة التأثر بل حتى الخوف والهلع . ولما سألتهما عن فرحان شرف هدأ روعهما ، ووقفا ليقعدا بجانبي ولم يفقدا صوابهما كخير الدين . كان سلمان رابط الجأش فجثا بجانبي وقلت له لف لي لفافة (سيكارة) ، فامتثل وناولني سيكارة فدخنتها وقلت له : أين فرحان شرف ؟ فقال سلمان : الجند يطردنا؟ ولم تزل الطلقات تتوالى من الجهة الغربية لنجدة اخواننا ، فأجابني بأن هذه الطلقات تطلق من قبل الجند المطاردة للأعراب ، وقال لنذهب الى القرية . وفي الطريق اعلمني بأن فرحان استشهد وذلك بقوله لي بكل هدوء (يسلم

رأسك) . فاغرورقت عيناي بالدموع . وبدأت تنساب على صفحات خدي ، فقد تـأثرت جـداً لاستشهاد رفيقي الشجـاع ، وشعرت بمـرارة في قلبي وغصة في فؤادي ، ففرحان كان من الشجعان البواسل عرفته بعريين وشاهدت شجـاعته بـأم عيني في هذه المعركة .

تقدمنا نحو القرية فوجدناها خالية من الجند ، بينما كانت الشمس تـرسل آخـر شعـاع من اشعة نـورها من خـلال اوراق الشجر . واصلنـا السير نحـو العبـارة بكـل احتراز ، وكنا نسمع طلقات الرصاص في الجهة الشرقية الجنوبية . ولما صرنا على مقربة من العبارة شاهـدت دماغـه وقد تنـاثر في منتصف الـطريق امام معصـرة القمر الـدين (كمعلف) ، لا يبعد عن العبارة اكثر من خمسين متراً . فتقدمنا نحو الجثة الممددة على الأرض ولم يترك الجند على جسده الطاهر سوى لباسه وقميصه الداخلي ، وكـان مكتفاً وملقىً في منتصف الطريق فوق أحجار العبارة . فحملناه وسرنا به لنواريه التراب، وهنا حامت فوق رؤوسنـا طيارة بجـوار الجامـع فتركنـاه أمام رصيف الجـامع واختبـأنا تحت الرواق، وكانت الطيارة منخفضة لدرجة انها كادت تلمس سطح الجامع فاكتفت بإلقاء قنابلها دون أن يصاب احد منا بأذى وساعدنا الليل على الاختفاء، الا أننـا كنا نسمـع لعلة الرصاص بشدة بجهات جـرمانـا . وبما ان جيـوش الظلام دحـرت كتائب النهـار اندحاراً تاماً وتوارت الطيـارة عن أنظارنا بعد أن سقـطت قنابلهـا على جـوانب جدران الجامع الشرقية الجنوبية ، عدنا فحملنا شهيدنـا وواريناه التـراب بالمقبـرة بجوار سيـاج المقبرة ، وقذف سليمان حفنة تراب على قبره ، وذرفت دمعة الوداع الأخيرة على قبر هذا الشجاع والأسى يحز فؤادي والكآبة مستولية على سحنتي ، وقرأت الفاتحة وانا أبكي على غيابه بكاء أخ فارق أخاه ، وأبنته ببضع كلمات قلت فيها :

« ارقد أيها الشجاع في مرقدك الأخير ، فقد ذدت عن حياض الوطن العزيز ومت موتة المغاوير ، فرحمك الله وأنار الله مقرك الأخير وسلام الله عليك . نم نومـة الخلود . فقد قمت بواجبك نحو وطنك فرحمك الله » .

ثم ودعناه ودموعنا تذرف وتنساب على صفحات خدودنا ، وسرنا تحت ستار الليل الدامس ميممين وجوهنا شطر (عقربا) .

محمد عز الدين والفرسان

على أثر انسحاب الفرسان لتأمين مكامن لخيولهم فقد عدل رأيهم عن وضع الخيل في البلاط ، ولكنهم اختاروا لها مكمناً بين جرمانا والبساتين المجاورة ، وقد انجدهم شباب جرمانا فكمنوا للجند ، وعلى أثر انسحابه بعد حربنا الضروس الذي امتد طيلة النهار ، ولما تبين للثوار طلائع فرسان العدو أصلوه ناراً حامية من مكامنهم .

اشتد وطيس المعركة قبيل الغروب حتى الساعة الثالثة ليلاً حين وصولنا عقربا ، وقد تكبد العدو خسائر فادحة جداً تقدر بالمئات . وقد نقل لي مرافقي الخاص عبد الحميد حمدان النابلسي الذي كان مع الجند في هذه المعركة التي امتدت من انبثاق الفجر حتى ربع الليل (الهزيع الأول من الليل) بأن خسائر العدو ست عشرة نقالة كبيرة ، وقد ابلى شبان جرمانا بلاء حسناً في هذه المعركة التي انجدت بها محمد عز الدين وأسدت له أجلّ معونة .

وصولي عقربا : بعد ان اسدل الليل سجوفه انسحب الجند من جبهتنا تماماً . سرنا نجتاز الغياض وأصوات المفرقعات تدوي في الفضاء كأنغام الموسيقا رغم أنها كانت تصم آذاننا . وكنا نشاهد القذائف المنطلقة كالشهب المنقضة من السماء ، واستمرت هذه المناظر المؤثرة حتى وصلنا عقربا وقلوبنا تقطر أسى لفجيعتنا بفقد شهيدنا الشجاع . كان السيد خير الدين قد سبقنا اليها وأعلم الأخوان بعد أن هدأ روعه بأني قتلت ، فتقاسموا اغراضي كالذي يشتري السمك في الماء او جلد الأسد قبل اصطياده . وحصل اختلاف على حيازة الفرس ، فكان المرحوم نوري القصاب يطمع بأخذها ولكن ما إن وصلنا الى القهوة حتى هدأت عاصفة الحزن ، وأقبل الاخوان يغمرونني بقبلات اللقاء ، كما يقبل الحبيب المشتاق حبيبته ، فيغمرها بهاطل من القبلات الحارة .

قصوا علي ما قاسوه في حربهم الليلي . وبشرني محمد بك بأنه انتقم لشهيدنا ، فشكرتهم واعلمتهم بأن شهيدنا أخذ ثأره بيده ولم يذهب رخيصاً . ثم سألتهم عن منير الريس رفيقي الشجاع الباسل المخلص ، فأجابوني بأنه لم يعد بعد ومصيره مجهول لديهم ، فاضطربت كثيراً لأجل أخي الصغير والشجاع الكبير منير .

٧٧

دخلنا القرية وحللنا ضيوفاً علـى سكانها ، فـأغدقـوا علينا الخيـرات ، وغمرونـا بجودهم لما شاهدوه من ضـروب شجاعتنـا . نمنا ليلتنـا هناك ، ولكن أفكـارنا كـانت مضطربة قلقة على مصير منير واخواننا .

وقد نشرت السلطة بلاغاً رسمياً عن هذه المعركة قالت فيه إن خسائر الثوار كانت فادحة ، وإنها لم تخسر سوى ثلاثة جنود ، مع ان خسائرنا بالنفوس لم تكن سوى فرحان واثنين جرحا في معركة الليل ، وقتل مع محمد بك علي الحسين من الحمورة وجرح نايف حمزة من جرمانا . واثنان آخران من الدروز .

مصير منير ورفيقيه

كنـا قبل زحفنـا من بابيـلا أرسلنا الشـاب الشجاع منـير الريس يصحبـه تـوفيق الصحناوي وابن عمه مسعود لجلب الدراهم التي وعد بها عصابة محمد بك واخوانه مختار سقبا والمبلغ على ما اظن عشرة جنيهات ومنير ومحمـد بك اعلم بـذلك . وصلوا سقبـا وسروا منها ، ولكن احداق الجند بالزور حين انبلاج الفجـر ادى الى اصطدامهم معـه بجوار جسر الغيضة في الشقة الشمالية ، فترك منير حصانه ، وهو الحصان المرسل لفؤاد بك سليم ، لدى عصابة المرحوم الخراط ، ولكن حينما انسحبت العصابة امتـطى أحد افرادها الحصان وفرّ به ، ومن شدة الـركض جرح الحصـان وبقر بـطنه بعض أغصـان الشجـر ، ولكن منير ورفيقيـه ثبتوا ثبـات الأطـواد الـراسخـة وضـربـوا مثـلاً أعـلى في الشجاعة ، وسجلوا صفحة ناصعة في تاريخ حروب استقلال سوريـة ، تلك الحروب التي جرح الخراط فيها بكتفه . واخيراً انسحب منير مع العصابة الى حمورة .

التحق بهذه المعركة غالب دقماق على أثـر وشايـة غالب المهـايني فسجن ، وبعد خروجه من السجن طاردته السلطة ففرّ والتحق بعصابـة الخراط ، فـالقى عليه القبض اربعة من الثوار وجلبوه للخراط وأرادوا شنقه ، فأنقذه محمد شرف من بين ايديهم . ولما ذهب الخراط عادوا فـأعلموه بـأن الجند طـوقوا الـزور ، فنخى جماعتـه فاستـولوا عـلى رشاشة ، ولكنهم على أثر جرحه في كتفه فروا . فتغلغـل غالب بـين الأدغال وأتى ليـلا المليحة ، فاجتمع بالتهامي وأخيه ، ولكنهما اختلفا وسحبا الخناجـر بعضهما عـلى بعض

فتركها وشأنها وعاد فاختبأ بدمشق ، ولما استشهد قاسم دقماق بعقربا التحق خالد بأبي عبدو سكر .

القبض على متطوعة في حمورة

بعد معركة المليحة ضل بعض فرسان العدو من الشراكسة الطريق ، فوصلوا حمورة حين كانت العصابة مرابطة بها ، فشاهدهم منير وكمن لهم مع بعض رفاقه بجانب الدكوك ورموهم ، وتمكنت العصابة من أسرهم ، واعدمهم الثوار لخروجهم ضد الوطن ، وخيانته . وقد أقر الحكم رؤساء عصابة الشاغور وعصابة الأكراد المؤلفة من أبي دياب وسعيد عدي ورئيس عصابة قبر عاتكة الشيخ حجاز وكانت هذه المتطوعة تود الوصول الى مرج السلطان وقد نشرت جريدة فتى العرب نص حكم الإعدام حرفياً .

تطاير شرر الشر

علمت عصابة الخراط بأن حملة زحفت لتخريب الدكوك ، فقتل الثوار منهم ستة أشخاص . وفي اليوم الثاني اشتبكوا معها بجسر تورا ، كما ان عصابة الدروز بالاشتراك مع ابي عبدو ومحمد بك عز الدين ، دخلت من مز القصب الزينبية ووصلوا حارة العمارة ، وقتل ثائر يسمى ابراهيم سليمان من جيرود ، وابراهيم البرداوي . كما أن عصابة عكاشة اشتبكت مع الجند بجوار القابون ومنها أتت عربين فصادفت بجوار ارض جوبر أبا ابراهيم وكان قصدهم الاشتراك بالثورة . فأخذ سعيد عكاشة بندقية علي زلفو ولما اجتمع العاص وابو عبدو ديب الشيخ والمرحوم الخراط أرسلوا بارودة علي زلفو للأكراد ، فحفظها المرحوم أحمد منلا لديه ، فغضب علي زلفو من الثورة ، وهذه شرارة خلاف الأكراد مع أولاد عكاشة التي ادت لحرب وخلاف ، كانت نتائجه وخيمة على الثورة .

بوادر الاختلافات

عود على بدء : بعد ان قضينا ليلتنا في عقربا ، تحولنا منها الى يلدا . وفي ٢٠ تشرين الثاني التحق بالثورة عبد الحميد النابلسي وجندي ألماني ودركي شوفاني يسمى توفيقاً .

طلبت عصابة الدروز مبلغاً ضئيلاً لمبايعته من بيت سحم على اثر المعارك السابقة ، فوعد المختار خيراً . وبعد أن وثقنا من قوله غادرت العصابة القرية على أن نعود اليها ، فهبطها المرحوم وأولاد عكاشة ، فتواطأ المختار معهما وسلمهما المبلغ . ولما عادت العصابة وطلبت منه المبلغ أجاب المختار بأن المبلغ قبضه المرحوم . فاستاءت

الدروز وكاد يحدث صدام بين الطرفين . فتذاكرت مع محمد بك وسعيت لتلافي الخطر . وحقيقة الأمر أن المبلغ لا يصيب الثائر منه سوى ربع مجيدي فقط ، بالنظر لقلته ـ وقد اردت اقناع المرحوم وابن عكاشة بوجوب استرداد المبلغ فتبينا انهما وزعا المبلغ على افراد عصابتهما ، وعليه نظراً لعدم توزيع المبلغ ، فقد قررنا مع محمد بك مبارحة هذه المنطقة ويممنا وجوهنا شطر الست . وحقيقة الأمر ان الحرب كانت ملقاة على عاتق عصابة الدروز ، واما عصابة المرحوم وابن عكاشة فقد كانتا بعيدتين عن كل اشتباك عند مهاجمة مخفر الشيخ حسن !

التمركز بالست ومهاجمة الشيخ حسن

وردنا من سلطان باشا الكتاب الآتي :

« جناب حضرة الأجل الأمجد المحترم :

تحية واحتراماً ، عسى ان تكونوا وعموم رفقاؤكم حاصلون على تمام الصحة والعافية . لا غرو فالله عز وجل يوفق سعيكم كونه خالص لوجه الله تعالى ومقصود به اعزاز الوطن والبلاد السورية اجمع ، فعليه وحيث ان الغاية شريفة ومقدسة فبدون شك سيكون النصر حليف الرجال المخلصين . قد حررنا لأخواننا زيد وصياح ولعموم الرؤساء الموجودون بالغوطة والأقليم لأجل يوحدوا قواهم ويتفاهموا مع عموم رؤساء العصابات ورجال الثورة والوطنيون ، لأجل اذا امكن تأليف حكومة وطنية بالمركز الذي يختاروه أهل البلاد ، لأننا هنا بالمذاكرة مع حضرة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر على ذلك وأريد الاسراع بهذا الأمر ، واذا تم تعلم الأمر على هذه الفكرة .

يلزم انتداب معروفون بالنزاهة والاستقامة حتى ينظر عموم الأهلين نخوة رجال الوطن بحقوق البلاد . نحن هنا بحوله تعالى بهذين اليومين سنعمل حركة على قلعة بصر الحرير وازرع ، العسكر خرج من بصرة اسكي شام والمسيفرة ، واهل السويدا إذ ذهبوا للمسيفرة وحرقوا ما بقي من خيام العسكر . الأمل ان تدوموا على أعمالكم وتربطوا رجالكم العاقلين النزيهين كي يكسبون ثقة الأهالي ويزول من فكرهم الاجراءات السابقة التي ارتكبها بعض رجالات العصابات المندمجة باسم الجيش وهم خونة . وقد ارتاح

ضميرنا جداً لوجودكم على رأس هـذه القوة وبـات املنا وطيـد في تعليق المخابـرات ، وتأليف حكومة غاية ما نؤمله صلة اعلامكم السارة ان تيعنوا ثلاثة مخصوصين للبوستـة بيننا وبينكم كي تكونوا مطلعين على الأحوال هنا ، ونحن مطلعون على احوالكم ومهما قدرتم من التشجيع .

ثم بخصوص الأسرى لا لزوم لارسالهم لهنا ، انتم مفوضون في اصلاح حالتهم مع سلامنا لعموم من برفقتكم . هنا جميع الأخوان يسلمون عليكم وادام الله بقاكم » .

٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ .

اذاعة

وفقاً لتبليغاتنا السابقة ، فإن قيادة الغوطة تعلن لجميع الأهلين بأن النهب والسلب وطلب المـال ممنوع من أي فـرد كان ، وكـل من يتجاوز عـلى القـرى فيجب معـاملتـه بالسلاح ، ودمه مهدور . ولكي تكون الكيفية معلومة لدى الجميـع اقتضى اذاعة هـذه النشرة لجميع سكان الغوطة المحترمين .

قيادة الغوطة

مقررات

تقرر ان يكون الجيش الـوطني مؤلف من ٢٠٠ خيال و(٥٠) من المشـاة لتوطيـد دعائم الأمن في المنطقة الشرقية ، على أن تكون دعائم القوى الوطنية ظهيرة له .

مهاجمة مخفر الشيخ حسن

حـولنا في قـرية (الست) وقـد قررنـا تعجيز الافـرنسيين ، فـانتخى لأداء هذا الواجب والقيام به متطوعاً السيد منير الريس ، وبيّن بأنـه مستعد لمهـاجمة مخفـر الشيخ حسن . فالتحق به الشاب شاهين الحلبي ورمضان الدرزي من جرمانا ، فهاجموا المخفر

ليلاً وأصلوا الحراس ناراً ، وعادوا غانمين مسدساً ومعطفاً وكان المسدس من نصيب رمضان ، والمعطف من نصيب شاهين ، وعادوا ادراجهم والظفر يتوج هاماتهم .

في الست

وصل الى الست من الأقليم سلمان بك الأطرش ، وحل ضيفاً فيها ، ونقل لنا وقائع الأقاليم وقص علينا معاركها الدامية . وكان يحمل كتاباً بتوقيع زيد بك وفؤاد بك وصياح بك الحمود وغيرهم ، وشرحوا لنا فيه تشديد وطأة الهجوم على دمشق لتخفيف وطأة حملات الأقاليم الزاحفة ، وقد ضاع نص صورة الكتاب مع أوراقي بحمورة . وقضينا ليلتنا بالسمر في ضيافة ابن خير الله الحاتمي المشهور بكرمه ، اذ كان يطبخ للمجاهدين الرز واللحم بالقدور الضخمة والحلل . ووظف هناك امرأة للقيام بواجب هذا العمل عدا ما يصرفه من العلف ، كما كنا نتناول القهوة العربية الشهية . وكان يصحب سلمان طفله الصغير الذي تمكن من جلبه من دمشق وكان طفلاً يتقن الافرنسية ، فكأنه افرنسي في لهجته لم يبلغ العقد الأول من العمر ، يصحبه زلمة صياح بك الحمود صاحب حادث رساس، وعلمنا بأن عصابة الدماشقة التي كانت بإمرة نزيه بك في الأقاليم هبطت حوش الريحان .

٢٢ تشرين الثاني

بناء على الأخبار الواردة الينا ذهبنا الى حوش بالاس للاجتماع ببعض الرجال ، ولكنا لم نتمكن من رؤية أحد منهم ، في وقت كان القمر يغمر بضيائه حوش بالاس. ولما عدنا من المحل المذكور ، قمنا بتخريبات لا بأس بها فعطلنا قسماً من الخط ونمنا في البويضة .

كما حدث في تلك الآونة أننا قمنا بتخريبات في جسر الباردة ، وذهبنا الى حوش الريحان واجتمعنا بالبطل نزيه بك واخوانه ، وهم ابو تركي والقواص وصبري فريد وزكي الدروبي ، فوصف لنا نزيه بك وقائع الإقليم وصفاً دقيقاً ، وكان الوقت بعد العصر .

وحدث في صباح تخريبنا للخط في الباردة ان أتت الى تصليح التخريبات قوة من فرسان العدو ، فصادفنا صباحاً بعض ثوار من الدروز يلتقطون الدجاج من الحوانيت ، وبينهم درزي اشقر تطوع اخيراً في الجيش الافرنسي . وعندما شاهدنا فرسان العدو على الخط أقدمنا على رميهم لكن منير اقنعنا بالعدول عن ذلك لأننا كنا قلائل جداً ، ثانياً البقاع سهلة ، ثالثاً نستهدف الحوش للهدم وهو لأقارب نزيه بك والقوة الدرزية كانت في سبينة وسبينات وحجيرة ، فأحجمنا عن المصادمة لكي لا يتضرر بيت صديقنا ، وعدنا الى الست عند اخواننا .

في البويضة

قضينا ليلتنا في البويضة وقد وقع بيدنا جندي أسير كان مستخدماً بالحرجلة ، اذ صادف عبد الكريم فكلمه بالافرنسية وألقى القبض عليه ، واسمه موسى ، وهو تركي الأصل حمصي الموطن ، ولكنه فر مؤخراً ، فهو لا محالة كان جاسوساً ، وقد حصل تبادل بين حصان منير الجريح وبين فرس ابن القوتلي التي نصفها لزكي بك الدروبي . ومساء شاهدنا غباراً متصاعداً ، فاعتقدنا بأن حملة زاحفة ، فاستطلع الأمر عصابة الكوارنة ، ولكنهم عادوا في المساء بدون أن يعثروا على شيء .

في الحرجلة ٢٥ تشرين

قبل أن يمد الليل رواقه ، ذهبنا الى الجهة الجنوبية لتعطيل الخطوط الحديدة ، ولكن قبل وصولنا للقرية ليلاً ، فاجأتنا الطيارات قبيل الغروب ورمتنا بقنابلها الجهنمية ، وكبدتنا خسائر فادحة ، اذ قتلت فرس أحد البداة ، لكن هنا السر ، فمن اين تمكنت من الوقوف على زحفنا ؟ لا شك من أهل البويضة . إذاً يجب عدم استهتار الثائر بشؤون زحفه ، وان لا يبوح بسر حركته لمخلوق .

دخلنا القرية حين هبط الليل وتناولنا طعامنا متأخراً ، وتحدثنا مع المختار بوجوب مهاجمة النقطة وتعطيل الخط . ولكن المختار تواطأ مع بعض رؤساء الحركة الدرزيّة سراً

على مبلغ معين ، فأبدى مطالعته بأن هذا العمل يكبّد القرية خسائر فادحة وتغريمها غرامة فاحشة . ولكون عملنا هذا سبباً لخرابها ، فالأحسن تخريب الخط من دير علي ، وقيل بأن محمد بك عز الدين قبض باسم مبايعة عتاد خمسة وعشرين جنيهاً ونظراً لقلة عتادنا ، فقد أقلعنا عن التخريبات وقررنا العودة الى الغوطة . وحقيقة الأمر أن تجوّل محمد بك بعصابته كانت مبنية على الأساسات الآتية :

اولاً : جعل الخراط في معزل ، لأن قوى المرحوم لم تشتبك بالمعارك طيلة تجولنا في الغوطة .

ثانياً : تخفيف وطأة متاعب الحرب ، لأن الحرب على عاتق عصابات الدروز فقط .

ثالثاً : تأمين مبلغ للمجاهدين كمالٍ احتياطي وتوزيع قسم منه على عصابته . وكانت مفاوضته مع المخاتير سرية كما حصل في حرجلة .

وحقيقة مخاتير الحرجلة أن للبعض منهم صلة كبرى مع الافرنسيين ، ولهذا بذلوا قصارى جهدهم لإبعاد وجهة نظرنا عن ضرب النقطة وتعطيل الخط ، وهذا لا شك بساطة قلب منا ، وتواطؤ من بعض اخواننا ، بل كان الأجدر بنا أن نرغم القرية ونشركها بعمل التخريب ، ولكنها هفوة من هفوة الثورة والحقيقة خدعنا ، وذلك في ٢٥ تشرين الثاني ، لأن التواطؤ السري كان له مفعول عظيم على عدم قيامنا بالتخريبات ، وتوهيم المختار لنا بأن مواقع الجند حصينة للغاية ولا تجدي مهاجمتنا نفعاً سوى الخسارة .

وقبل انبلاج الفجر ، قررنا السفر الى جهات نجها خوفاً من ملاحقة الطيارات ومفاجأتها لنا بالسهل ، لأن استخبارات الافرنسيين منظمة لدرجة أن المخاتير الذين كانوا يظهرون أمامنا بمظهر الوطنيين المخلصين ، كانوا رؤساء قلم استخبارات النقاط واليك دليلاً على ذلك .

غادرنا القرية عند انبلاج الفجر . ففاجأتنا الطيارات قبل شروق الشمس ، ولكنها لم تعثر علينا في سهل نجها لأنها كانت محلقة عالياً فوقنا ، ومن حسن حظنا أننا وصلنا الى كروم فرحتا وتوارينا عن نظرها .

ومنها انتقلنا الى حتيتة التركمان وذلك في يوم ٢٧ تشرين الثاني . وبعد ان قضينا ليلتنا في حتيتة التركمان أتينا الى بيت سحم والحقيقة ان مختار الحتيتة اعجب جاسوس في هذه المنطقة ونحن لا نعلم عنه ولا عن غيره شيئاً ، كما سيتبين لك أيها القارىء في الحوادث المقبلة .

التحاق أبي عبدو سكر

لقد كلف الإفرنسيون أبا عبدو سكر مهام عديدة ، ومنها أنه كان المفاوض مع محمود كيوان كما فاوض زيد بك حين هبط الغوطة ، ولكنه كان يشتغل مع بعض الذوات المعروفين بشكل سرّي . وقد اجتمع محمد بك عز الدين اكثر من مرة مع بعض هؤلاء الذوات في الست ، واخفى علينا أحياناً بعض اجتماعاته السرية لغاية في النفس . وأبو عبدو سكر كان يشتغل مع هؤلاء الذوات الذين اكتم اسماءهم وهي معروفة لدينا الآن ، ونكتفي بسرد التحاق هذا الداهية في حركاتنا .

كنا في بيت سحم ، فعلمنا مساء من رجل أتانا يعلمنا بأن رجالاً يريدون الاجتماع بنا . فذهبنا الى المحل المعين ، وكنا محمد بك عز الدين ولفيفاً من رؤساء عصابات الدروز ، والبعض من اخواني ، فوصلنا مفرق الطرق المؤدية الى دمشق وبجوار المصلّبة حديقة فدخلناها ، وإذا الخيول تحت الأشجار مربوطة ، فسلمنا على هذه النجدة المباركة .

واذا هي مؤلفة من كل من السادة أبو عبدو سكر ، وفائق العسلي ، وصبري العسلي وأديب ، والأمير احمد الشهابي ، ونسيب شهاب ، وخليل الحموي ، وياسين الخانجي ، وحكمة العسلي ، وتور حباب وابن المطيط ، وأشقاء أبي عبدو أبو قاسم ومصطفى والشيخ توفيق سوقية ، وبعض من الميادنة ، ومن جملتهم الطرزي . ولما اجتمعنا بهم بدأت الطيارات تحلق في سماء المنطقة ، فخاف البعض منهم ، لكننا أعلمناهم أن لا خوف عليهم منها ، وما كدنا نجتمع مع عبدو على بساط الطبيعة الطبيعي ، حتى بدأ يفاتحنا بخططه المقبلة ، وأنه سيسعى الى تجنيد أناس بالدراهم ، وأعلمنا بأن السلطة شكلت عصابة برئاسة سليم المفتي الخائن ، وهي مرابطة في

الطويلة ، واحياناً ترابط على طريق كفر سوسة وتنهب وتسلب ، وتأتي بفظائع الأعمال باسم الثوار ، وذلك لتشويه سمعتهم وتنفير الناس من جهادهم المقدس . فشكرناه ، ومن هناك توجهنا جميعاً الى قرية بيت سحم بموكب فخم بعد ان وقانا الله من شر النسور الفولاذية . وأعلمنا ابو عبدو بأن القائمقام العسكري زكي بك سيلتحق بالثوار غداً او بعد غد متى انهى اعماله الضرورية في البلد . فسررنا جداً . وبعد أن ملأنا أسماعنا بأحاديث أبي عبدو وخططه ومراميه هجعنا هجعة هادئة في هذه القرية . وصباحاً غادرناها وكمنّا تحت شجر الزيتون خشية من مهاجمة الطيارات ، لأن فعالية الجواسيس كانت قوية جداً .

اجتماع يلدا

وبعد ان قضينا سحابة نهارنا في حدائق بيت سحم ، أعلمنا بقية العصابات بأننا سنعقد اجتماعاً هاماً للمذاكرة في تنظيم شؤوننا في يلدا . ومساء ذهبنا الى يلدا فحضر رجالات العصابات الأخرى ، ومن جملتهم المرحوم الخراط وسعيد عدي وأبو دياب الكردي ونزيه بك وزكي الدروبي ورفقاؤهم فقعدنا صباحاً القرفصاء على حصيرة وحضر من الدماشقة ابو عبدو الحباب وأولاد العسلي والأمير أحمد ومنير الريس وصبري فريد وياسين الخانجي . وبما ان المقررات ستطول فقد وجدنا من الحزم والحكمة عقد الجلسة تحت اشجار الزيتون(*) بعد ان كنا عرفنا جميع مرامي أبي عبدو في الاجتماع الذي حصل في الليلة الفائتة ، وهي تدور حول النقطة الآتية التجنيد بالمال . ويشتمّ من بيانات ابي عبدو الطُّموح للقيادة ومنع النهب والسلب ، ووضع حد للمعتدين ، واتذكر جيداً بأن بعض وجوه الميادنة من بني المطيط وغيرهم من الأسر المعروفة ، حضروا هذا الاجتماع الليلي ، وإن اشتراك فئة متنورة وشباب يلتهب حماساً معنا جعل لثورتنا مكانة أدبية سامية .

وبعد قليل شاهدنا ضابطاً افرنسياً وجندياً يسرعان ، فطاردهما غالب دقماق حتى محطة الحجاز ، حيث قابله الجند بالرصاص ، فالتجأ الى محل وتمترس ، وأنجده

(*) الاجتماع والمقررات تحت ظلال الزيتون تراه في غير هذا المكان من الكتاب .

محمد شرف رئيس عصابة دروز تيها ، واشتبكا مع الجند ثم انسحبا . وما كـادا يصلان القرية حتى كان بياع الهريسة الجاسوس المتستّر بثياب الشفقة قد اعلم القوة ، ولم يكتف بتجسسه هذا بل عاد مرة أخرى بحجـة بيع تنكـات زيت . وصباحـاً خرجت فئـة من الثوار ، فشاهدت أشباحاً عن بعد ، فعاينتها واذ هي قوة استطلاعيـة . كان ذلـك من جوار بيت حاكمه برأس الـطريق ، فتنبه الثـوار واشتبكوا مـع قوة الكشف ، وامتـدت المصادمة ساعة ، واحتمى الثوار بالقرية ونخت النساء الرجال فانتخى كلّ من ابي طالب روح وشقيقه مصطفى روح وأبي احمد خضراوي وابي فهد سالم ، وعلي عرب ، وقاوموا الجند ، ولكن تدفق القوة أرغمهم على التشتت وقد صادف غالب أثناء انسحابه خمسـة عشر درزياً من السويدا ، وكلهم مشاة ، فأعادوا الكرّة واصطدموا مع الجند ، فانجدهم نزيه بك ومحمود الشعار بعد ساعة من اصـطدامهم يصحبهم ثمانيـة من المجاهـدين ، فهجم الجند واشتبكوا معهم بالسلاح الأبيض . أما نزيه بك فقد سدّد عليهم من الجبهة الشمالية وأردى منهم اثنين ، وألحق بهم البقية ، فاندحرت القوى الاستطلاعية بعد ان تركوا حصاناً أزرق استولى عليه هاني الكرباج . وفي هذه الأثناء وصلت النجدات .

هذا ما حدث صباح يوم المعركة قبل وصولنا ، ويقول شاهـد عيان آخـر ، وهو اسماعيل البلداني الذي صحب نزيه بك في حروب الإقليم : كنا دورية انا واسماعيل وعلي ابن الشيخ أحمد ، فقال لي رفيقاي : الجند وصلت بستان باكير ، فتوجهت وإيّـاه من بابيلا ووصلنا قناة العصرونية ، وكان الجند يزحف من الجهة الغربية ونحن تمركزنا شرقي القناة واشتبكنا معه مدة طويلة . وقد شاهدت نزيـه بك بـأم عيني ، وكنت عن يمينه وابو عرب ياسين عن يساره ، فرمى تسعة امشاط أردى بها ٤٥ فارساً من العدو ، أي بكل رصاصة أصاب مقتلاً ، ولم تخطىء له رصاصة . فارتد الجند عنّـا . ولما كـان بعض قوى الجند مشتبكاً مع الثوار عند جدران يلدا حانت منا التفاتة فشاهدنا ستين فارساً من المغاربة شاهـري السيوف فطاردونا ، وبقي بيننا وبينهم ستون متراً ، وعددنا لا يتجـاوز أصابـع اليد ، وهم عـلي بن الشيخ أحمـد وحسن دبوس وثـلاثـة دروز من السويداء واسمـاعيل عـريضة . فهلعت افئـدتنا وكـدنا نجمـد من الخوف ، وتـوترت أعصابنا واستولى الرعب على أنفسنا ، وهيمن على نفوسنا الجزع ، وكادت ايدينا تيبس على مقابض بنادقنا . فشجعنا شيخ درزي طاعن بالسن ، فدبت في نفوسنا الشجاعة ،

٨٩

وكمنا في النهر ومترسنا على مقربة من بستان عرب ، ولو لم ينجدنا نزيه بـك لكنا وقعنا اسرى بيد فرسان العدو الذين ترجلوا عن خيولهم وتقدموا نحـونا بـالسلاح الأبيض ، ورمى الشيخ الدرزي اول فارس ترجل فأرداه قتيلاً ، وبعد ان كان رفقاؤه بحالة رهيبة أشد من حالتنا تشجعوا . وهكذا أوقفنا تقدمهم بفضل بسـالة الشيـخ ونجله نزيـه بك ومن ثم انتقلنا وانحرفنـا الى الجهة الشمـالية التي تبتـدأ من بستان بـاكير وتنتهي غـربا بالزفتية ، وجنوبا نهر العنبري وشرقاً السليخة وبستان أولاد العـظم ، وامتدت المعـركة حتى العصر . وعلى اثر وصول النجدات واندحار الجند وصلتنا نجدة محمد بك عز الدين وهاجمت بحماس ، وقابلهم الجند بالرشـاش فقتلوا جنود الـرشاشـة واستولـوا عليها ، وتقـدموا حتى نهر العنبـري . وهنا ارتـد الجند عـلى اعقابهم ، وكـانت أمـامهم قنـايـة الغسالات ويقال لها نهر الصوف فوصلوا اليه . استفحل الخطر وبدأ الجند يخوضون النهر والذين اقدموا على الاجتياز خروا صرعى في الميدان ، ويقدر قتلاهم بالمئات . وقتل من الدروز ثمانية واستشهد احمد شومان من بابيلا ، وكان شجاعاً باسلاً ، إذ أصابته قنبلة من طيارة فقصمت الشجرة المتمترس بها وشطرته نصفين .

واستشهد ابن نجيب من يلدا وابن عصفور من الميدان ، وطفل من الست عمره عشر سنوات بجانب قناة العصرونية ، وكان بحزامه مفتاح خشب قطعتـه الطيـارة ارباً ارباً رحمه الله . واصيب ابو رشيد محمد الرفاعي بخده وابو عرب صادق بإصبعـه ، ولما جاء المرحوم الخراط مساء بعد انتهاء المعركة ، وانسحب الثوار القت الـطيارة عليـه في سهل سيدي كناس ، فجرح من جماعته أربعة أشخاص ، وقتل اربعة رؤوس من خيل عصابته ، واصيب بشير الدقاق . وبعد ان عاد الثوار في الساعة السـادسة ليـلاً أوصلنا النساء الى الميدان بينما كانت المدافع تقذف قنابلها ، وانسدّت مجاري المياه من كثرة قتلى العدو ، ولم تتمكن « الطنابر » من إكمال حمل الجثث الا بعد اسبوع .

نزيه بك يقص الحادث بقلمه .

« وقعت يوم ٢٨ نوفمبـر سنة ١٩٢٥ نحـو العصر حيث اشتبكنا مـع العدو وفي البستان المعروف بكرم التين بأرض الميدان ، حيث كنـا ذاهبين لنجـدة أبو قـاسم سكر الذي ذهب ذلك اليوم لقتل الخائن المعروف سليم المفتي ، ودامت هذه المعركة بيننا وبين

الجند الى أن دخل الظلام ، حيث عاد الجيش ادراجه وعدنا نحن الى قرية يلدا .

وفي صباح اليوم الثاني بلغنا صباحاً بأن العدو يعد عدته الى مهاجمتنا في الصباح ، وللحال كتبت كتاباً الى السادة أبو عبده سكر وسعيد العاصي ونسيب البكري وسائر الاخوان الذين كانوا نازلين بقرية دير العصافير(*) « المؤلف » وأرسلت ذلك مع الشهيد ابو فارس الحرش ، فسلمه للاخوان وعاد الينا ليلاً يقول بأن الاخوان سيوافوننا صباحاً(**) .

اصبح الصباح وكان الطقس جميلاً والهواء عليلاً ، فخرجت ومعي السادة ابو قاسم سكر وابو ابراهيم المطيط وصبري فريد وغيرهم من المجاهدين الصناديد ، واكثرهم من يلدا ، نتربص بالعدوّ، وسننتظر قدوم اخواننا المجاهدين . ولم يمض علينا زمن حتى رأينا خيل العدو مقبلة ، فأخذنا استحكاماتنا في أقنية الماء ومجاريه ، وابتدأت المعركة بيننا وبين العدو ، ولم نمكنه من الزحف رغم كثرته وقلتنا ، وقد جاء لنجدتنا على صوت الرمي الفارس الصنديد متعب بك الاطرش ، ومعه شرذمة من أسود بني معروف الأشاوس ، وضرب جناح العدو الأيمن وأكرهه على الانسحاب ، وصار وقت الظهر ونحن صامدون في مراكزنا والطائرات تمطرنا وابلاً من رصاص رشاشتها ومساميرها الطويلة ، وهذه هي المعركة الوحيدة التي استعمل فيها الافرنسويون المسامير الطويلة . وبعد الظهر اقبل علينا اخواننا المجاهدون ، وعلى رأسهم سعيد العاص ، وابو عبد سكر ، وحسن الخراط(***) . ومحمد بك عز الدين وخليل بصلة وأبو ديب القديمي وشاكر عارف وغيرهم من الأبطال . وتمكنا بعد وصول اخواننا من اقتحام العدو في استحكاماته ورده الى دمشق خاسراً . ولدى سؤالنا عن سبب تأخرهم في نجدتنا قالوا لأن السيد نسيب البكري كان ينتظر إصلاح طعام الغذاء .

وفي النهاية لم يحضر معهم بل بقي حسب عادته في قرية دير العصافير بعيداً عن المعركة وداعياً لإخوانه بالنصر ، ومنتظراً عودتهم بفارغ الصبر » .

(*) والحقيقة كنا بحتيتة التركمن ، ولهذا السبب لم نتلق كتاب الأخ البطل « المؤلف » .

(**) ولربما سلم الشهيد الكتاب لأبي عبدو سكر فلم يطلعنا عليه « المؤلف » .

(***) والحقيقة أننا وصلنا بعد الاستقبال بساعة فقط ، كما سيأتي ، والمرحوم الخراط لم يكن معنا ولا اشترك بالمعركة « المؤلف » .

التمهيدات الأولية لمعركة يوم ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٥ يلدا وبابيلا الشهيرة. ان لعوامل هذه المعركة اسباباً خفية لم يعلمها من رؤساء الحركة وقادة حروبها سوى ابي عبدو سكر وهو طلبه المال شخصياً من حمدي الحكيم ، واقدامه على إرسال اشخاص لم نطلع على حقيقة امرهم الا بعد ان اطلعنا احدهم على هذا السر قبل طبع هذا الكتاب ، والسبب الظاهر الذي تذرع به هذا الداهية سكر ، هو عصابة سليم المفتي ، وقد لعب اشخاص كثيرون أدواراً شائنة في الثورة لحساب منفعتهم ، وكانوا سبباً لحروب دامية ، واضمروا حقيقة مراميهم لعدم تجانس الفكرة ولعدم وجود قوة منظمة تردع من يقدم على اعمال انفرادية .

لقد اطلع القارىء على المقررات وذهاب البطل نزيه بك لاستئصال شأفة عصابة الخائن(*) سليم المفتي الذي ألفها بأموال السلطة وعاث في الأرض فساداً ، وأهلك الزرع والضرع ، وجاس خلال الديار فساداً يسلب وينهب ويقتل ، ويفعل ما لم يأمر الله به ولم ينزل به سلطانا ، لم يعثر نزيه على عصابة الخائن ، وأنجد أبا قاسم سكر ! ولكن لما شعر العدو بقوة نزيه بك نازله مساء وارتد قهراً فانسحب الى يلدا بعد مصادمة مع العدو ، كان النصر حليفه بها ، فبات في يلدا ليلة ٢٧ ـ ٢٨ نوفمبر ، ولكن قوة العدو التي أكملت تجهيزاتها وعدتها ، زحفت على ملجأ الأسد وأرادت اقتحام عرينه ، فاشتبك معها كما جاء بوصف المعركة بقلمه سابقاً وثبت لها ثبات الرواسي حتى وصول النجدات .

وصول النجدات : يوم ٢٧ نوفمبر

بعد مغادرتنا يلدا يممنا وجوهنا شطر حتيتة التركمن ، وزحف البطل نزيه بك غرباً ونحن سرنا شرقاً . فوصلنا حتيتة التركمن ونزلنا في حوش الصواف ، واجتمعنا مساء في قاعة كبرى نتسامر . وبعد وصولنا ببرهة طلت علينا نجدة علي بك الأطرش ونسيب البكري وزكي الدروبي ، يصحبهم ١٥٠ فارساً من شجعان السويدا . فتعشينا جميعاً سوية ، واعلمونا بأنهم جلبوا صحبتهم مدفعاً صغيراً وحملوه على عجلة وعلى رأسه خليل ملحس احد النواب الذي كان بأمرتي في جدة يرافقه علاء الدين المسوتي وتنكة

(*) والحقيقة لترويج مقاصد الداهية سكر ، دون علم أحد لا نزيه ولا سعد ولا محمد عز الدين « المؤلف » .

ملآنة قنابل صغيرة ، والمدفع من عيار ٣,٥ لأجل مقاومة الدبابات . وهذا النائب فقد شعوره وأصبح في شوارع عمان بحالة يرثى لها . فأعلمناهم بحادث ابن المفتي وأننا أوكلنا أمر تأديبه للبطل الشجاع نزيه بك . نمنا كلّنا في الغرفة كالسمك المضغوط في علب القونسروة . ما كادت الغزالة تنشر علينا أشعتها النورانية وتطل علينا من نافذة الأبدية المشرقة ، حتى طرق مسامعنا دوي الرصاص يخترق الفضاء ، وكنت أتروّق بكسرة رغيف وجبنة ، وبوشر بتوزيع الزيتون . فامتطيت فرسي وأخذت مرافقي الخاص عبد اللطيف القابوني ، الذي جرح أكثر من مرة ، والنفر الألماني الذي ألحق بي حديثاً ، وعبد الحميد حمدان النابلسي ، وتركت الطعام ، وزحفت الى الامام . فصادفت زكي بك الدروبي يشوّق الناس الى الالتحاق ، فأعلمته باشتباك نزيه بك ، ولا علم لنا بكتابه المرسل ، لأنه قد يكون أخفاه عنا أبو عبدو سكر ، الا اذا تسلمه من الشهيد الحرش ، لأنه ابن حارته . والحقيقة عند أبي عبدو سكر ؛ شرع زكي بك الدروبي بلهجته العصبية يفزّع ، فتركته وشأنه وزحفت بجماعتي قبل ان تلحق بي عصابتي الشجاعة المؤلفة من خيرة الشباب . وصلت الى مدخل الخيارة والتحق بي مؤيد شرف وولده وخمسة فرسان ، واذ بالمفزع يظهر أمامنا ، وكان على رأسهم الشماط والمرحوم الشهيد احمد طناني ، فأعلمونا باصطدام نزيه بك وأعلمتهم بأن القوة متلاحقة ، وما عليهم إلا الاسراع لأجل سوقهم ، وان نسيب بك معهم . وبعد ان اجتزنا مدخل الخيارة.وصلت نجدة علي بك الاطرش مع فرسان السويداء وامامهم ابو عبدو سكر .

تقدم دليلنا الداهية أبو عبدو يصحبه رمضان دربازة لخبرتهم بالبقاع ، وتبعتهم قوانا خببا بقلوب ملؤها الإيمان ، وكانت خيولنا تتسابق كتسابق ارواحنا لاعتناق الموت الزؤام أو كتسابق العشاق لعناق الحسان بقلوب مفعمة بروح الحماس . وكنت لا تسمع سوى جلبة الخيل ووقع سنابكها . اجتزنا حدائق الخيارة ووصلنا طريق بالا الجميل المستور بأغصان الأشجار الضخمة الهائلة ، وقد غرست اشجاره المتقابلة القائمة كالعرائس بانتظام ، ومعظمها من شجر الجوز الضخم . ولله در الحمراء المجروحة منذ وقعة رساس ، فإنها كانت بطليعة الخيل . واما ابو عبدو فإنه كان ممتطياً المهرة الزرقاء المنقطة بسواد . كان بجانبي الشهيد نوري القصاب يمتطي أصيلة هزيلة شقراء ، فلم يستطع كبح جماحها ، واذا ضاع عنك الأصل أنبأك الفعل عن المحتد . وكما قالت

الأمثال المنايا كالظمآن ورد الماء الزلال. وابدع ما قيل في هذا المعنى قول عنترة العبسي :

خلقت للحرب احميها اذا بردت وأصطلي بلظاها حين احترق

وهكذا كان شأننا بحروبنا الاستقلالية . وقد اثر بنفسي هذا الزحف الحماسي اعظم تأثير، نزحف تحت ظلال أشجار الجوز الجافة لنحتسي كؤوس المنايا مترعة ، وهل أمرّ من كأس المنية كأس ؟ ولكن كأس الموت في سبيل تحرير البلاد عذبة وكذلك احتساء كأس منية المجد في سبيل تحرير البلاد وانقاذها هو كأس الخلود ، وكأس المجد التالد . فكان لسان حالنا يخاطب جيوش المستعمرين بلسان شاعر العرب القائل :

تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوغى اذا ما غدت في المأزق المتداني
عليها الكماة الغرّ من آل مازن ليوث طعان عند كل طعان
تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم على ما جنت فيهم يد الحدثان
مقاديم وصّالون بالروع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يماني
اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأية حرب أم بأي مكان

وها نحن نزحف على اصوات البنادق ولعلعة الرصاص بدون استنجاد . واستمر زحفنا السريع بارشاد أبي عبدو ورمضان دربازة حتى اجتزنا طريق الحدائق، ووصل أبو عبدو سكر ورمضان الى السهل وكادا يصلان متاريس العدو فأصلاهما العدو برشاشاته، فأدبرا ونكصا على عقبيهما. وكانت خيولنا متجهة نحو السهل، فحدنا عنها ومترسنا. فوصل الدليلان وأعلمانا بأن العدو اصبح امامنا. كان النهار ضحى، والمسافة بيننا وبين العدو لا تتجاوز المئة متر. اشتبكنا معه اشتباكاً عنيفا، وادلهمّ الخطر وأصبحت الأبعاد في بعض نقاط متاريسنا لا تتجاوز العشرة أمتار. احتدم وطيس القتال، وأصبح محور المعركة قناة رانس. فأمطرنا العدو برصاص رشاشاته وقذفنا بقنابله، وكانت معركة يا لها من معركة يشيب لهولها الطفل الرضيع . فقد كان الصدام شديداً واصبح القتال بيننا وبين الخصم في بعض النقاط أشبه بالالتحام .

ولما هدأت عاصفة الحرب الهوجاء هنيهة غادرت متراسي وذهبت لأفتش عن فرسي، وأربطها في جوار بيت لا يبعد عن متراسي بضع خطوات . وصل عندي محمد بك الاطرش ولد علي بك مكشوف الرأس كالأسد الرئبال ، يرغي ويزبد. وقال ان

المعركة بجوارنا شديدة وحامية الوطيس، وقد جرح بعض الشباب، وتـزعزع مـركزه. فأسرعت لمتراسي وشددت الرمي. وكان مركزي عـلى قمة دمنة خلافاً للقول المشهـور (اياكم وخضراء الدمن). تمركز بجانبي رفيقي في أعظم معاركي الضابط الباسل خير الدين، وموقعي مشرف على خط القتال، واصبحت تترآى أمامي الجنود من بين اشجار الادغال، وبيني وبينهم القناة واذا بعلي بك الاطرش يمر امامي ويتمركز خلف المتاريس. وقفز مؤيد شرف من متراسه بجوارنا صارخـاً علينا هيّـا الى الامام، فتبعـه نفر من بني عشيرته، وهم اولاد عمه وولده وأولاد اخوته، وأسرع نوري القصاب نحوي قـائلاً : فلنتقدم يا ابا سعاد. فأجبتهم، إياكم والتقـدم، لأن أمامكم ارضـاً عراء. وطلبت من مؤيد شرف ونوري بأن لا يغادرا مكانهما لأننا لا نبعد عن العدو اكثر من خمسين متراً فلم يصغيا لأقوالي، وزأر مؤيد زأرة الأسد، وتباعد عن نقطة تحصنه خمسة عشر متراً، وتمركز مع بني عشيرته. ولكنهم لم يكادوا يطلقون رصاصة حتى سقطوا جميعهم جرحى خلا علي بك الاطرش. واما مركزي فكان فوق تل من الدمن يسيطر على ميدان القتال ، وأمامي قناة رانس، وخلفها الطريق ومجمع الطرق، وخلفي انقاض بيت وجنـود العدو تنـدحر امامي. جرح مؤيد ببطنه، وجرح توفيق وجرح نوري في أخمصه، واشتدت نيران العدو على مركزنا، فأصبح صديقي خير الدين لا يستطيـع رفع رأسـه من متراسـه. ان تقدم اخواننا ضرب من ضروب الجنـون وعدم التـروي، لأن العدو مسيـطر على مـوقعهم، ورشاشاته الخفيفة تقذفهم بنيرانها، ومشاتهم أمامهم، ولا يمكن الهجوم من مركزنا ما لم يندحر جناحه الأيمن تماماً، لأن الرشاشات الموجودة خلف الدكوك جنبيّة نسبة لمراكزنا، وهذه اخطر موقع ونقطة في الحرب ، والقناة حاجزة بيننا وبين المشاة، ولا يكون الهجوم الا بحركة جناحية وبقوى كبيرة تكون بعيدة عن مركز المعركة، وواسعـة النطاق، وقـد تمكنت نجدة محمد بك من القيام بهذه المهمة .

وصلت قوى المشاة قريب الظهر بعد أن جرح عدد كبير من الفرسـان، وجرحى جبهتي دفعة واحدة كانوا سبعة اي لم يسلم سوى ثلاثتنا، علي الأطرش وأنا وخير الدين فقط .

وصلت نجدة محمد بك لجوارنا حينما تزعزعت قـوى الجناح الأيمن ، وقـد وافتنا قبيل الظهر الى النقطة التي كنا نحارب فيها تماماً ، اذ كانت قوى العدو بدأت بالتقهقر

على أثر ضربة قوى الشجاع متعب بك ، والباسل علي بك عبيد ، اذ هاجمت العدو من جناحه الأيمن ، وكـانت ليلتها في الست بـدون اطلاعنـا ، وهي زاحفة عـلى الاقليم ، فأنجدتنا ونعم النجدة . وكانت حركة المغوار متعب حركة التفـاف منظمـة على جنـاح العدوّ الأيمن ، تعاضدها قوى القرى المجاورة. كما أن حـركة محمـد بك كـانت حركـة التفاف على جنـاح العدو الأيسر ، ولكنهـا كانت متـأخرة وتقـدمت الجبهة الأسـاسية ، وبفضل معرفة ابي عبدو سكر بالبقاع ، وخبرته بها كانت مجموع حركات النجدات بمثابة حركات التفـاف الجيوش المنـظمة ، فخشي العـدو ان يتراجـع فينقطع ، لـذلك أخـلى متاريسه من الجبهة ، وانحدر تطارده الثوار .

انقلبت حركات الثوار لحركة تطويق ، وقد أبلى المجاهدون بلاء حسناً ، وصدمت قوى العدو صدمة مريعة أثناء زحفها ، فتحطمت موجة تقدمهم امام صخرة دفاع نزيه بك الصلدة ، وكسرت النجدة الأولى شدة صولة العدو ، فسقط في ميدان القتال عدد كبير من الجند يقدر بالمئات ، واستولى الثوار على ١٢ رشاشة ومئات البنادق ، فخففت هذه الخسائر الهائلة من شدة زحفه ، وانقلبت حركة هجومه الى حركة دفاع مستميت . وبفضل حركاتنا الالتفافية على جناحيه ، انقلب دفاعه الى انهزام فظيع ، وطارده الثوار حتى الزقتية . وحينما انسحب العدو وصل خيرو من اهالي شقا وكان مع صابة المرحوم الخـراط ، فأعلمني بـأن المرحـوم ما زال بعـربين . وقبيـل الغروب احتـل الثوار جميـع استقامات القناة ، واصبح قطب رحى المعركة في جوار الزقتية ومحطة القدم ، وحتى ثكنة العزيزيـة ، وعلى الـطريق السلطاني وقتل الضبـاط أمام ثكنـة العزيـزية ، ولمـا تقدمت الدبابات مساء في الزقتية ، هاجمها الشاب الشجاع شاهين الحلبي الذي لا يتجاوز عمره العقد الثاني ، فرمته برشاشتها فأصيب بصدره وخر صريعاً في ميدان المجد . وأنجدت قوى العدو بعد العصر سبع طيارات راحت تقذفنا بحممها ، وكان لها الفضل في تأمين رجوع القوة وانقاذها من تطويقنا المحدق ، وكانت الطيارات ترمي القنابل المضيئة لترشد المدفعية الى مراكز هجومنا . فهطلت علينا قنابل المدفعية من جميع استحكامات دمشق ، من المعمل ومن الجبخانـة ، ومن المزة . فكنت لا تـرى سوى غيـوم بيضاء تتبـدد فوق رؤوس جموعنا ، كأشعة الشمس المتفجرة ، او كدانتلا مفرودة ومكشوفة . وما هي الا اشارات لقذفنا بالقنابل الجهنمية .

ارتد كثير من الثوار قبيل المساء بعد ان غنموا البنادق والرشاشات والعتاد . وكانت الغنائم تقدر بالأحمال ، والبنادق بالمئات . انهكت قواي من التعب ، فعدت وبدأت بجمع الجرحى من اخواني ، وبدأ صبري فريد يضمد الجرحى ، ويدهن جروحهم بدهن الريشة ، وقد جرح شقيق محمد بك عز الدين السيد عبد الكريم الحلبي في رجله ، وحملت مؤيد واخوانه ووضعناهم في بيت . وبعد ان أسدل الليل استاره اعتصم الجند في ثكناتهم وقلاعهم ، ولكن قذائف المدفعية لم تنقطع على مناطق هجومنا .

لا شك بأن هذه المعركة من اعظم معارك الغوطة شأناً ، أبلى المجاهدون بها بلاء حسناً ، وهي المعركة الأولى من نوعها اظهرت للعدو بها بأس الثوار وقوة سطوتهم . وقد وجد في نقطة واحدة من نقاط القناة سبعون قتيلاً وجريحاً ، وكل فريق وحظه من الغنائم ، فالبعض أكلها غنيمة باردة ، والجبهة كانت واسعة جداً تمتد غرباً حتى الست . والعصابات متفرقة ، وقد أسعد الحظ كثيراً من الذين لم يخوضوا غمار المعركة بغنائم وافرة عثروا عليها صدفة ، ولا يمكن احصاء الغنائم بالضبط ، لأن الغانم لا يظهر ما غنمه ، والجبهة لا تقل عن عشرة كيلومترات اشتركت فيها عصابات عديدة بين الأدغال ، ونقل العصابات جرحاهم ، وأظن بأن خسائرنا بالنفوس لا تتجاوز الخمسة عشر قتيلاً وجريحاً ، بينما جرحى العدو وقتلاه تجاوزوا الألف . وأما عصابة المرحوم الخراط فلم تتمكن من الاشتراك في المعركة . ولما وصلت سيدي كناس وانحرفت نحو مخفر الشيخ حسن لمهاجمته ، رمتها الطيارات فقتلت عدداً من خيولها وعددها سبعة رؤوس وجرح بعض أفرادها جروحاً طفيفة .

وأما نسيب بك وزكي بك فقد بقيا في الخيارة ونصيبهما كان طعام خاروف محشي لذيذ ، ونصيبنا الرصاص والجوع . لقد اشتد حماس نساء الزفتية ، فكن يغدقن الطعام على المجاهدين إغداقاً ، وهذه مأثرة أسجلها الى المرأة السورية العربية التي كانت تقدم للثوار الزاد والماء .

* * *

وضع قوى الثوار (ديسلو قاسيون)

المقر العام للقوى ـ حقيقة التركمان
القوى الاستطلاعية ـ يلدا
القوى الإضافية النجدات ـ الست
القواد ـ هيئة القيادة في الغوطة

محمد عز الدين ، المؤلف ، أبو عبدو سكر ، نزيه بك ، الخراط ، زكي بك ،

قائد القوى الاستطلاعية ـ نزيه بك المؤبد
قواد النجدات ـ علي بك الأطرش ، متعب بك الأطرش ، علي بك عبيد
قائد قوى الفرسان الاستطلاعية ـ ابن كيوان
رؤساء العصابات ـ القوى الدرزية المشاة ـ محمد عز الدين بك
قواد الفرسان ـ علي بك الأطرش ، متعب بك الاطرش ، علي عبيد، محمد شرف ، ابن كيوان ، فرحان .

قوى الشمال والغوطة ـ الميادنة ، أبو عبدو سكر ، الشواغرة ، الخراط ،

الشباب الراقي ، منير الريس ، خير الدين اللبابيدي ، عسلي ، فائق صبري ، نسيب شهاب ، خليل الحموي ، ياسين الخانجي ، صبري فريد ، الامير احمد الشهابي .

الضباط ابو تركي ، زكي بك الدروبي ، زكي بك الحلبي ، خير الدين اللبابيدي .

مجموع القوى :

علي بك الاطرش	٥٠ فارساً
محمد بك عز الدين	١٥٠ فارساً
متعب بك	٥٠ فارساً
الكواونة	٥٠ فارساً

العضايقة ومحمد شرف	٣٠	فارساً
الميادنة ولفيف ابو عبدو	٣٠	فارساً
جماعة العاص ونزيه بك	٣٠	فارساً
المجموع	٣٩٠	

أشهر الزعماء

علي الأطرش ، متعب الأطرش ، نسيب البكري ، نزيه المؤيد ، محرر السطور .

أشهر الضباط : زكي بك الحلبي ، العاص ، زكي الدروبي ، سرحان ابو تركي .

اشهر وأشجع الشباب : منير الريس ، فائق العسلي ؛ صبري فريد .

أشهر رؤساء العصابات : الخراط ، خليل بصلة ، ابو دياب الكردي ، سليم سرحان .

من الدروز : محمد شرف ، مؤيد شرف ، ناصيف ناصيف ، عبد الكريم الحلبي .

* * *

ولكن النجدات التي توافدت من القرى تتجاوز أضعاف هذا العدد لأن مجموعة الثوار بلغ اكثر من الثمانمائة محارب .

تأثير الانتصار : كان لانتصارنا الباهر وقع عظيم في نفوس الدمشقيين وأهل الغوطة ، ولما وصل المجاهدون الزفتية والميدان ، كانت النساء يقدمن للمجاهدين الأطعمة المحلاة والبعض الآخر يقدمن الأطعمة المطهوة طهواً دمشقياً وما الذ طهو دمشق . كما كن يرحبن بالمجاهدين بالزغاريد ، ويدعن لهم بالنصر بقولهن الله ينصركم .

لا شك أن ألذ الأشياء هو الانتصار لا في ميادين الحرب فقط ، بل في جميع ميادين الحياة . لكن لذة الانتصار في المعركة لا تعدلها لذة ، وهذا مما شجع الفلاحين ورغبهم بتعضيد الثورة . فكنت لا ترى غير وجوه طافحة بالبشر وقلوب مملوءة بالأمل .

مدى الانتصار في الجبل . كتاب الشهبندر الزعيم السوري المعروف .

« السويداء في ١١ كانون الأول سنة ١٩٢٥

حضرة الفاضل السيد صبحي دقماق المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد تناولت اليوم رسالتكم الكريمة وسررت جداً من استعدادكم للجهاد في سبيل الأوطان . وهذا ما توقعته منكم منذ اجتمعت بكم في السويداء . لأن سيماء الوطنية الصادقة بادية على محياكم فبارك الله بكم وبجميع من حذا حذوكم ، ومشى على طريقكم . الأخبار التي بلغتكم عن دمشق هي حقيقة لا ريب فيها ، فقد صادفوا العدو على أبواب الشام بالقرب من يلدة ، وما زالوا يطردونه من أمامهم في ثلاث نقط ، في الشاغور والقدم والمزة ، حتى ادخلوه في القشل . وبلغت خسائره نيفاً وأربعمائة قتيل ، وخسائرنا من أبناء معروف والغوطة ستة فقط ، وربحنا نحو عشر رشاشات وعدداً لا يحصى من البنادق وصناديق العتاد الى آخره . واليوم تناولت رسالة من نسيب بك البكري تعطينا التفصيلات الوافية عن هذه المعارك . حضوركم لأجل الالتحاق بالعصابات هو ضروري ، لأن النجدات تسير كل يوم الى الشمال وعندنا عصابة مهمة ستسافر قريباً الى حماة وحمص وتلك الجهات ، الأخوان هنا يهدوكم أزكى السلام وأوفر التحيات والسلام عليكم والرحمة والبركة والسلام .

عبد الرحمن شهبندر »

وانت ترى ايها القارىء ان الاخبار دائماً تكون ناقصة كما يدل عليك نص كتاب الزعيم ، إذ لم تحدث مصادمة في المزة ولم يحصل هجوم من الشاغور .

المقررات : طلائع النظام وتباشير الانتظام

من المعلوم أن الفوضى في جميع أدوار الحياة البشرية سمّ زعاف ومعول هدم في سعادة البشر . ولكن الطفرة محال في جميع ادوار الحياة ، ولهذا ونظراً لعدم وجود مال بين أيدينا ، ولندرة الضباط والقواعد وعدم وجود قوى تنفيذية فقد أصبح من المستحيل تنظيم هيئات الثورة وعصاباتها التي بدأت تتزايد شيئاً فشيئاً ، وقد بذلنا قصارى جهودنا - العاجز ومحمد بك ونزيه بك - لتنظيم قوانا . ولكن المرحوم وإخوانه ومن يلوذ به من العصابات كانوا يحافظون على تشكيلاتهم الخاصة ، فأردنا ادخال شيء من النظام في تطور الثورة التدريجي ، وقد كنا اتخذنا بعض المقررات بعد معركة دوما مع اجتماعنا مع المرحوم ، واسميناها مقررات حمورة نسبة الى مقر اجتماعنا وهذا نصها :

المقررات : اتخذت بين الرؤساء الآتية اسمائهم محمد بك عز الدين ، محرر السطور ، الخراط ، وأولاد عكاشة .

أولاً - تعيين شكل حكومي بسيط . ثانياً - انتخاب شكل للحكومة . ثالثاً - ارتباط الأعمال الحربية بالقيادة وتجنيد قرى الغوطة . رابعاً - إعدام الجواسيس . خامساً - محظور على العصابات القيام بأعمال انفرادية ، وتقسيم الغوطة منطقتين ، شمالية وجنوبية ، وتقييدها الخاص من زبدين حتى شمالي طريق دوما لعصابة الخراط ، ومن الجنوب حتى غربي الخط لعصابة الدروز . سادساً - تكون الأرزاق والغرامات مناصفة ، وإليك نص الاتفاقية :

نحن قواد منطقة الغوطة نعلن الحكومة الوطنية بهذه المنطقة على أن تكون المعاملات مربوطة بمركز الحكومة الذي سيعلن فيها بعد .

صفحة مقررات الدور الأول

مقررات حمورة .
مقررات بابيلا .
مقررات سقبا .

اردنا بأن يكون للثورة نظام تتمشى عليه الهيئات العاملة ، وقد ضمت الثورة لفيفاً من الطبقة النيرة ، فعقدنا اجتماعاً عاماً ضم المجاهدين ، واليك اشهرهم : من القواد زكي بك الحلبي ، محمد بك عز الدين ، محرر السطور العاص .

رؤساء العصابات وقادتها

نزيه بك والخراط وابو عبدو سكر .

من الشباب الراقي منير الريس ، الأمير أحمد فائق العسلي ، صبري العسلي ، الطراز ، خليل الحموي ، خير الدين اللبابيدي ، صبري فريد ، نسيب صالح ، سلو عبد الوهاب .

من رؤساء العصابات الدرزية .

ابو فرحان ، فرحان ناصيف ، محمد شرف . من عصابات دمشق الشيخ حجاز ابو النور الطناني .

من الأكراد سعيد عدي ، ابو دياب الكردي .

استعرضنا الوقائع فقررنا ما هو آت :

أولاً : قبول شكل حكومي للثورة . وانتخبت هيئة مؤلفة من زكي بك والعاص ومحمد عز الدين الحلبي والشيخ حجاز وجاد الله كيوان وعلي طويرش .

ثانياً : محكمة استقلالية ومجلس عسكري . وانتخب مستشاراً للمجلس عبد الوهاب والسكرتير العام فائق العسلي : والمجلس يؤلف من مجموع هذه الهيئات ، وهذه نواة المجلس الوطني :

للمحكمة نسيب شهاب .

وعززت بمواد ملحقة :

أولاً : تنظيم الأمور المالية وجبايتها ، تجبى الأموال بحسب استطاعة القرى .

ثانياً : ادخار الأرزاق .

ثالثاً : تنظيم شؤون الحسابات .
رابعاً : تنظيم جداول مأمور الحسابات .

على ان تكون مراكز الثورة كمراكز جندية ، وتصرف الأرزاق باشراف هيئة القيادة العليا للثورة الشمالية .

التنظيم العسكري : كل سرية تعتبر ثمانية جنود ومن الفرسان مثلها ، يطلق عليها اسم كوكبة وأن يكون على رأس المحاسبات الطرزي .

التقسيمات الادارية : من زبدين لشمالي دوما بعهدة عصابة الخراط ، ومن زبدين لغربي الست ، بعهدة الدروز والميادنة ، أما المرج فبعهدة محمود وردة .

مركز المرج النشابية .
وخصص للمشاة ليرتين وللفارس ثلاث ليرات :
ولكن المرحوم وجماعته انسحبوا من الاجتماع .
وقائع كانون الأول سنة ١٩٢٥ .

سير الوقائع

انتقلنا الى الست بعد مغادرتنا حوش الريحانية ، وقضينا ليلتنا فيها . ولكن ما كادت الغزالة تنشر أشعتها وتبدد جيوش الظلام حتى رنّت لعلعة رصاص البنادق في آذاننا ، ولكنها كانت عميقة وبعيدة . فغادرنا القرية واحتشدنا تحت أشجار الزيتون الخضراء الزاهية ، على مقربة من الطريق العام المؤدي الى دمشق ويلدا وبابيلا . فسألنا القرويين ، فأعلمونا بأن الحملة زحفت على دوما ، والصدام بجوار جوبر . فتشاورنا بالأمر وقررنا الزحف على جوبر . ولكن المرحوم أبي إلا أن يكون الهجوم على مخفر الشيخ حسن . (وللمرحوم غرام خاص بمهاجمة هذا المخفر) وقد وافق على الزحف كل من محمد بك عز الدين ونزيه بك المؤيد . وعقدنا النية على تنفيذ الخطة المنوية ، واشترك معنا في الرأي ابو عبدو سكر .

استأنفنا زحفنا حتى وصلنا الى مفرق الطرق (المصلبة) المؤدية لدمشق والى جوبر

والست فافترق عنا المرحوم ولحقه الشيخ حجاز وابـراهيم الطنـاني ، فخاطبت المـرحوم واقنعت الشيخ حجاز وتركتهم ولحقت بإخواني . فأقنع الطناني المرحوم ومن ثم لحقونا . ولكنـا علمنا من المـارة بأن القـوة جعلت وجهتها مـرج السلطان عن طريق المحمـديـة فاستمررنا بزحفنا حتى وصلنا حرستـا القنطرة . ولمـا وصلنا الى هنـاك انتشر الثوار بـين الكروم ، وكنت امام حانوت الحمصي ، واذ برجل يهرول نحونا وكأنه يريد الالتحاق بنا مكتسيا لباس الثوار ، فتبين لنا أنه آت من قبل الحملة فرميناه بالرصاص ولا ندري ماذا كان مصيره . وقد حدثت أمور ثانية من قبل بعض جنود الدروز اذ نهبوا بعض أغراض الحانوت (وصاحبه ثائر) ، فاستردها منهم نسيب شهاب الصيداوي . وبما ان الطقس كان حاراً فقد قررنا مغادرة هذه الكروم ، لأن البقاع مكشوفة ، وقررنا العودة عن طريق طاحونة الذهب . ولما وصلنا الى جوار الطاحونة استرحت مع عصابتي شباب الشمال ، إذ كان بجانبي الشاب الشجاع ورفيقي الممتاز منير الريس وخير الدين .

بدأ الأخ منير يقص علي ما امتازت به الماسونيـة من خدمتهـا للإنسـانية وسعيهـا لتخفيف آلام البؤساء ومساعدتها للمنكوبين ومساندتها افرادها اعتقاداً منـه بأن لي صلة بها ، ويضرب لي الأمثال ونحن بموقع شعري يجري من امامنا بردى الجميل ، وتنساب مياهه المتدفقة من تحت الجسر ، وتظللنا الأشجار الباسقة بأوراقهـا الخضراء ، وارجلنـا ملقاة بالماء ونحن متمددون نستنشق الهواء العليل ، ونمتع النظر بصفـاء الماء العـذب ، ونرطب اجسامنا برطوبته ، ونستمع الى نغمات موسيقى الطبيعة من خرير الماء وحفيف الأشجار ، نضحك ونمزح ونعلل انفسنا بالآمال العذبة المقبلة . فقلت للأخ منير ولماذا لا تساعد الماسونية الثوار والثـورة ؟ فأجـابني إنها ضد الثـورات وهي للإنسـانية المتـألمة . فـأجبت إذن هي ضدّ الأمـاني القوميـة ، ولماذا تحـارب وأنت منها ؟ فـأجـابني أحـارب بشخصي ، وهي لا تتدخل بمعتقدي . فقلت له يا أخا العرب ما دام رجالها من العرب لا يساعدون اخوانهم فما فائدة الماسونية في سبيل المصلحة القومية اذا كانت فـائدتهـا لا تشمل المجاهدين ؟ فأجاب تساعد الجرحى . فقلت وأين هيئات الهلال الأحمر من أطباء ومضمدات ومحبي الانسانيـة ليضمدوا جـروح مجاريحنـا واين اطباء المـاسونيـة ليديـروا ويفتحوا لنا مستشفيات وأين أموالهم المخزنة ، ولماذا لا يصرفونها في سبيل المنكوبين من عوائل الثوار ، اذن هؤلاء ضد الفكرة القومية . واستغرق بحثنا ساعات وهو يـدافع عن

فكرته ويزرع في نفسي حب الماسونية من الوجهة التعاونة العامة. وانتهت هذه الأحاديث المشوقة التي طربت لها من الوجهة التعاونية الاجتماعية ، ولكني لم اقنع بفكرتها القومية . كان مجاهد الأمس وصحافي اليوم يسليني بحديثه المشوّق وفكاهته اللطيفة ، ونكاته التاريخية ، حتى زالت متاعب اليوم واستردنا قوانا ثم استأنفنا سيرنا ويممنا وجهنا شطر زبدين فوصلناها مساء بسلام آمنين .

قضينا ليلتنا فيها مطمئنين ، واما المرحوم الخراط ، فجعل وجهته بابيلا . وبينما كنا في بيت مطاوع في زبدين نحتسي القهوة العربية التي كان يصنعها لنا فوزان عبد المرحوم صاحب الجلالة الملك فيصل ملك سورية الشرعي الذي نبذل الآن مُهجنا رخيصة في سبيل إعادة مجده الغابر ، أخبرنا بأن الحملة زاحفة ، ولكن ثبت مؤخراً بأن لا صحة لهذا الخبر ، وذهبنا صباحاً الى قرية (بلاط) ، فعلمنا بأن الطيارة التي حلقت في سماء بلاط جرحت شقيق الشيخ حجاز في يده ، وكان المرحوم الخراط لا يلتذّ الا بمهاجمة مخفر الشاغور . وقرب المساء طلب منا ان نهاجم مخفر الشيخ حسن معاً ، فأجبته ما دامت الحملة لم تغادر مرج السلطان ، فلا يجوز لنا ترك الطريق مفتوحاً لها ، والأحسن مهاجمتنا الحملات لا المخافر . فأجابني رحمه الله بجوار جدران زبدين قائلاً أأنت أتيت لقتل ربع الأمة ، وذهب ليلاً وهو ممتعض وزعلان رحمه الرحمن أما نحن فتركناه وشأنه .

٣ كانون الأول سنة ١٩٢٥ في حوش بالاس .

قضينا ليلتنا في بيت سحم ، وانتقلنا منها ليلاً الى حوش بالاس بناء على خبر ورد الينا من رجل معروف وهو يريد الاجتماع بنا . فتوجهنا نحو بالاس يصحبنا من اخواني منير الريس وخير الدين واصطحب محمد بك عز الدين معه ابو فرحان .

كانت ليلة قمراء، الجو فيها عليل وهواؤها بليل يقرأ الانسان فيها سطور جمال الطبيعة من صفحة الكون البديعة ، فالقمر يرسل أشعته الفضية على الغبراء ، فتمتزج ذراته النورانية بالذرات الترابية ، فيتمثل امامك منظر ساطع لامع ، فكنت أشعر بأن أمامي لوحة سرور مازجت صفحاتها صفحات اخرى تختلف عما كنت اشاهده تحت ظلال الاشجار الباسقة ، حينما تتخلل ذرات النور وتطلق اسهمها مخترقة فرجات الأغصان والأوراق ، وذلك بعكس ما نراه في السهول الممتدة مناظرها على مدى البصر .

اجتزنا جسر الباردة ووصلنا بالاس آمنين مطمئنين ، فلا طيارة تزعجنا ولا جنود تحاربنا ، ولا مدافع تقذفنا بقنابلها . دخلنا الحوش وطرقنا الأبواب ، فأجابنا الخادم بأن الموعودين بملاقاته لم يحضر وغاب ، وانه طلب للاستجواب . وعلمنا بأنه عد مشتركاً مع الشهيد الأمير عز الدين الذي هاجم القطار . كان البرد قارصاً فأردنا ان نترك ذكرى جميلة لقائد حامية دمشق فنشرنا لهم أعمدة الاسلاك نشراً وقطّعنا الاسلاك ارباً اربا ، واحرقنا بعض الأعمدة .

ولعمري انها من اجمل الذكريات ، جيش لجب بجميع معداته الجهنمية لا يستطيع صد مهاجمة عصابات تقف له بالمرصاد على ابواب دمشق ، وارسلنا قوة ضئيلة فهاجمت بوابة الله ، وبعد ان اتممنا عملنا المثمر عدنا لمربض الأسود الغوطة ، وذهبنا توا الى حتيتة التركمان . وقد غاب عني ان اذكر أنه حينما كنا في الست سابقاً ، اعتقل الثوار شرطيين ومعهما شاب دمشقي أشقر ، وبما انه ظهرت براءته فقد ارسل مع دربازة الى الميدان ، فأردفه رمضان خلفه قبيل الغروب . ولكن في اثناء الطريق شاهدته حامية طاحون الجلاد ، فأصيب بظهره وقتل ، ولم يمس رمضان بسوء ، وقد ذهب غدراً واما الشرطيان فسنأتي على ذكرهما حينما نذكر استشهاد المرحوم الخراط اذ كانت عاقبتهما ان قتل المفوض ونجا الشرطي .

١٠٦

بوادر الاختلافات

اجتماع سقبا ـ التصميم على مهاجمة مرج السلطان ـ تشليح سيارات مجحم الشعلان

بعد معركة يلدا وبابيلا المشهورة كان نسيب البكري ملازماً لعلي بك الاطرش وقد اراد نسيب استغلال وجود علي بك مستنداً على زعامة الطرشان بالجبل فسعى لأن يكون القائد العام او ديكتاتور مطلق (حاكم بأمره) في الثورة .

وهذا ما كان يطمح اليه في جميع أدوار الثورة ، ولم يوفق لذلك . والآن وجد في مجيء علي بك ووثوقه به فرصته ، فأراد ان يجعل منه متكأ ليوصله الى الغاية التي يرمي اليها ، ويقصي محمد بك عن زعامته على الدروز بالغوطة . وقبل ان نأتي على العوامل التي دفعت نسيب بك لهذه الفكرة ، نريد أن نلقي نظرة دقيقة على حالة الثوار حينئذ في الغوطة لكي يستنتج منها القارىء خطر أهداف نسيب .

كانت الثورة في بدء نموها مسرحاً لعصابة المرحوم ، حتى وصول قوى زيد بك الاطرش . وبعد سفر زيد بك للإقليم أصبحت الغوطة تحت تأثير عصابة المرحوم الشاغورية ، وعصابة محمد بك عز الدين الدرزية ، وهي العصابة التي حاربتُ بجانبها وماشيتها في جميع تطورات الدور الأول .

وكانت الموازنة موجودة بين العصابتين ، وأعطيت للعصابة الأولى حرية الحركات في شمالي الغوطة من زبدين ، وللثانية القسم الجنوبي منها ، وكانت الحروب والحركات المشهورة ملقاة على عاتق العصابة الدرزية ، بعكس الأولى ، فإنها كانت تكتفي بضرب مخفر الشيخ حسن . وهناك عصابات اخرى صغيرة وهي عصابة أولاد عكاشة التي كان معظم وقائعها منحصرة في وادي بردى، وأحياناً تشترك في وقائع الغوطة مع عصابة المرحوم ، وعصابة ابي عبدو وأديب الشيخ ثم عصابة العمارة ومركزها قلب الغوطة ـ سقبا ، وهي كانت ضئيلة ونادراً ما اشتركت في معارك الدور الأول ، وعصابة الأكراد

بقيادة احمد منلا وهي ضعيفة جداً ، وفي بدء تشكلها ومركزها جهات حرستا والقابون . ولكن العصابة الدرزية نمت وعظمت بالتحاقي من الجبل والتحاق نزيه بك من الاقليم ، والتحاق ابي عبدو سكر من دمشق ، فأصبحت صاحبة الكلمة الأولى ، وهي التي قامت بحروب الغوطة الحقيقية في دورها الأول . فعصابة الشاغور تحت تأثير نسيب بك ، والمرحوم غادر الغوطة سابقاً للنبك ، فأصبحت العصابة الثانية ، أي عصابة الدروز تعد بالمئات ، وحتى تجاوز مجموعها الألف ، فأصبح تحكم نسيب بهذه العصابة من رابع المستحيلات لوجود طبقة راقية فيها ، وهي متسلمة زمام القيادة الحربية الفعلية ، وفيها العاص ، والمؤيد وسكر ومحمد عز الدين ومنير وغيرهم ممن تضرب الأمثال بشجاعتهم وبسالتهم . وبما ان عصابة الشاغور لا تخرج عن رغبته فأراد ان يسيطر على العصابة العامة بانضمام علي بك لفكرته . فباء بالفشل كما سيتبين للقارىء من مجرى الحوادث ، وهذه صورة مصغرة اصف للقراء بها حالة الغوطة وأعرضها على انظارهم ليتضح لهم بأن الطموح في غير محله ضرب من ضروب العبث .

لما شعر محمد بك عز الدين بمقاصد نسيب بك ، اتفق مع زعماء الحركة العامة ابي عبدو سكر ونزيه بك وبقية الزعماء والرؤساء ، ومع موالاتي لإخواني محمد بك ونزيه وابي عبدو التزمت الحياد مع توحيد حركاتي الحربية معهم ، وقرروا التابعد عن نسيب وتمركزوا ببزينة . وكان ذكي بك الحلبي وجميع الشباب المثقف معهم واصبحت هي القوة الرهيبة لوجود القائد والمحامي والمتعلم والضابط ضمن صفوفها وهي دعامة الحرب كما كانت سابقاً .

كنت قد قمت بجولة مع اخواني أبناء الشمال في انحاء الغوطة ، فهبطت دير العصافير ، وارسلنا كتاب تهديد لأسعد المالكي نطلب فيه منه عتاداً ودراهم لتأمين أغراضنا الحربية والعسكرية وكان ذلك بالاتفاق مع بقية الأخوان سابقاً . ومنها اتيت لزبدين . ولما ذهب الإخوان الى بزينة بقيت مع بعض رفقائي المعروفين بولائهم لي في زبدين لأكون قريباً من مركز نسيب بك ولكي أسعى لإزالة سوء التفاهم ، ورفع الخلاف الذي تفشّى بأدمغة الذين يطمحون للزعامة الكبرى ، وهل من زعامة في ثورة مجردة من كلّ نظام ولا ترتكز على دعائم وليس لها موارد معينة ؟

استأنفت جولتي وأتيت المحمدية ومنها ذهبت الى زور المحمدية فجمعتني الصدف

بالاستاذ حسني المارديني ، وعبد الحليم الدركزنلي ، فأعلماني بأنهما أتيا حديثاً من قلمون ، وكان الماريني يحمل مظلة ، ويضع عوينات (نظارات) على عينيه ، فقررنا الذهاب معاً الى سقبا والاجتماع بنسيب البكري الذي جعل مركزه فيها مع المرحوم الخراط وعلي بك وأولاد عكاشة .

٧ كانون الأول سنة ١٩٢٥ .

سلب رمضان شلاش

اجتماع سقبا ـ التمهيدات الوئامية بين رؤساء العصابات القومية

على اثر وصولي الى سقبا اجتمع في بيت أبي عبدو السقباني (مختار القرية) كل من الرؤساء والزعماء : العاص والبكري والأطرش والخراط وعكاشة ، وكان بيننا الدركزنلي والماريني .

وكان مجيئي صدفة الى البيت ، حيث كان هؤلاء الذوات مجتمعين يتذاكرون بأمر رمضان . والحقيقة انهم كانوا يتآمرون عليه . طرقت الباب ونقرته نقرة خفيفة . ففتح الباب ودخلت وقعدت . وكانت التهم الموجهة الى شلاش أنه طلب من أهل دوما الف جنيه ، وانه تعرّض لبعض النساء في حمورة كما أفاد الشيخ حجاز . والحقيقة خلاف ذلك . فرمضان لم يتعرض للنساء ، ولا طلب ألف جنيه ، بل أرسل مذكرة الى نسيب بك يريد الاجتماع به وبعلي بك الاطرش الذي كان رفيقاً له في مدرسة العشائر بفروق أي (استانبول) . فوجد نسيب الفرصة سانحة لتنفيذ مآربه برمضان ، والقضاء على زعامته ، وكان رمضان أصبح وحيداً ، وتفرقت الجموع عنه ، وسنأتي على أعماله مفصلاً ، وبما ان هذه الاتهامات ذات شأن ، وبالأخص مسألة هتك الأعراض ، فقد دافعت عن هذه التهمة التي يريدون الصاقها برمضان ، وبينت لهم ان الأحسن جلبه الى هنا وتكليفه او اعلامه بأن يلتحق بسلطان باشا ، ويجعل مركزه الجبل ، فنكون حفظنا كرامته وكرامة الثورة . ثنى على كلامي علي بك وقال : ان رمضان رفيقي في المدرسة ، وهو يوافق على رأيي فقر القرار على هذا الرأي والعمل به ، ولكن نسيباً يقول بلسانه غير ما يكنه بقلبه : قاتل الله الأحقاد والضغائن والطموح .

وبعد ان اتفقنا على هذا الرأي ، انفرط عقد الجلسة ، بعد ان كتب كتاب الى رمضان بوجوب مجيئه الى سقبا التي قضينا ليلتنا فيها وصادف مجيء الشهيد احمد منلا اليها . ولما كنت سهراناً ونسيب والمرحوم واولاد عكاشة ، طرق مسامعي بعض همسات ، فاستوضحت من نسيب عن الهمسات التي كان يوشوش بها المرحوم ، فباسطني وتبسم ، وشعرت بحركة غير طبيعية من اجتماعات سرية في البهو . وترددت الهمسات بين اولاد عكاشة والخراط والمرحوم ونسيب. فأعلمني نسيب بأن احمد منلا جاسوس وأولاد عكاشة يوغرون صدر الخراط عليه ، فما رأيك ، فأجبت نسيب بحضور المرحوم وأولاد عكاشة على شرفة القصر : علينا ان نطلب احمد منلا ولا نتسرع بقراراتنا ، ونكلفه مهمة ضرب مخفر الصالحية وحارة الأكراد ، فإن أقدم فهو صادق ، وان احجم فهو خائن وجاسوس ، واحمد من أشجع الشجعان ، فعملا برأيي . وما ان كُلف بذلك حتى توجه نحو المخافر وضربها ، فأثبت بعمله صدق وطنيته وصدق التحاقه .

سفري لزينة ـ العدول عن مهاجمة مرج السلطان ـ توحيد قوى العصابات ـ مقررات سقبا ـ مجيء رمضان شلاش ومصيره

انتهزت فرصة وجودي بسقبا وحادثت نسيب بشأن الاقلاع عن فكرة التفرقة والابتعاد عن الطموح وتركه جانبا زعامة الثورة الشمالية لأنه لا يمكن تنفيذ خطته ، وعليه ان يزيل الضغائن من الصدور ، وان يعلم بأن هيمنته على ثورة الغوطة في الأوضاع الحاضرة من رابع المستحيلات ، وان الفريق الثاني (محمد بك واخوانه) هو صاحب الحول والطول ، وان تزعّم القوى الدرزية المؤتمرة بإمرة محمد بك لا يمكن اصلاً ، لأنهم ابناء عشيرته مهما كانت منزلة علي بك الاطرش عظيمة ، ونسيب يعلم جيداً بأني اميل الى الفريق المنشق ، وأمقت فكرة الزعامة المنفردة التي لم تؤسس على هكذا نظام بمثل هذه الظروف العصيبة . فقنع نسيب ورجع الى صوابه ، وكلفني تدارك الخطر قبل استفحاله . فوعدته بأني استطيع جلب القوة كلها الى سقبا ، وقبل العصر ودعته وغادرت سقبا وحدي . فلما وصلت الى الاخوان وجدت صبري الرجلة هناك (وهذا اصبح أخيراً جاسوساً ، فكان يلعب مع الثورة على الحبلين ، وهو مستأجر او صاحب حوش خرابو) وكان هدفهم مهاجمة مرج السلطان ، وابو عبدو سكر من مؤيدي

هذه الفكرة السخيفة مدعياً بأن مرج السلطان بؤرة تجسس ، وانهم تطوعوا في الجيش الافرنسي ، والدروز يرغبون تنفيذ هذه الغاية من اجل نهب القرية ، ويعتقد الكثير كما يعتقد ابو عبدو سكر الداهية ، بأن مرج السلطان شوكة في حلق الثورة .

وقد جرت مخابرة بواسطة صبري بين وجوه القرية وبين هؤلاء الرؤساء ، فكان جوابهم يتلخص بما يأتي : أولاً : إنهم يلزمون الحياد ، ثانياً : يتعهدون بمنع شبانهم من التطوع في الجيش الافرنسي ثالثاً : يتعهد الثوار بأن لا يدخلوا قريتهم خشية ان تهدمها الطيارات . ومرج السلطان قرية سركسية بحتة صغيرة ، اشتهر سكانها بالشجاعة ورباطة الجأش . الا ان الثوار مع الأسف هاجموها بعهد مصطفى وصفي فكانت النساء تحارب في صفوف الرجال (والسركسيات اشتهرن بالشجاعة واطاعة بعولهن وتضحيتهن من اجلهم واجل اطفالهن ، وسنفرد للمرأة السركسية ومزاياها القومية فصلاً خاصاً) وهذا امر مؤسف جداً ، لأنه يزرع الضغائن في نفوس أبناء الوطن الواحد ، وأهل مرج السلطان جماعة يريدون المحافظة على كيانهم ليس الا ، وصدّ غارة العدوان عن أنفسهم ، وسنأتي على كيفية مهاجمتها في أبحاثنا المقبلة . ولنعد الآن الى بحثنا : تذاكرت مبدئياً مع الشهيد المنصف القائمقام العسكري زكي بك الحلبي واقنعته بوجوب الإقلاع عن هذه الفكرة التي ستؤدي حتماً لزرع الضغائن في نفوس ابناء الوطن الواحد ، وإن سراكسة مرج السلطان قلائل وهم محقون بطلبهم فانصاع زكي بك لبياناتي ، وعليه تذاكرت مع نزيه بك فقنع ايضاً ، ومن ثم تذاكرت مع محمد عز الدين بك ، ولما رأى الأكثرية بجانبي قنع وماشانا على طول الخط ، وأحبطت مساعي ابي عبدو سكر ثم وافق على رأينا . وبعد ان تدبرت الأمر وبددت سحب مهاجمة مرج السلطان من ادمغة الإخوان ، فاتحتهم بمهمتي الأساسية ، وان فكرة التفرقة والطموح الى الزعامات الخنفشارية بل الوهمية ، ستقضي على الثورة ، وعليه يجب حالاً مغادرة بزينة ووضع أساسات وطيدة للعمل في سقبا .

تم الاتفاق وانتهى الأمر ، وغادرنا بزينة وكنا حشداً جامعاً وقوة هائلة ، فوصلنا مساء الى كفربطنا . وبما اني كنت متأثراً والتعب انهك قواي بسبب قلة النوم ، فقد ذهبت الى بيت رجل سقباوي في كفربطنا احمل له في قلبي احلى الذكريات وبصحبتي الشجعان من الشباب منير الريس وخير الدين ، فأكرم الرجل مثوانا وقام بواجب

الضيافة والوفادة احسن قيام . ويا ليت اسمه ظل عالقاً بذاكرتي إذن لكنت سجلت اسمه في سفر بطولة سوريا وحفظت له هذه المأثرة . وأما الاخوان فقد ذهبوا الى سقبا وبقي الثوار في كفربطنا ، واجتمع القواد والزعماء والرؤساء وبدؤا يفتشون عني بينما كنت أغط بنوم عميق ، فلم يعثروا علي ، فقرروا المقررات التي كنا تفاهمنا عليها مع الاخوان سابقاً واليك مآلها :

موجز مقررات سقبا :

١ ـ ان تبقى رئاسة الحركات الحربية (اركانية حرب الحركات) بعهدة سعيد العاص .

٢ ـ يؤلف مجلس استشاري أو هيئة حربية مسؤولة قوامها كل من سعيد العاص ، نزيه المؤيد ، علي بك الاطرش ، محمد بك عز الدين ، ابو عبدو سكر ، مع الأخذ بالاعتبار المقررات التي اتخذت وعمل بها سابقاً .

بهذه الطريقة تمكنا من جمع القوة مع تثبيت مقررات حمورة ويلدا ، ولم يبق مجال للزعامة الشخصية ، اذ صهرت في بوتقة المجموع ، واصبحت الزعامة متمثلة في شخصية هيئة القيادة العامة . ولكن مقرراتنا بعد فرط عقد اجتماعاتنا تصبح حبراً على ورق كما سترى ذلك في قصة رمضان شلاش وغيرها ، مما جعل تنظيم شؤوننا من رابع المستحيلات ، كما عرض جهدونا الحربية لتذهب ضحية الغايات الشخصية . ولكن هذه المقررات كفتنا التفرقة ، ووحدت العمل الحربي فقط ، وأما الأهواء والغايات فمفعولها لم يزل سائراً كما كان . وصباحاً تركت كفر بطنا الى سقبا حين أعلمني الاخوان بمقرراتهم فشكرتهم على ثقتهم الغالية .

سلب سيارات مجحم الشعلان

ليلة ٧ ـ ٨ أيلول سنة ١٩٢٥

نمت مع نسيب في غرفة واحدة ، وهذا البيت مقر أبي عبدو ديب الشيخ . وفي منتصف الليل أتى أحد الثوار وأخبر ابا عبدو بأن الثوار وضعوا يدهم على كمية كبيرة من الأقمشة ، وانهم نهبوا ١٣ سيارة كبيرة . فذهب ابو عبدو صباحاً في اليوم الثاني ، ثم

وصل شخصان من العقيل يحملان كتاباً من نسيب ، وكانا يمتطيان سيارة ، فوضع علي بك يده على السيارة بحجة ارسال الأغراض التي نابته وبينها تنكتان مملؤتان (غباراً المانيا بويا) ووصل رجل غاب عن ذاكرتي اسمه يود الالتحاق بالثورة . ثم جاءت طيارة ورمت سقبا ، فغادر علي بك الغوطة متجهاً نحو الإقليم بعد ان أرسل ما لحقه من الغنيمة بالسيارة صحبة ولده قُبيل العصر . أما الرجل الملتحق فقد صادر علي بك بندقيته ، ولما عدت العصر وجدت الأغراض قد أرسلت .

كيف سلب رمضان شلاش

وصل رمضان الى سقبا وتوجه الى مركز نسيب بك البكري ، وكان يصحبه بدوي وبعض من جماعته . وما كاد يصل حتى هاجمته جماعة الخراط واخذت منه جميع اغراضه ، حصانه وسيفه الذهبي ومنظاره ، ووضعوه في سقبا تحت الحراسة . ولما ذهبت لبزينة وجلبت القوة ، كان هذا الأمر قد تم خلافاً لمقرراتنا ، كما أن حادث السيارات قد حدث ليلة صباح سفري لجلب القوة . فشاهدت العباءات والقنابيز وغيرها . وكان ابو عبدو أراد حفظ قسم من العباءات لاخواني ، لكنهم تقاسموها بينهم بعد سفري . ولما عدت الى سقبا من كفر بطنا كان الثوار قد توزعوا ، وبعد ان اطلعت على المقررات دخلت الدار التي بها رمضان ، فوجدته ممتعضاً ، وكنت لا اعلم شيئاً عن مسألته . فلم ينبس ببنت شفة ، ولكنه كان يدلي بمطالعات عامة بتأثر ، وكان مستاء جداً من هذه المعاملة الفظيفة ، واستياؤه الأعظم كان من نسيب البكري . فاستقصيت الخبر واردت العثور على نسيب فلم اجده ، لأنه غادر سقبا ، فأصررت على استرداد أغراض شلاش لكني لم اجد من جماعة نسيب سوى اشخاص قلائل . ولكن حصان رمضان كان مربوطاً بجانب الدار التي يقطنها . فلما هاجمتنا الطيارات اصبح الناس بحالة هياج ، وغادر علي بك وعصابة الخراط والعصابات الأخر سقبا ، وبقيت وحدي . فامتطى رمضان باشا حصانه ونجا بنفسه ، وكان منظاره من حصة أبي دياب الكردي وسيفه من نصيب الشيخ حجاز ، ومسدسه من نصيب المرحوم . واما سلب السيارات فكان على الوجه الآتي :

كان الثائر سليم الوطري نائماً في جوبر فأتته إحدى النسوة وأعلمته بأن العسكر في الطريق ، فأسرع لمقابلتهم يصحبه بعض الفلاحين احدهما يحمل خنجرا والثاني (جفتا)

بارودة صيد . واذ بسيارة يحميها أربعة رجال ببنادق . فقالوا هذه دبابة ، واطلقوا النار عليها ، وكان خلفها ست سيارات والبقية رجعت . أتى منير سبع الليل وأولاد الخانجي وقبضوا على مجحم الشعلان ، وفرشوه أي ضربوه وكان قد اختبأ تحت شجرة شاهراً مسدسه ، فقبضوا عليه وأخذوا منه خمسين ليرة واستولوا على السيارات واوقفوها ، وكان معهم صالح مطر ، اما السوطري فقد حمل بغلاً من الاغراض وباعها في زملكا ، بعد ان قضى ست ساعات ، وصباحاً وصل ابو عبدو ديب الشيخ ، وفرق ما بقي من العباءات على عصابته ، واتى بالبقية الى سقبا وفرقها على ثواره ، واخذ الدروز حصتهم منه . واما علي بك الأطرش فإنه بعد ان استولى على السيارة ، ارسل الاغراض صحبة ولده وغادر الغوطة نهائياً مع جموعه الى الاقليم ، للحاق بقوى متعب بك الاطرش .

حرب عربين ومعارك جوبر

بعد مهاجمة الطيارات العنيفة لنا في سقبا وانسحاب علي بك الاطرش الى الاقليم ، وفرار رمضان شلاش بالاضافة الى ضربة الطيارات لنا عن طريق العقيلي الذي حمل كتاباً لنسيب من العصيمي او البسام ، فإن هذا العقيلي بعد عودته لدمشق مزوداً بورقة من نسيب ، أخبر السلطة عن مراكزنا ، ففعلت بنا ما فعلت ، ولهذا يجب علينا ان نأخذ العبر من الأخطاء فلا نتهاون بأمور جوهرية ، وهي الحزم وعدم التساهل .

نمي الينا بأن حملة ستزحف لتموين قوى حامية دوما ، فقررت حمل المدفع الصغير لصد هجمات الدبابات . سحبته مبدئياً من سقبا على بقرة ، ومن ثم سحبته بمعونة مجموعة من الأحداث القرويين ، وفي النهاية جررته بواسطة حمار صغير . كان المدفع محمولاً على عجلة صغيرة (طنبر) وهو من عيار ٣,٥ وقد سيرت السلطة الحملة فعلاً وأعلمني القرويون في الطريق بأن المعركة بدأت ، وحاصرت عصابات العمارة وعكاشة وحرستا المدرعات السبع في شارع حرستا ، وضيق الثوار الخناق على سيرها ، فأنجدتها السلطة بمدرعات من دمشق ، فوصلت الى عربين حيث كان الثوار محتشدين في جوار الطاحونة الواقعة شمالي عربين ، وكانوا يعدون بالمئات . فأوصلت المدفع الى نقطة دفاعية وهي نقطة كائنة على ضفتي قناة عربين الشمالية تبعد عن الطريق العام ١٥٠ متراً (طريق دوما ـ دمشق العام) .

كمن على ضفة القناة الشمالية ما يربو على المئة ثائر ، وقد استفادوا من تجاويف البقاع ، وأمامنا سهل واسع يمتد حتى الطريق لا ترى فيه عوجاً ولا أمتا . سترت المدفع بأغصان الشجر ، بعد ان اطمأننت الى تعبئته وصعوبة تمييزه من قبل العدو . وكان بجانبي رجل من جيرود له المام تام بالمدفعية . وبعد ان اتممت ترتيباتي التعبوية وصل من دمشق ثلاث مصفحات ، فتوقفت خلف الجسر المخروب او العبّارة المتهدمة ، وكنا شغلنا المدفع قبل وصول المدرعات ، فلم نتمكن من استعماله لأنه تبين لنا نقص في براغيه ، وان خليل ملحس ابقى لديه بعض الأوائل ، وعلى يساري قنابله موضوعة ضمن صفيحة (تنكة زيت كاز) .

نزل بعض جنود المتطوعة من سيارة كانت في طليعة المصفحات لمعاينة العبارة ، ولكي تضع الواح خشب لتسهيل مرور المصفحات ، ففتحت النار عليهم وارديتهم صرعى ، وكان يساعدني في الرمي البطل الشهيد ابراهيم صدقي عن يميني وخال ابن عكاشة عن شمالي ، فقتل من قتل من الجند وجرح من جرح من اول رمية ، فقابلتنا المدرعات ورمتنا بمدافعها وقذفتنا بنار حامية من رشاشاتها وكانت قنابل المدفعية تسقط على رؤوسنا جذوع الشجر دون ان نغادر مكاننا . كما كانت القنابل ورصاص الرشاشات تهطل علينا كالمطر وتتساقط الأغصان كتساقط البرد . قابلنا كل ذلك بـرباطة جأش . ولكن يا للاسف لم تطلق سوى ثلاث بنادق بندقيتي وبندقية ابراهيم صدقي وبندقية خال ابن عكاشة وابراهيم صدقي الشجاع ، وكان مكوراً فوق رأسه كوفية بيضاء على طراز عمائم المغاربة ، ولا غرو فهو ينتمي الى أصل مغربي . وبعد مصادمة عنيفة امتدت حتى الغروب أرغمت المدرعات على الفرار تحت تأثير نيراننا المسددة تسديداً محكماً . ولما فرت المدرعات لعلع صوت ابراهيم صدقي في الفضاء ، وأسرع محمود ابو يحيى ليطارد المدرعات على صهوة جواده حتى وصل الى جوار المستشفى الانكليزي بالقصاع .

وقد نشرت جريدة فتى العرب تقريباً بتاريخ ١٠ كانون الأول سنة ١٩٢٥ تقول فيه عن قتلى المتطوعة من الشراكسة بأنهم جرحوا جروحاً بليغة ، وقد اضعت قصاصة هذه الجريدة .

وأما اولاد عكاشة فإنهم غادروا عربين واشتبكوا في حرستا مع المدرعات بقصد

منع وصول الأرزاق الى قوة دوما كما حاصروا المدرعات بمساعدة من قوة العمارة . وقد قتل محمد بن حسن اسماعيل وابراهيم من هريرة كما جرح الطناني ومن ثم انسحبوا الى الجهة الشمالية .

استمرار المعارك وتمادي الحركات : ١٢ كانون الأول سنة ١٩٢٥

انتهت المعركة وأسدل الليل سجوفه فوجدت من المعقول اخفاء اثر حركاتنا لكي لا نكون عرضة لمفاجأة الطيارات وقذائفها ، فقررنا الزحف على بيت نايم حيث بتنا ليلتنا بها ، وكان البرد قارصاً جداً ، فأشعلنا النيران وأوقدنا الحطب طيلة ليلتنا ، ولم يغمض لنا جفن لشدة البرد .

أولاد عكاشة واعمالهم .

هبط أولاد عكاشة جوبر وهاجموا الجنود الذين كانوا يقطعون الأشجار بالقرب من جوبر لتوسيع دائرة الرؤية وابعاد الثوار عن الملاجىء التي يحتمون بها لمهاجمة القصاع وجوار جوبر . واشترك معهم ثلاثة اشخاص من جوبر فقتلوا جنديين من الدرك المكلفين قبض ضريبة الدخل وفي الليلة نفسها التحموا مع قوة المرحوم الخراط وهاجموا نقطة المعمل في الباب الشرقي وعادوا في الساعة الثالثة ليلاً الى بيت سحم ، وفي الليلة الثانية أعادوا الكرّة على مخفر السنانية والدرويشية عن طريق الشاغور ، وهاجموا المذبح واسروا شرطيين . وبعد كل هذه الأعمال المدهشة عادوا الى زبدين ، ومنها انتقلوا بعصابتهم الى عربين حيث خاضوا وقعة حرستا التي ذكرناها سابقاً ومن ثم دخلوا دمشق ونحن منهمكون في حروب جوبر .

١٢ كانون الأول سنة ١٩٢٥ : انتقلنا صباحاً الى الست ، فوصلناها بعد العصر . وفي أثناء زحفنا حامت الطيارات بعقربا فوق رؤوسنا ، ولما كنا في الست وصلتنا كتب من الاقليم ضاعت صورتها ولكن صيغتها الأصلية قد تكون محفوظة لدى محمد بك عز الدين ، وهي موقعة بتوقيع الشهيد البطل فؤاد بك سليم وزيد بك الأطرش ومتعب بك ، يخبروننا فيها عن شدة وطأة الحملات الزاحفة على الإقليم ، وفيها يذكرون بأن أهل الشيعة تستنجد وتطلب الإمداد والحالة لا بأس بها وتدعو للارتياح ، وانه من المنتظر انسحاب قوى العدو الى القنيطرة .

حروب جوبر

١٤ كانون الأول ١٩٢٥ :

حين كنا في الست نمي الينا من مصدر موثوق بأن السلطة ستسيّر أربع حملات ، احداها شام ـ دوما والثانية ميدان ـ جرمانا والثالثة زبدين ، والرابعة مجهولة الوجهة . ما كادت الغزالة تطل من نافذة الأبدية بأشعتها النارية وذوائبها العسجدية على الكون حتى سمعنا دويّ الرصاص يلعلع في اجواء الفضاء ، فامتطينا خيولنا بسرعة ، وهرعنا الى الحديقة الكائنة قرب الطريق المؤدي الى يلدا وبابيلا وهناك تضاربت الآراء بتعيين وجهة الزحف فأشرت بوجوب زحفنا نحو جوبر ، وشاركني برأيي نزيه بك .

ولكن المرحوم كعادته السابقة ابدى فكرة مهاجمة مخفر الشيخ حسن ، وشاركه رأيه رجال عصابته . أما نحن فصممنا على تنفيذ خطتنا ، وما كدنا نصل الى مفترق الطرق حتى افترق المرحوم بعصابته عنا ، فعدت الى المرحوم وبينت له بأن الحرب مستعر اوارها في جوبر ، فوافقني وسلم برأيي ، فصاح المرحوم الطناني وسار معنا وتبعه المرحوم بعصابته ، وتابعنا زحفنا حتى وصلنا الى جوبر وكان قبل وصولنا بيوم ان استشهد ابن القباني وشخص من عربين واثنان من دوما ، وسبب استشهاد أبي صياح القباني انه هاجم الدبابة ، فأصابت منه مقتلاً ، كما أن صالح ادريس أبلى بلاء حسناً واستشهد ايضاً .

استشهاد يوسف القباني

يصفها من كان شاهداً استشهاده :

كان رحمه الله مرابطاً في جوبر وبصحبته اربعون ثائراً من خيرة رجال دمشق ، واشهرهم شوقي المالح ، وابو فهد الشعراوي ، وعلو جمعة ، وابن كريم واولاد الخانجي ، وأولاد نصري ، وابن المخيش وغيرهم . نمي اليهم يوم الخميس في ٩ كانون الأول سنة ١٩٢٥ بأن قوة كبيرة ستصبح قرية جوبر فتطوقها وتستأصل شأفة ثوارها ، الذين استفحل امرهم . فعقدوا جلسة مستعجلة فيما بينهم وقرروا اخبار العصابات ، وارسلوا ليلاً عشرة عناصر لاستنفار العصابات وسعى المرحوم لاخراج قوة من القرية

تكون نجدة لقوته التي تعد ثلاثين ثائراً ، فانجدته قوة تعادل قوته ، وتشكلت جبهتان احداها جبهة الجوابرة كانت برئاسة ابن ادريس تمركزت على يسار قوته التي كانت موزعة في جبهتين ، الجبهة اليمنى والجبهة الوسطى اليسرى ، وتمركز هو في الوسطى لأجل الاشراف على سير المعركة كما كان يدير حركة الرشاشة التي غنمها قبل اسبوع في معركة وقعت قرب جسر تورا. اشتبك رحمه الله مع الحملة الزاحفة التي قيل انها أربعة آلاف ، وامتدت المعركة حتى قبيل العصر ، فأصيب يوسف بكتفه الأيسر، بينما كان يسدد على العدو ، وهنا لجأ قائد الحملة الى حيلة غريبة في بابها ، اذ سير قوة من المتطوعة بلباس فلاحي الغوطة الملية وتقدموا كنجدة للثوار ، الى ان وصلوا لمتاريسهم فانعكست الآية ، والتحموا مع الثوار التحاماً مريعاً ، وتصادموا وجهاً لوجه . واما يوسف فإنه بالرغم من جروحه فقد بدأ يشجع الثوار بقوله اذبحوا الكلاب الخونة ، ويرميهم بمسدسه ، فقتل من المتطوعة عدد لا يستهان به ، وقد بذل اخوانه قصارى جهدهم لإقصائه عن خط القتال فأبى قائلاً إما الشهادة او الظفر . وطوقتهم الحملة وأحدقت بعصابته احداق الجفون بالمقل ، وتمكن بفضل بسالته وتشجيعه لإخوانه من دحر الحملة ، ولكنه يا للاسف خر صريعاً في ميدان المجد يتخبط بدمه ، بعد ان طارد فلول العدوّ حتى حي النصارى ، فحملوه على الاعناق ، ولما ارادوا دفنه صارت كل قرية تريد دفنه في قريتها ، لأن الذين اشتركوا بهذه الحملة لا يقلون عن ألفي محارب ، فحل اسعد سلام مشكلة دفن المرحوم ببقعة يرقد فيها بطل من ابطال صلاح الدين يسمى يوسف وفيها دفن يوسف القباني ، أحد أبطال حروب ثورة سورية وقبره الآن في عين ترما مزار للقادم والغادي ، رحمه الله وجعل الجنة مأواه .

لقد تولى دفنه رمضان دربازة وهو منتعل حذاء اصفر . ويوسف القباني رجل ينتمي الى أسرة من خيرة الأسر الدمشقية ، اشتهر بشجاعته وصلابته الدينية . وقد الف عصابة شجاعة كانت أعمالها تتكلم عن مزاياه وبطولته . وقد ابلى بجهادنا القومي بلاء حسناً ، وأدى واجبه نحو امته على خير وجه . فهو من ابطال شهداء سورية المجهولين ومن شجعانهم المغاوير ، تغمده الله برحمته ، وجعل مثواه النعيم ، واليوم يرقد رقدة الخلود في بقعة روّى ثراها دماء الشهداء ، وهي من بقاع الغوطة المقدسة ، واصبحت بالمعارك التي جرت فيها أشهر من نار على علم رحم الله شهيدنا ، وجعل لنا من جهاده

درس عظة وعبرة ، لعلنا ننهج على نهجه ، لأن ثمن الاستقلال الدم فبارك الله بشهيدنا وألهم الله آله وذويه الصبر والسلوان ، إنه رحيم منان .

استئناف الوقائع : ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٥

وصلنا جوبر وكمنّا شرقي البلدة في الحدائق ، وكان بجانبي كل من محمد بك عز الدين وأبو عبد وسكر والمرحوم الخراط ، ومن حولي اخواني منير وخير الدين الأسود . لقد اندحر الجند اندحاراً مشيناً . وبعد ان هدأت عاصفة الحرب وقع احد سكان جوبر من الجواسيس وهو مسيحي اتى من دمشق خصيصاً للتجسس فألقت عصابة الخراط عليه القبض بعد ان دل عليه أهل القرية واعدمته .

بعد ان انتهت المعركة وأقبل المساء ، انسحبنا الى بلاط ، ومنها ذهبنا الى حرستا القنطرة وليس هناك اجمل من منظر دخول الثوار القرى مهللين مكبرين ، وزحفهم المتواصل بين الغياض وعلى ضفاف بردى وتهاليلهم وأناشيدهم . والخلاصة ان الديموقراطية الحقة لا تتجلى إلا بنفوس الثوار فالصغير والزعيم والرئيس والمرؤوس كلهم سواء هواؤهم واحد وطعامهم واحد ، ونومهم واحد ، فلا تخوت ولا فرش وثيرة . ولما كنا في حرستا القنطرة أعاد الخصم الكرّة واصبحنا نسمع دويّ القنابل ، فزحفنا على جوبر مرة ثانية بقلوب مفعمة بكؤوس الانتصار ، لأننا حتى هذه الدقيقة ، لم نندحر ولا بمعركة من المعارك فاخترنا النهر وغادرنا كروم حرستا القنطرة ، ولكن بعض شبان الدروز تركونا وعادوا الى الجبل نظراً لضيق مجال الحياة وصدور بعض أمور شاذة من بعضهم تركت أثراً سيئاً في النفوس ، لأن النهب كان ديدنهم . كانت الحرب مشتعلة بين الطريق المؤدي الى دوما والقرية فواصلت زحفي واختبرت القسم الكائن غربي القرية وتمركزت بنقطة هي دار فلّاح متهدمة ، وأصبحت كاستحكام طبيعي يشرف على الحديقة المنتشر فيها الجند وعلى الطريق العام .

كان بجانبي ابو عبدو سكر وابو مستو الافغاني ودرزيان احدهما انكش من الحلبية والثاني عجوز وأعزل عمل مدة في مقهى حمدان لكسب رزقه . كان الجنود في الحديقة التي تحتنا ولا يفصل بيننا وبينهم سوى جدار الخربة القائم وامامي انقاض لبناء اتخذتها متراساً ، وما أن حمي وطيس القتال بيننا وبين العدو حتى جاءت رصاصة فخرقت صدر

رفيقي ابو مستو الافغاني الشجاع ، فانسحب من متراسه ونادى ابا عبدو سكر واخرج كيساً من عبه عد له منه سبع عشرة ليرة عثمانية ذهباً أوصى باعطائها لزوجته ، وكان يبعد عن يساري بضعة امتار . وهنا كانت طيارة تحوم محلقة فوق رؤوسنا تقذفنا بقنابلها ، والجنود تحتنا والنيران تحيط بنا من كل جانب . وقد صدف ان احد الجنود الافرنسويين سقطت منه قنبلة ألمانية فأسرع الشاب الدرزي والتقط القنبلة ولم يكن بينه وبين الجندي الذي فرّ سوى بضعة امتار ، وتسلق الجدار وتوجه نحونا بينما كان رشاش الدبابات يرمي مراكزنا والجدار الذي بجانبنا رمياً متواصلاً ، ولكن ابو عبدو سكر استولى عليها من هذا الشاب ظلماً وعدواناً .

اشتدت وطأة النيران على مركز استحكامي والطيارة تحوم فوق رأسي وتقذفني بقنابلها ، ولكن الله حماني منها ، اذ كانت القنابل تسقط خلف متراسي . كان الشاب الدرزي يحمل بندقية انجليزية وقد نفد عتادها ، والعجوز يحمل قصاطورة (حربة المانية) فأمرته بفتح ثقب في الجدار المطل على قوى العدو ففتح الثغرة بالحربة التي يحملها كلمح البحر . فسددت ناري على الجنود الذين كانوا يفرّون هاربين من أمامي ، وهكذا استمرت المعركة حامية مدة طويلة . وأما محمد بك عز الدين ومنير وخير الدين ونزيه وبقية الاخوان فإنهم تمركزوا في البيوت المجاورة المطلة على مراكز العدو ، وقد اسفرت المعركة عن اندحار العدو شر اندحار ، بعد ان ابلى الاخوان وفي طليعتهم الشجعان محمد بك ومنير ونزيه احسن بلاء ، ولم يتمكن الجند من الاقتراب من البيوت التي كانوا اخواني المذكورون يدافعون عنها دفاع المستميت .

قلت فتح لي العجوز ثقبا في الجدار رحت اصطاد منه الجنود اصطياد العصافير فوق الاغصان . كما ان اخواني ساعدتهم مراكزهم على التغلب على الخصم والتفوق على نيرانه المنهمرة وقذائف طياراته الجهنمية ، وكانت المدرعات والدبابات تلتقط الأسرى والجرحى منهم . ثم ادبر العدو هارباً وهدأت عاصفة الحرب في وقت كانت فيه الشمس تودع الأفق ، لتشرق على أفق آخر من المعمورة . تركنا متاريسنا وأسرعنا لمطاردة العدو واذ بالرصاص ينهمر علينا من فوق المستشفى ، وقنابل المدافع تتساقط بين أرجلنا تساقط المطر ، فالتجأنا الى بيت صغير، ولولا التجاؤنا اليه لقضت قنابل المدفعية على حياتنا . احتميت بجدران هذا البيت الصغير من نيران المدفعية ورصاص الرشاش ، وأصبحت

أرجلنا لا تقوى على حمل اجسامنا لشدة ما قاسينا من التعب ولطول مدة المعركة . ومع هذا فقد طارد الثوار الخصم حتى القصاع ، كل هذا والى جانبي رفيقي الشجاع منير الذي هو كروحي لم يفارقني لحظة في جميع معاركي . ولما اصبح العدو اثراً بعد عين ، وبعد ان طهرنا هذه البقاع من رجسه تطهيراً تاماً ، بدأنا بجمع جموعنا لندخل القرية ، دخلنا جوبر وأكاليل النصر تتوج هاماتنا ، ونشوة الظفر تطربنا دخلنا القرية بالتهليل والتكبير ، بينما الاذان المحمدي يدوّي من فوق المآذن ، معلناً انتصارنا فهرع السكان لاستقبالنا ووجوههم طافحة بالبشر وقلوبهم مملوءة بالسرور .

كان حماس الثوار فوق التصور والوصف . ولكن شذوذ بعض القرويين وتماهلهم في تقديم العلف لخيول المجاهدين ، احدث استياء في نفوس المحاربين . فتألم الكثير من إخواننا الثوار من الدروز لأن البلدة منشقة على نفسها ، وفيها عدد لا يستهان به من الموالين للسلطة ، ودأب هذه الفئة الخائنة معاكسة الحركات الوطنية والتجسس . فقد ذهب جاد كيوان بفرسانه الى الإقليم بدون اطلاعنا ، والحقيقة انه وفرسانه لم يشتركوا بالمعركة فقد تخلى عنا ومع هذا لم يؤثر علينا انسحابه اصلاً ، لأنهم اصبحوا بإحجامهم عن الحرب في معظم المعارك عالة على القرى. قررنا النوم في جوبر، لأن التعب قد أخذ منا كل مأخذ بسبب المعركة التي امتدت سحابة النهار وفقدنا فيها شجعاناً بواسل كأبي مستو الأفغاني الذي قضى نحبه ثاني يوم على اثر اصابته في صدره .

نمت انا ومحمد بك عز الدين واخواني منير ورفقاؤه وبعض من أقارب محمد بك في بيت المختار الموالي للافرنسيين وابو عبدو قضى ليلته في بيت الشهيد ابن ادريس ومركز الشهيد ابن القباني . وبينما كنا نغط في نوم عميق هادىء ، اذ المختار ابو داود يدخل علينا حاملاً كتاباً من رؤساء حركة (الجورة) أي قلمون ، ويعلمنا شفوياً بأن بشير البكري زاحف بقوى عظيمة تعد بالألوف ، وقد وصلت بيت ساوا ، ولم تزل النجدات تتوالى ، وهذا نص الكتاب بحذافير وبنصه وفصه .

« لحضرة قواد المجاهدين ادامهم الله

بعد السلام عليكم : المبدي لجنابكم من خصوص الليلة الماضية اجتمع عند قرية ضمير وحفير وحفير تقريباً (١٥٠٠) بارودة من المجاهدين في الوطن فأجانا مرسال من

كـركوش ان نحبى لمسـرابا بقـرب الريحـان ولا احد اعـطانا خبـركم بأي محـل لنسوق العصابات لعندكم .

وحين اطلاعكم على تحريرنا خبرونا الى اين نحضر بحيث البلد قريبة وفيها مخاليق كثيرة وابو ديبو والبكري الى الآن ما رجعوا من ضمير وجيرود حتى يمشوا امام العـالم ، وانشاء الله تكونوا موفقـين ومنصورين بجـاه رب العالمـين وبحرمـة سيدنـا محمد عليـه السلام ، ومن عندنا بشير راجع الى نسيب ولا حضر أحد منهم وعينوا مكان حتى نحضر حالاً في ١ جماد ثاني سنة ١٣٤٤ .

ابو علي كزكوش ، خـويس درباس اسعـد ، حويشـان ، المجاهـد الوطني احمـد البداوي » .

وأضافوا على كتابهم هذا العبارة الآتية :

« ان بشير البكري وصل على رأس قوة الى (بيت ساوا) وعـلى أثر وصـول هذا الكتاب فقد قررنا شد الرحال للاجتماع بهذه الجموع المحتشدة ولما علمنا بـأن صاحب الدار موالياً للافرنسيين فإن بعض اخواننا اخرج ماكنة خياطة سنجر ووضعها في بـاحة الدار بمحل مشرف واراد رميها بالرصاص كهدف ليعطلها فمنعناه عن ذلك ولكن قبل ان نغادر باحة الدار فاجأتنا المدفعية بقنابلها وكانت تتساقط القنابل بجوار الـدار التي نحن فيها وهذا من اغرب الحوادث ومن ادهش واتقن الاستخبارات وجواسيس البلدة لم يهمها سوى امر اقامتنا . استخبارات الافرنسيين كانت منظمة انتظاماً متقناً وكثير من القرويين وخدام الحوانيت قاطبة كلهم ضمن هذه الشبكة المتقنة النظام وهذا ما كنا نجهله في جميع تطور حركاتنا وأدوار حروبنا ، فالجواسيس السرية كان تأثيرهم كبيراً على سير حركاتنـا يحصون انفاسنا ويحضروا اجتماعاتنا ولا ندري عنهم شيئاً ، وهذا لا شك تهاون عظيم منا وعدم اتخاذ الطرق المؤدية لاظهارهم فهذا نقص كبير في تنظيماتنا الخاصة » .

السفر الى ضمير

اعتقال مسلم وردة

عند شروق الشمس غادرنا جوبر التي قضينا بحروبها الأهوال حيث كانت قنابل المدفعية تسقط بجوار القرية وعلى مقربة من الدار التي نمنا فيها ، واستأنفنا سيرنا نجتاز الحدائق حتى وصلنا الى (بيت ساوا) بعد ان مررنا في عربين وحمورة ، وزرنا الجريح الشجاع طاهر الأفغاني ، ابن عم شهيدنا أبو مستو ، وكانت رجله كسرت في احدى المعارك ، ونهب ابو فارس الحرش المرحوم فرساً عربية فاستردناها منه . وصادفت انا ونزيه بك مسلم وردة فاعتقلناه ، وكتّفه نزيه بك لتواتر الاشاعات عن تجسسه ، وقاده أمامه ولكن نزيه بك اطلق سراحه مؤخراً على اثر استعطاف والدته ورجائها له ، ويا ليته قضى على حياته ، لأنه كان يتظاهر بأنه مفلوج ، وحقيقة الأمر أنه كان أمكر الجواسيس ، وهو الذي قضى على حياة الضابط الثائر عز الدين الزين كما تبين لنا بعد خمود الثورة ، بناء على معرفة حقيقة امره ، وكشف سره من قبل الثائر خليل بصلة . ولكن في الصيف ضيعت اللبن ، واصبحنا بعمان . وبعد ان تغدينا غادرنا بيت ساوا ويممنا وجوهنا شطر عدرا عن طريق الشفونية . وفي الشفونية ، وتحت ظلال اشجار الزيتون الخضراء الوارفة ، اجتمعنا بممدوح عامر بطل النهب في الغوطة والمرج ، والذي طيلة بقائه في الغوطة لم يطلق على العدو رصاصة واحدة ، ولم يشتبك بمعركة ، ولا اشترك معنا بحرب ، فأنذرناه بشدة وعنف وطلبنا اليه مغادرة الغوطة . استأنفنا سيرنا في سهل المرج الفسيح ، وسهل عدرا البهيج الذي تتخلله الأنهر تخلل الشرايين للجسد . خرج سكان القرية لاستقبالنا واصطف الفرسان وافتتح ميدان السباق ، وزغردت النساء دخلنا القرية في عاصفة من التصفيق وزغاريد الغيد الحسان . وحللت ضيفا في بيت الشاب ابن الحلاق الذي اشترك بجانبي في معارك جوبر ، وهو ابن عم شيخ البلد احمد البداوي ، وقد قام بواجب الضيافة احسن قيام .

كان القصد من مجيئنا اولاً : الاتحاد مع القوة الزاحفة . ثانياً : تدبير العتاد لأن عتادنا نفد في المعارك الكثيرة التي خضناها . وحين وصولنا بدأنا نفتش عن عتاد نشتريه فلم نتمكن من شراء شيء ، عندها قررنا ارسال بعض الاخوان الى ضمير ليشتري لنا العتاد الكافي وتولى القيام بهذه المهمة الداهية أبو عبدو سكر ، فذهب بصحبة عدد كبير

من الفرسان لتأمين هذه العملية ، ولكنه يا للأسف عاد بخفي حنين ، لأنه لم يجد شيئاً في ضمير ، وعليه قررنا التجول في قرى المرج بانتظار الحصول على عتاد وبسبب انسحاب كثير من شباب الدروز فضلاً عن شعورنا بالتعب والإنهاك نتيجة هذه الحروب المستمرة المتتابعة .

معركة حمورة

١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٥

قضينا ليلتنا الثانية في عدرا ، وفي منتصف الليل وصل الشيخ مسلم الرجل الجليل والشيخ المهاب ، ونزل في البيت الذي يرقد فيه محمد بك عز الدين وابو عبدو سكر وأعلمهم ، بأن حملة كبرى زحفت على جوبر ، وأنها تتهددنا بالخطر إذ ليس في جوبر للعصابات اثر وذاع الخبر صباحاً ، فاجتمعنا وقررنا الزحف على جوبر لنجدة السكان . وما كادت الشمس تتوسط كبد السماء حتى شاهدنا دخاناً متصاعداً كثيفاً يحجب وجه الأفق فعلمنا بأن الحملة دخلت جوبر ، وبدأت تحرق البيوت ، أما ثوار البلدة فقد جلوا عن القرية بعد حرب ضروس بدأت مع طلوع الفجر ، ودبّر لي مضيفي كمية من العتاد فاشتريتها وأسرعنا لنجدة ثوار جوبر كالبرق وقد لحقت بنا جموع غفيرة من بدو وحضر ، ومعظمهم عزل من السلاح ، وكنت تشاهد القمصان البيضاء في هذا السهل الفسيح تتماوج تماوج الزوارق في البحار . وتهافت الناس على الحرب تهافتاً لا مثيل له . وتخيل للشاهد حينذاك انه امام منظر يصلح لأن يكون مشهد من مشاهد الافلام السينمائية التي تأخذ بمجامع القلوب .

تغلغل فرسان الغوطة بعد ان اجتازوا هذا السهل خبباً فوصلنا بيت ساوا وربطنا خيولنا فيها لتكون بعيدة عن نيران المعركة ، وقررنا مجابهة العدو مشاة . وزحفنا بحماس عظيم وسرعة فائقة دون ان ندري شيئاً عن مواضع العدو ، بل كنا في أثناء زحفنا نسمع لعلعة البنادق في الأجواء . تقدمنا عبدالله الديري الرجل الضخم الأعزل من السلاح ، وخلفه فئة من البدو وتمركز نزيه بك ومحمد بك عز الدين وقسم من اخوانهم خلف دكوك حمورة الشرقية الواقعة على طريق حمورة الشبعا ، أما انا فتركتهم وسرت نحو القرية

يتقدمني منير الريس والى جانبي ابو عبدو سكر . وأما الاشخاص الذين تقدمونا فقد دخلوا القرية وكنا وصلنا لمنفذ القرية الشرقي المؤدي الى طريق بيت ساوا ومسرابا وطريق عربين ، وهو نقطة تقاطع الطرق . وهناك شاهدت الجند في عطفة البلدة ومنعطف الزقاق المؤدي للقهوة ، فرميت احد الجنود في زاوية المنعطف بمشط وقلت لمنير الأسد الهصور، أسرع واستول على مدخل القرية الشمالي . وشاهدت كذلك عبدالله الديري الضخم جريحاً واما البدو الذين دخلوا القرية معه ففوجئوا برصاص الجند وكانوا كلهم عزّلا ، فقتل أحدهم .

أسرعنا لسد المنفذ الشمالي لعلمنا بأن قوى الثوار متقدمة خلفنا ، فهي تستطيع حماية هذا المنفذ ، وبهذه الطريقة نكون حصرنا الجند داخل القرية . تعقبت أثر الشجاع منير وأبي عبدو سكر الذي كان على مقربة مني ، فلما وصلت آخر الشارع الشمالي تدفق علينا الجنود تدفقاً ، وكان الحاجز بيني وبينهم جدار بيت فلّاح له نافذة واسعة لم يتم بناؤها . تحصنت خلف النافذة واصطدمت مع الجند ، وحانت مني التفاتة فلم أشاهد رفيقي منير الريس وأبا عبدو سكر ، بل وجدت شقيقي أبي عبدو ، وهما أبو قاسم ومصطفى ، وكان الجند قد اصبحوا في النافذة المقابلة اشاهد قلنسواتهم السوداء وسحنهم الشقراء ، فرميتهم بقلب ملؤه الايمان وانتخيت قائلاً لشقيقي أبي عبدو اشهدوا علي (وخسوا الكلاب) (ليكوهم شوفوهم) . وضعت بندقيتي على حافة النافذة وشددت التسديد ، ورميت الجند برباطة جأش ، ولكن رفيقيّ وهما فارسان أطلقا العنان لفرسيهما وشردا ، وأصبحت وحيداً فريداً .

ثم مشيت على أثر رفيقي الشجاع الباسل منير لكني أضعته في لجة المعركة ، وانسحب ولدا سكر لإنقاذ حياتهما تاركين شقيقهما الأكبر لا يعي شيئاً . احتدم وطيس القتال بيني وبين الجند من مسافة لا تتجاوز خمسة أمتار ، ولكن الله أعمى أبصارهم والقى الرعب في قلوبهم ، فلم يخطر في بال احد منهم تطويقي مستفيداً من الجدار المقابل .

وفي هذا الوقت العصيب الذي كان ملك الموت مصلتاً سيفه الفتاك فوق رأسي خانتني بندقيتي اذ سقط القسم العلوي منها وتعطلت عن العمل وبذلك اصبح الموت مني على قاب قوسين أو أو أدنى إلا أن رباطة جأشي وقوة عزمي هدياني الى طريق الرشد ،

فإن خانتني بندقيتي فلم تخني شجاعتي فسحبت مسدسي (البارابللو) بسرعة البرق ، ورحت أطلق منه من خلال الكوّة على اولئك العلوج الخونة دون أن يشعروا بأي انقطاع في الرمي . فكان مفعول مسدسي كمفعول الرشاش فأحجموا عن التقدم نحوي واجتياز هذه الشّقة البسيطة التي لا تتجاوز بضعة أمتار . بل احنوا الرؤوس خوفاً من سهام الحتوف ، وأنا لم أزل شامخ الرأس لم يخطر ببالي ان أطأطئه خوفاً من الرصاص .

أما منير الريس فلا أدري ما فعل الله به فهؤلاء مشاة العدو امامي وقسم كبير منهم يرميني من فوق قصر نسيب الكيلاني والأسطحة المجاورة له ، وانا أسبح في لجة من الرصاص . لم افقد شعوري ولم يصبني ارتباك في دفاعي ولم اسمع سوى أزيز الرصاص ، كما لم ترهبني كثرة الجنود المتدفقة ، وأخيراً بعد ان خانتني بندقيتي وشعرت بهدوء عاصفة الصدام تركتُ القوة التي أمامي .

مخضبة والقوم صرعى كأنها　　وان لم يكونوا ساجدين مساجد

بهذا العزم وبهذه الارادة وبهذه العقيدة الراسخة وبهذا القلب الذي لا يعرف للخوف معنى ، تمكنت من توقيف موجة الهجوم نحوي ، وبهذا القلب الذي لا يتسرب اليه الخوف ابداً انسحبت عند الغروب بانتظام بعد حرب ضروس ، انهكت قواي ، فوصلت القناة الشرقية وأنا شاهر مسدسي . فلما وصلتها خضتها وسرت مع جريانها حتى مفرق الطرق ، وتوجهت نحو بيت ساوا . فصادفت محمد بك عز الدين امامي وكان يبعد عني نصف كيلو متر فكان يرمي تارة ويسير تارة أخرى ، فناديته بصوت عال قائلاً له قف قف .

فلما عرفني وقف وانتظرني ، فوصلت اليه وسرنا معاً أقص عليه ما وقع لي واستعلمت منه عن مصير منير الريس وابي عبدو سكر فلم يفدني شيئاً . وصلنا مربط خيولنا فوجدناها سالمة ، فامتطيناها ـ وكانت الساعة تجاوزت العاشرة العربية ـ وقررنا مغادرة القرية وجمع شتات الاخوان وفلولهم المبعثرة . تمكنا من حشد ٣٢ ثائراً ولكنا أصبحنا بمنطقة معرّضة للقنابل التي كانت تقذفنا بها المدافع بقوة هائلة من دوما وخرابو ودمشق والمزة والمعمل والجبخانة وجوار الثكنة ونقطة اوتايا ، ولم يكن يسترنا عن نظر العدو سوى الاشجار التي لولاها لأصبحنا طعمة للنار التي كانت تطوقنا من جميع

الجهات . صادفت الطفل رشاش البدوي الذي كان يحمل على حماره الخرج الذي يخصني وفيه ملابسي ومذكراتي التي لم تفارق جيبي إلا في هذا اليوم ، وقد شرد منه الحمار لشدة النيران وضاع الخرج ومذكراتي ، فتألمت جداً لضياع كنزي الثمين ولولا مذكرات الأخ منير الريس لأضعت وقائع ستة أشهر .

قبيل الغروب وصل ابو عبدو سكر فانحدرنا معاً من الحديقة العلوية الى الطريق المؤدي الى الشفونية وكمنّا على جانب القناة فصار الطريق خلفنا والسهل الواسع امامنا وفي نهايته صف من شجر الحور وغيره . فكنا نشاهد الجند من خلال فرجات الشجر سائرين في الطريق المؤدي الى اوتايا . أحصينا الموجودين فكان عددهم ٣٢ شجاعاً اشهرهم : نزيه بك المؤيد ، محمد بك عز الدين ، صبري فريد ، ابو تركي ، زكي بك الحلبي ، أبو عبدو سكر ، محمد علي الدروبي ، أولاد العسلي وهم فائق ، وصبري ، وحكمت ، الامير أحمد ، خير الدين اللبابيدي ، اشقاء ابو عبدو ، خليل الحموي ، وغيرهم مما لا تحصيهم الذاكرة تماماً .

وما كاد صبري فريد يشاهد قوى العدو حتى وثب من مكانه وراح يشجع اخوانه ويتهيأ للهجوم فمنعناه ، لأن عددنا كان محدوداً واذ بطيارة تنقضّ من فوق رؤوسنا من علو لا يتجاوز الخمسة أمتار ، وهبطت في نهاية الفسحة بالقرب من الشجر الذي أمام طريق الجند ، وبعد هبوط الطيارة الى هذا الانخفاض أمهلناها ظناً بأن عطلاً طرأ في آلاتها ، وانتظاراً لمجيء الجنود للنجدة على أمل اصطيادهم واصطيادها ولكنها عادت فارتفعت ، فسلطنا نيران بنادقنا عليها وعلى الجند ، واشتعلت الحرب بيننا وبينهم حتى هبوط الليل . ولما اشتدت ظلمة الليل كان معظمنا قد نفد عتاده واقدم البطل الشجاع نزيه بك ينخي الاخوان لمطاردة العدو الذي لم تنقطع نيران بنادقه وقذائف مدفعيته منذ انسحابنا من حمورة الى منتصف الليل .

فلبى نداء بسالته ستة من الاخوان لم ينفد عتادهم تماماً ، وهم علاء الدين الكيلاني ، والدروبي ، وصلاح القواص ، وصبري فريد ، وعبد الحميد ، واثنان غاب عن ذهني اسماهما وطاردوا العدو حتى أوصلوه حوش خرابو واوتايا . واستمرت المعركة حتى الهزيع الأول من الليل ، فكنت لا تسمع سوى قصف المدافع السريعة الطلقات

ولعلعة الرشاش وقذائف الجدي (المنجنيق) . وبعد عودة الشجاع نزيه وإخوانه ، توجهنا نحو عدرا والقنابل لم تزل تتساقط على مواقعنا . وصلنا حوش الفارة ونزلنا عند ابي عمر ديبو ، أنا ونزيه بك ونجم الدرزي ، فأكرم وفادتنا وتعشينا برغلا بعد ان كان التعب قد انهك قوانا . وبعد العشاء سرنا الى عدرا ونزلنا في دار مضيفي الأول ابن الحلاق العدراوي وتمددت على فراش وثير ورحت في سبات عمق حتى الصباح .

مصير الشجاع منير الريس
وفظائع حمورة

حينما تقدمت انا ومنير الريس نحو مدخل القرية الشمالي ونظراً لسرعة سير الشاب الشجاع فقد وقع بين الجند ورمى عباءته فوق السياج . ولما شاهد الجند العباءة اعتقدوا بأن منير الريس منهم لتشابه لباسه مع لباسهم ، إذ كان يرتدي بزة ترابية (خاكي) ، ويحمل بندقية افرنسية ، فاختبأ تحت اهرامات القنب ، ولكنهم اشعلوا النار في هذه الاهرامات حين انسحابهم إلا أن الله سلمه من الحريق بعد ان شاهد الفظائع التي ارتكبها الجند بأم عينه .

لا شك ان موقف منير الريس من أعجب المواقف وأخطرها . فكم من الشجعان ماتوا بالسكتة القلبية خوفاً حينما داهمهم العدو ، لكن منير شاب بطل وشجاع صامد وقد اجتمعنا به في قرى المرج كما سيأتي وقص علينا روايته التاريخية .

عدد القتلى من الأبرياء لا يقل عن الثلاثين قتيلاً ، لم يكن لهم علاقة بالحرب أصلاً، وجرح منا عبدالله الديري وقتل أحد البدو .

وأما الفظائع التي اقترفها الجند يوم ١٨ نوفمبر كانون الأول سنة ١٩٢٥ فهي فظائع تقشعر لهولها الأبدان . فقد هتك المتطوعة الأدنياء الأعراض ، وأحرقوا البيوت والرجال ، إنها لفظائع لا تقل عن فظائع نيرون ولم يسجل تاريخ القرن العشرين لها مثيلاً لأُمة متمدنة من الأُمم ، وفرنسا التي تدعي الحضارة وتتبجح بأنها حاملة لواء حرية العالم ، لا تستحي ولا يحمرّ وجه حضارتها خجلاً من ارتكاب هذه الفظائع الهمجية ، اذ كان جنود فرنسا المتمدنة يقتلون الأبرياء بإطلاق الرصاص خلال أفواههم فيخرون صرعى دون ذنب اقترفوه . واليك أسماء الذين قتلوا ظلماً وعدواناً .

صفحة من سجل الفظائع الشائنة

في جبين حضارة فرنسا الزائفة

الشهــداء

الاسم	العمر	المكان
١ ـ حمزة ابن عبد الباقي	٢٠ سنة	في داره
٢ ـ محمد صديق عبد ربه	٢٠ سنة	في داره
٣ ـ مصطفى بن عمر اسماعيل	٤٠ سنة	في داره
٤ ـ وسيلة بنت مصطفى عمر اسماعيل	٦ أشهر	في باب دارها في حضن أمها
٥ ـ آمنة بنت علي خالد	٣٠ سنة	في دارها
٦ ـ حمود العربيني	٢٥ سنة	في داره
٧ ـ محمود الكردي	٣٠ سنة	في داره
٨ ـ محمود بن عمر عباس	٣٠ سنة	في داره
٩ ـ محمود بن سعيد بركات	٢٠ سنة	في داره
١٠ ـ محمود بن عبده طعمة	١٨ سنة	في الحقل وهو يرعى دوابه
١١ ـ مصطفى القصير	٨٥ سنة	في بيدر القنب
١٢ ـ ولده محمد حسن	١٦ سنة	في بيدر القنب
١٣ ـ ابو فياض الحمصي	٥٥ سنة	في بيدر القنب
١٤ ـ عثمان الترك	٧٠ سنة	في الجامع

الجرحى

الاسم	العمر	المكان
١ ـ بنت الضاحي وام البنت القتيلة	٣٥ سنة	في دارها
٢ ـ عائشة بنت احمد حمزة (كسيحة ومفلوجة)	٤٠ سنة	في دارها
٣ ـ عائشة بنت عبد ربه	٤٠ سنة	في دارها
٤ ـ احمد العناني	٧٥ سنة	في داره
٥ ـ بدوي الحنفي	٣٥ سنة	في داره

وقد فقدت جثة كل من العريان وأحمد الرعان ومحمود المعماري وسعيد اليـوسف وأحمد طعمة وعمر ادريس وبدوي العريني وصالح طعمة ومحمد برلونسة وسكينة الخوجة وعبدو البيبو والشيخ حوش وعمر عين الذي قتل ولده قاسم في دار شريف الكيلاني .

البيادر التي احرقها الجيش

جورة عثمان ، جورة اسماعيل زين ، جورة البيدر ، جورة عطايا ، القصـير ، ابراهيم حمزة ، مصطفى القصير ، بشير عثمان ، الخفارة ، جورة التوتة ، وجورة الشيخ مصطفى لأهل سقبا ، مصطفى عيسى ، الحاجة ، عبدالله الشافعي ، وجورة اخرى ، جورة المالكي ، حمدان الحمصي ، الريحاني .

ولما داهم الجند البيت الذي يقطنه ابو ابراهيم الطنـاني الجريـح ، انزلتـه شقيقته بالحبل الى الجب ، ولكنه قضى نحبه خوفاً من ان يلقي الجند القبض عليه رحمه الله .

هذه أعمال فرنسا التي دخلت سوريا تحت ستار التهذيب والإرشاد ، ولكن ارشاد الغرب هو القسوة والهمجية والفتك بالشيب والنسـوة والشباب . فسجّـل ايها القلم في صفحات التاريخ ما لا يقوى التاريخ على محوه .

لقـد كان تعـداد قوى العـدو الزاحفـة ثلاثـة آلاف جندي من سنغـال ومغاربـة ومتطوعة ، لم يكفهم ما قاموا به من ضروب الهمجية ، بل ساقوا جميع مواشي القرية وما صادفوه منها بطريقهم بعد ان هتكوا الأعراض واعتدوا على الشرف .

وأما قواتنا التي صمدت لهذه الوحوش الكاسرة فلم يتجاوز عددها الخمسين محارباً ثم انخفض الى ٣٢ محارباً وطاردهم منا ٧ أو ٨ من البواسل .

كانت خسائرنا بالنفوس بدوياً واحداً ، وأما خسائرهم فكانت بالمئات وقد صدق بطل البادية عودة ابو تايه حين قال : « المعتدي خسران » وقال الله تعالى : ﴿ **قال الذين يَظُنون أنّهم مُلاقو ربهم كم مِن فئةٍ قليلةٍ غَلَبت فئةً كثيرة بإذنِ الله والله مع الصّابرين** ﴾

وصول القيادة الجديدة العامة
للغوطة وضواحيها والشمال

الانسحاب الى المرج . وصول عصابة ابن الوليد (حمص) وصول القائد العام للشمال وللغوطة. الاركان حرب القائمقام محمد بك اسماعيل وهيئة قيادته المؤلفة من (اركان حربه مصطفى وصفي بك والمفوض السياسي شكري بك القوتلي) .

(استشهاد المرحوم الخراط) زحفي نحو الشمال ،

سير الحوادث :

هذا سرد للأحداث والوقائع التي جرت منذ هبوطنها الغوطة حتى يومنا هذا اي يوم ١٨ نوفمبر وقد ارغمنا السلطة على انشاء مراكز جديدة لها وتعزيز القديمة منها فأصبح لديها مركز في دوما واوتايا وخرابو وسقبا ومرج السلطان وقد ارادت بهذه المراكز تطويقنا ، وقطع كل صلة لنا مع قلمون والجورة والمرج ، فعززتها بالمدافع والرشاشات كما ارتكبت اعمالاً ارهابية يندى لها جبين الإنسانية ، وقتلت الأبرياء ، وأحرقت القرى ، وسلطت طياراتها على الأماكن الآمنة وحملت جثث الفلاحين على الجمال وعرضتها بالمرجة . ومن القرى التي خربتها اذكر المليحة وحمورة وجوبر والأشرفية وصحنايا وغيرها منذ أطلقت أول رصاصة بالغوطة الى الآن ، وحرقت شطراً كبيراً من الميدان ورمت حماة بقذائف المدافع وقنابل الطيارات وكذلك فعلت بدمشق . وانشأت شبكة تجسس هائلة في جميع قرى الغوطة والمدن . ورمت طياراتها قنابلها على قرى الهيجانة وقرحتا وسقبا ويلدا وبابيلا وزبدين ، ولا انسى ذلك المنظر المفجع حين رمتنا الطيارات بيلدا ونحن متوجهون الى الحرجلة لتعطيل الخط بجهات الكسوة . فقتلت شخصين من الدروز بعد ان هدمت عليهما البيت . وقد شاهدت دماغيهما وقد تناثرا ليلتصقا بجدران البيت، .

ولكن كل هذه الفظائع لم تزدنا الا اصراراً على المضي في طريق النضال فشدت منا العزائم ورسخت العقائد في ان نكافح حتى النهاية . ونحن اذ غادرنا الغوطة فإنما غادرناها سعياً وراء توسيع الأعمال والتجميع .

قضينا يوم ١٩ و٢٠ كانون في عدرا ومنها انتقلنا الى قرية ميدعا وفي صباح يوم الاثنين ٢١ من كانون وصلنا حران العواميد ، تلك البلدة التاريخية التي لم تزل اعمدة هياكلها الرومانية قائمة ، والنقوش الجميلة لم تزل بارزة للعيان . في هذه القرية التاريخية التقينا بعصابة خالد ابن الوليد المؤلفة من شباب حمص وهم نواة لعصبة الشهيد فؤاد رسلان والصيدلي سليمان المعصراني وشقيقه عبد الهادي وجميل العلواني ، وعلى رأسهم المرحوم الدكتور خالد بك الخطيب ، وكان يطمح رحمه الله لتسلم قيادة الشمال ليقود القوى الى حمص وحماة .

ونظراً لإخلائنا الغوطة راحت السلطة تسيّر قواها كما تشاء « خلا لك الجو فبيضي واصفري » أيتها السلطة الغاشمة . مع ان معظم قواتها لم تكن تستطيع مغادرة اوكارها واخراج رؤوس الحاميات من جحورها واستحكاماتها ، أما نحن فكنا كمن يتقلب على جمر الغضا بسبب النقص في العتاد وقد ورد كتاب لابي عبدو ومحمد بك عز الدين من أبي دياب وسعيد وعمر راتب . وهذا نصه :

« حضرة الاخوان ابو عبدو سكر ومحمد عز الدين المحترمين

السلام عليكم . الآن المصادمة بين المجاهدين في يلدا وبابيلا حالاً احشدوا والتحقوا باخوانكم ، وانتخوا ، وارسلنا لأهل الجديدة والهيجانة وباقي القرى اسرعوا لنجدة اخوانكم .

ابو دياب الكردي سعيد عدي احمد راتب الكردي »

واحمد راتب هذا نجل عبد الرحمن اليوسف ، اعتقله الخراط ، وبما انه كردي فقد عهد بحراسته الى الأكراد ، وقد اختل عقله وشاهده المرحوم الخطيب بحالة جنون حينما هبط الهيجانة .

اجتمعت بالمرحوم الخطيب وفهمت منه بأنه سيزحف الى الشمال كقائد لمنطقة حمص وحماة ، واراد استدراجي بقوله ان خالداً اصبح جندياً ، يريد افهامي بأن القيادة ستكون بعهدته ، واوعز الى الاخوان كي يرغبوني في الذهاب معهم ، ويبينوا لي بأن لي كتاباً خاصاً من سلطان باشا يحمله القائد محمد بك اسماعيل الذي سيجتمع بي قريباً .

اجتمعت في قرية الجربة مع محمد بك اسماعيل ، ومصطفى وصفي بك ، وشكري بك القوتلي . فتحدثت معهم ملياً ، وأعلمتهم بحقيقة الموقف . وكانوا قبل ان يجتمعوا معنا قد هبطوا الغوطة ، واجتمعوا بالمرحوم ببلاطا فساءهم ما شاهده البعض منه ولهذا اتوا الى المرج .

وفيما نحن في الحديث إذ نمي الينا بأن حملة وصلت مرج السلطان ، وانها ستزحف على المرج ، فامتطيت فرسي وذهبت انا ومصطفى وصفي بك لاستطلاع الأمر . فشاهدنا بجوار مرج السلطان الجنود . وما كدت أشاهد فرسان المتطوعة حتى ترجّلت وجثوت على ركبتي وسددت عليهم . ولكن مصطفى بك حاول منعي واقناعي بضرورة العودة لأن القوى كثيرة ، فأجبته بأنه لا قيمة لهم ، لكن حبّاً بمصطفى بك اقلعت عن فكرة الرمي . ثم توجهنا نحو ميدعا وفيها حشدنا قوة ، وفي المساء رحنا نسدد مع نزيه بك واخواننا صفيحة كاز للتسلية والتمرين على الهدف وقد كلفنا شاباً دمشقياً معروفاً بأن يأخذ لنا المبلغ المحول من قبل الدكتور الخطيب وقدره ثلاثة جنيهات ليسلمه الى عقيلتي التي كانت آنئذ في دمشق . فشرب على نصف المبلغ كأس الهناء كما أكل غيره أثمان الكتب في انحاء بلاد الله وسيأتي يوم ننشر فيه أسماءهم .

في هذه الليلة غادرنا المرج وتوجهنا جميعاً الى الغوطة ، وواصلنا زحفنا حتى وصلنا الى (بيت ساوا) وقد سلمني محمد بك عز الدين الكتب الواردة باسمي من سلطان باشا وهذا نصها بالحرف الواحد :

« القيادة العامة للثورة الوطنية السورية

رقم ١٢٩ جبل الدروز ١٤ كانون الأول سنة ١٩٢٥

حضرة القائمقام سعيد بك العاص المحترم

بالنظر الى تشوق اخواننا اهل حمص وحماة ونواحيها الى الاشتراك في انقاذ الوطن والى ضرورة توسيع دائرة الثورة الى تلك الجهات والى وجود رهط من أفاضل الشبان الوطنيين الذين اجتمعوا هنا للسفر لبلادهم هناك على نية الجهاد في سبيل الحرية

والاستقلال ، وبناء على كونكم اثبتم تفانيكم في هذا الجهاد الوطني ، فقد عيناكم قائداً لحملة حمص وحماة على ان تصرفوا واخوانكم المتوجهين الى تلك الجهة جميع المساعي لتوسيع دائرة الثورة وتنظيم امورها ومنع كل اعتداء يقع في غير محله على أحد من أبناء الوطن . وعلى أن يكون ارتباطكم بقائد الجبهة الشمالية العام القائمقام محمد بك اسماعيل ، الذي عهد اليه بادارة الحركات العسكرية مع الصلاحية التامة لتنظيم جميع الشؤون العائدة لاظهار الثورة بمظهرها اللائق ، وعلى ان تخابروا أعيان تلك الجهة ورؤساء عشائرها . فإن اتفقت كلمتهم على رئاسة أحد منهم فيكون قائداً لجبهة حمص وحماة فلكم معه رئاسة اركان الحرب ، على ان تخبرونا على من يكون الاتفاق ، هذا امر ضروري جداً لأسباب محلية وعمومية لا تخفى عليكم ، والله تعالى يوفقكم وجميع المجاهدين .

قائد جيش الثورة السورية

سلطان »

« القيادة العامة للثورة الوطنية السورية

كتاب آخر رقم ١٣٠ جبل الدروز ١٤ كانون الأول سنة ١٩٢٥

الى عموم الاخوان المجاهدين في الغوطة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد رأينا من الواجب اختيار قائد عسكري مجرب لإدارة جميع الحركات العسكرية والأمور التي تتعلق بها في الغوطة وضواحيها الى شمالي البلاد ، وحيث كان القائمقام الأركان حرب محمد بك اسماعيل حائزاً لجميع الصفات والمزايا اللازمة لمواجهة حركات العدو الفنية بمثلها ، ولإدارة أعمال الثورة وتنظيم اعمال المجاهدين وتأمين الارتباط بين المواقع المختلفة الى غير ذلك من الأمور الضرورية التي بدونها لا تكون ثورتنا الوطنية قد ظهرت بمظهرها ، فقد عيناه قائداً عاماً للجبهة الشمالية بصلاحية واسعة ، فالمطلوب من عموم المجاهدين من رؤساء ومرؤوسين ان ينفذوا أوامره ، وأن يبذلوا جهودهم في تنظيم أعمالهم حسب الخطة التي يعينها، فلا يبقى لتذمر أحد من ابناء الوطن، وليعلم كل سوري ان كان من المجاهدين

والقاعدين من مخالفة الأوامر لا يخرج عما توجبه مصلحة الوطن العامة ليعرضانه الى أسوأ النتائج ، لأن الوطن فوق الجميع ، وله علينا حق الخدمة مجردة عن كل غاية سوى انقاذه وتحريره من المستعمرين الظالمين ، والحمد لله على ما أوتي به من التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٤ كانون الأول سنة ١٩٢٥ »

وهذا نص كتاب الأمير عادل أرسلان

« أخي :

السلام عليك ورحمة الله ، كتابك وصلني وكنت أسأل عن رجل أسلمه كتاباً إليك لأشكر لك همتك العالية التي سمعت عن أخبارها من أهل الجبل والآن أخبرك بناء على اجتماع من وطنيي حماة مدينتكم المعروفة بعربيتها وعروبتها وحميتها . وهم عازمون مع اخواننا الحمصيين أهل النجدة والثبات على خدمة الوطن وتحريره من هذا الذل . استنسب الجميع رأي القيادة العامة بتعيينكم لقيادة حملة (حماة) ، وأملنا كبير بنجاح الحركة اعتماداً على ما هو معروف بإخواننا الحمصيين والحمويين خصوصاً رفاقكم الذين مضى عليهم مدة ، وهم ينتظرون مثل هذه الفرصة .

وسيصلكم الأخ محمد بك قائد الجبهة الشمالية بالتعليمات اللازمة . وبهذه المناسبة الفت نظرك لمسألة هي أن العلويين يقولون انهم مستعدون للقيام اذا ظهرت الثورة بجوارهم ، فأنتم تقدرون اشتراكهم ، وعليه يقتضي اتخاذ جميع الوسائل لذلك . ان كثيرين منهم هم الآن خارج حماة ، وانهم يساعدون بكل قواهم ولكن على كل حال يجب مراعاة اللابد من أعماله بالتنظيم ، خصوصاً في مسألة الإعاشة وعدم تحمل الفلاحين ما لا يتناسب مع حالتهم المادية ، وبالختام أدعو لكم بالتوفيق وأرجو اهداء سلامي للدكتور خالد بك وسائر الاخوان المجاهدين والله يحفظكم .

عادل أرسلان »

وقد وصلني كتاب من سلطان باشا بشأن حصان فؤاد بك سليم وهذا نصه :

« لحضرة المجاهد الغيور سعيد العاص المحترم .

تحية وسلاماً . اشكركم على أعمالكم التي قمتم بها بالخدمة المقدسة المباركة العائد خيرها انشاء الله على ابناء سورية .

الآن واصلكم سعيد يلزم ان تعرفوا منيراً ليسلمه الحصان حيث ان نصري أخا المرحوم باق بدون خيال ، اياكم والتأخير حيث لا أحد يعرفه ، والسلام عليك وعلى الاخوان جميع .

٢٨ جماد ثاني سنة ١٣٤٤ »

ولنعد الى بحثنا ، حشدنا قوانا بالقاسمية حتى المساء ننتظر زحف العدو فلم يجرؤ على مهاجمتنا ، مع أن عتادنا لا يكفي لمعركة .

الزحف على الغوطة
وصول نجدات قلمون
وذيوع خبر استشهاد الخراط

بينما كان القمر المنير يرسل أشعته الفضية على سهول المرج وتتراءى أمامنا الغوطة بأشجارها الكثيفة التي كان الظلام يلفها من كل جانب وفيها كان السكون والهدوء يستوليان على الغوطة والوقار يكلل هامات أشجارها كان مرج راهط مسرحاً للخوف والوجل بعد ان كان معقلاً من معاقل البسالة ، فهنا اقتتل اليمانيون والقيسيون في عهد ابن مروان واسفرت المعركة عن انتصار اشياع امية . هذا المرج الذي نجتازه الآن كان شاهداً تاريخياً عدلاً على بطولة العرب وبسالتهم ، ولهذا كانت هذه القرى وسكانها مثالاً حياً للشجاعة العربية ، بعكس ما عليه الآن سكان المرج من ذل ومسكنة ، اذ لم تشترك منهم إلا فئات ضئيلة في حروبنا القومية ، عكس ما كانت عليه القرى التركية بحروبها القومية . فقد هبت نساء ورجالاً للذود عن كيان استقلالهم . فقديماً كانت جيوش العرب تزحف للفتح وها نحن اليوم نزحف للدفاع . آنذاك كان لنا ملك وجيوش وقواد أخضعوا الأكاسرة وأجلوا الروم، واليوم نقاوم الفولاذ والطائرات والجيوش بقلوب جريئة وعقيدة راسخة ، وبقواد ، لا يملكون طعام يومهم . آنذاك كان شعب باسل وثاب واليوم اذلت الكوارث اعناق الرجال . نمنا في بيت ساوا يوم ٢٢ كانون الأول سنة ١٩٢٥ ونمي الينا أن القوة التي اتصل بنا رؤساؤها قد وصلت واحتشدت بحوش الريحان بقيادة الشهيد جمعة سوسق وهمة بشير بك البكري ، وعلى رأس ثوار الجورة (أي قرى جيرود

والقطيفة والمعظمية والناصرة) نجل سليم أغا الجيرودي يصحبهم الشجاع محمد حسن ، وتعداد هذه القوى لا يقل عن ١٥٠٠ مقاتل ، فأمرني محمد بك اسماعيل بإحضار هذه القوى والمرابطة بها على طريق جوبر ـ دمشق لصد الحملة الزاحفة على دوما .

٢٣ كانون الأول سنة ١٩٢٥ :

ذهبت مساء الى حوش الريحان ، فوجدت الجموع محتشدة في بهو واسع جميل جداً ومناسف الأطعمة المؤلفة من الأرز ولحم الضأن مصفوفة أمامهم . دعيت للطعام من قبل المضيف الجواد أبي علي كركوش ولبيت الدعوة ، وقعدت أمام المنسف الذي اجتمع حوله جميع الرؤساء : بشير وجمعة ومحمد محسن وغيرهم ، فتناولنا هذا الطعام الشهي الذي حرمنا منهم مدة طويلة طيلة تجولنا بالمرج وبالغوطة . وقبل ان اشبع أشار الي ابو عمر ديبو بالخروج خارج القاعة ليسر لي شيئاً مهماً . تركت الطعام وخرجت معه الى البهو ليهمس في أذني بأن الخراط استشهد . تألمت لهذا الخبر أيما ألم ثم التفت الى ابي عمر وقلت : ومحمد صلى الله عليه وسلم مات وعاشت أمته من بعده وكلنا مصيرنا الموت ، والثورة لا تموت بموته ولا بموت من هو اعظم منه .

كتمت الأمر وعدت الى الطعام . وبعد ان غسلت يدي تحدثت الى بشير بك البكري بعد ان تعرفت الى الرؤساء جميعاً ، وكان ابو عبدو ديب الشيخ الذي يرافق السيد بشير حاضراً ، وقد عمل مع بشير على تحريض أهل قلمون للزحف على القصير ، وهذه خدمة جلّى قام بها بشير وابو عبدو اسجلها لهما بمداد الفخر والشكر . وبعد ان انتهت الجموع من عشائهم زحفنا على بيت (ساوا) دون ابطاء . وهناك وجدت من اللياقة والكياسة أن اقدم قائد هذه الجموع للقائد العام الشهيد جمعة سوسق ، الذي يصحبه ابن اخيه الطفل . فدخلت غرفة محمد بك بعد الاستئذان . وهاك وصفاً لغرفته التي اتخذها له مقراً .

المكان غرفتان متداخلتان بعضهما في بعض ! يقطن الأولى محمد بك والثانية شكري بك ومصطفى وصفي بك ، وكان بشير انئذ قد دخل وكل منهما في لباس النوم (البيجامة) . . . أسرع شكري بك وارتدى حلته الحريرية الجميلة المصنوعة على

احدث طراز عربي . واجلت النظر فشاهدت علب المجمدات من قونسروات الزبدة والمربى من مختلف انواع الفواكه ، والجبنة البلجيكية والبلقانية وعلب السردين والحليب وأباريق الشاهي الجميلة تحتل حيّزاً كبيراً من المكان فظننت نفسي في غرفة احد قواد الجيوش المنظمة ، وبهرت لهذا المنظر الذي غاب عن بصري سنين عديدة ، فقلت لمحمد بك ان جمعة سوسق ينتظر بالباب ومحمد بك كأخي الأكبر لأن له علي أيدي بيضاء في سنوات دراستي العسكرية ، وهذا الرجل أي جمعة من الشجعان والرؤساء البواسل . فأجابني حرسه الله قل لجمعة يذهب الآن وستأتيك الأوامر ، اسرع الآن لتنفيذ ما أمرت به يا سعيد .

خرجت وادخلت جمعة فأحرجت بذلك محمد بك الذي لا يستطيع الآن رفض مقابلته . وثبت لمحمد بك وجوب بقاء ابن اخيه لديهم ، لأنه يخشى عليه من الحرب لصغر سنه ، وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره . لقد تألمت كثيراً لخشونة اخواني لأننا بحالة ثورة ، والثورات تطلب ادارة غير ادارة الجيوش المنظمة ، وهؤلاء الرؤساء كلهم جهلة ، فلو صُدّ جمعة حسب فكرة محمد بك فماذا تكون النتيجة ؟ لا شك في أن جمعة وجماعته كانوا سيعودون من حيث أتوا ، والثورة تتطلب اخلاقاً كأخلاق معاوية حينما هدده شيخ بني تميم فاسترضاه ، ولما عاتبته زوجته بقولها يا معاوية أنت ملك العرب ، ومن هذا الشيخ الذي يهددك وتأخذه بالحلم ، أجابها هذا زعيم بني تميم ، إن غضب غضب لغضبته مائة الف مقاتل .

ودعت محمد بك وشكري بك وبشير بك وسرت بهذه الجموع في ليل دامس الظلام حالك السواد لم نكد نعرف مواطىء أقدامنا . سرنا في منتهى الحذر والهدوء ستراً لحركاتنا عن اعين جواسيس فرنسا المنبثين في جميع القرى ، يرصدون حركاتنا وتحركاتنا . سقط البعض من المجاهدين في القناة لجهلهم طبيعة الأرض ، فعلا الصراخ ، وتكبدنا مشاق جساماً إذ لم يغمض لنا جفن طيلة ليلتنا ، وما كاد الصبح يتنفس حتى كنا في عربين ، فكمنّا بالحدائق خارج البلدة ذات التضاريس والمرتفعات والمنخفضات الكائنة على طريق دمشق ـ دوما وجهة زحف الحملة . أشرقت الشمس وشاهد القرويون كثرة جموعنا وتوافد الناس علينا فأمرت بأن يرصدوا الطريق وان لا يسمحوا لأي فرد كان من اجتيازه ، ومنعت حتى الذهاب لدمشق ودوما . ووزعت القوى بحسب طبيعة الأرض ،

ورتبتها ترتيباً فنياً ، وعبأتها تعبئة عسكرية منظمة ، وجعلت وراء كلّ قوة رِدْءاً أي احتياطاً . وعينت على رأس القوى رؤساءها ، واتخذت لنفسي ولجمعه مركزاً متوسطاً للإشراف على سير المعركة .

أحجمت قوة العدو عن الزحف وكنا نسمع الموسيقى واصوات الأبواق فقط . وكثير من الثوار كانوا يخفرون الطريق ويتجولون فيه . وعند الساعة الخامسة عربية تيقنا من أن الحملة لا تزحف ، فقررنا ان نتغدى في قرية عربين فجمعنا الجموع وتوجهنا نحوها . فشاهدنا الرايات الإفرنسية مرفوعة فوق كل أسطحة القرية ، فتبسمنا وواصلنا سيرنا حتى مدخل البلدة الشرقي ، واذ بأبي عبدو سكر يعترضني ويدمدم قائلاً : هلكنا جوعاً ، فإلى أين تقود هذه الجموع ؟ وكان الوقت قريباً من العصر . فأجبته بأننا سنبقى في الحديقة ، فاختلفنا وكادت تحدث بيننا أمور غير مرضية ، فتدخل الرؤساء ، واستأنفت سيري حتى وصلت الى الحديقة ، وأمنت الجموع ، وطلبت من مخاتير القرية الزاد ، فتسارعوا وعلى رأسهم الشيخ يونس ، الذي اخذ الرؤساء الى داره ، فأغدقوا علينا الخبز والحلوى والجبن والزيتون . فوزعت الأغذية على الجموع وتغدّى الرؤساء في البيت ، وكانت المائدة عامرة بأنواع المربيات والمكدوسات والحلويات . وبعد الطعام ركض أبو عبدو وبدأ يقبل وجنتيّ ويعتذر لي ، فتبسمت وقلت له أنت شيخنا وداهيتنا ووالدنا . وتصافت القلوب وانتهت الصلحة بتقبيل اللحى . وابو عبدو رجل شيخ داهية ، أظهر شجاعة نادرة في تحركاتنا الماضية وطوال اشهر قضيناها جنباً لجنب معه ، ولكنه عصبي المزاج ، يحب التدخل في جميع الشؤون ، وهو لا شك غير محق في اعتراضاته .

حضر مصطفى وصفي بك لعربين لتفقد الحركات فنقلت اليه شدة استيائي واني قررت الزحف الى الشمال . فأراد اقناعي فأصررت ، وبدأت جموع الجورة أي قوى الجيرود والمعظمية والقطيفة تنسحب الى مراكزها . ولما شاهد مصطفى بك ذلك قفل راجعاً وبقيت مع قوى قلمون ـ قوى ره نكوس والجبة وكتبت كتاباً لمحمد بك اسماعيل أعلمه فيه عن ازماعي التوجه الى بلادي حسب قرار القيادة العامة ، وفتح جهات الشمال وسلمته لمختار عربين . والكتاب على ما أعلمني الحاج أديب خير لم يزل محفوظاً . وقد عدّ محمد بك عملي هذا تمرداً مع انه لا حق له بذلك ، إذ بمجيئه انتهت

مهمتي ومهمة محمد بك عز الدين في الغوطة . وأصبحت مهمتي في الشمال لأني قائد مستقل ، وليس لي معه سوى ارتباط معنوي عام ، وجبهتي واضحة ومعروفة فلا عتب اذن ولا عتاب .

استشهاد المرحوم الخراط

على اثر معارك جوبر المتوالية ، انسحب المرحوم دون أن يشترك معنا بمعاركها الأخيرة الى قرية بلاط وهناك اجتمع به الدكتور الخطيب وشكري بك ومحمد بك ودهشوا من معاملته لهم ، بعد تمركزهم في قرى المرج وانسحابنا بعد معركة حمورة الى عدرا ثانياً .

ذهب المرحوم الى جوار أراضي الشاغور كعادته ، يصحبه الشيخ حجاز وابو سعيد المغربي وديب بديعة وقسم كبير من عصابته ، وفيهم رسمي الزير وقوته ، وحمدي بديعة وبمجرد وصوله الشاغور ، ارسل ثلاثة اشخاص الى فرن اولاد عدس وفرن علي ، وبقي ديب بديعة عند الشيخ شمعون ، فامتنعت الخبازة عن إحضار الخبز ورفضت الطلب ، ولكن أبو صافي الحلواني ارسل تنكة حلاوة ، فنزل ديب بديعة للمزار وهدد من وجده ، ودخل الشاغور ، وطرق باب سليم الحصني المثري ، وطلب منه طعاماً لاخوانه ، فرفض وجلب لهم طحيناً فأجابه بديعة قائلاً : نحن لسنا شحادين وهددوه وغرموه بليرة ، واعتقلوا ولده . وارتمى الأطفال على أقدامهم فصفحوا عنه . والثوار ذوو شهامة معروفون بأعمالهم المشرفة . فاستشار المرحوم بديعة لأجل ضرب مخفر الشاغور ، فأجابه بديعة (فرس الباغي عثور) . فعدل المرحوم عن رأيه رحمة بالحارة ، لكي لا تفرض السلطة عليها غرامة ، وانتقل من هناك مع إخوانه الى ارض الحصني ، فجلب لهم الزاد الكافي . ثم انتقلوا الى قبور الانجليز ، فصادفوا خمسة اشخاص تتنكب بنادق بجوار دف خديجة ، فسألوهم عن الأشباح المرئية ، فأجابهم أحدهم ان هذا الزول وهذه الأشباح هي جنود ارمنية متطوعة ، أتت لقطع الأشجار . فاستشار المرحوم مستشاره ديب بديعة ما رأيك ؟ فأجابه فوراً : مداهمتهم .

اعتلى جنديان فوق الدك في بستان اسكندر الذهبي تجاه (تربة النصارى) بأرض الشاغور ، فتصدى لهم الثوار من دف خديجة ، وهذا الدف قسم من بستان عم تحسين

باشا الفقير ، وخلفه يقع بستان اسكندر الذهبي ، الذي تمركز فيه الجنود بعد ان قطعوا اشجاره . اتخذ الثوار الترتيبات الآتية عملاً بمشورة إخوانه : فئة بإمرة الشيخ حجاز يصحبه شقيقاه محمود ورسلان ، والدردبيس وأولاد الجانبا . وفئة مع بديعة ورسمي الزير وجودة الفحام وحمدي بديعة والمرحوم المفوض القوميسير البيروتي المعتقل عمر الكوش والشرطي الأسير محمود القونيوي .

اصطدمت فئة الشيخ حجاز مبدئياً مع شرذمة الأرمن ، وعاضده سعيد المغربي وحمدي الكناكري وسعيد قمباز وابن فتوش وعشرة اشخاص من الثوار غيرهم انسحب البعض منهم وتواروا عن الأنظار ، والبقية هربت ، وانتهز القوميسير والشرطي فرصة اشتباك الثوار فهربا ، ولكن الثوار عاجلوهما برصاصهما فقتل القوميسير ونجا الشرطي .

كان المرحوم قريباً من الدرك في سهل واسع يساعد إخوانه في الرمي والى جانبه آنئذ كلّ من حمدي الكناكري وبديعة وابو سعيد المغربي وقمباز وابن فتوش وخمسة آخرون وبعد ان جددوا نشاطهم اشتد الصدام . وهؤلاء الخمسة هم كلّ من أبي عبدو الطباع وسعيد قمباز وسعدو ابن اخي المرحوم وابو راغب عريضة الذي وجد ميتاً في تل ابيب اخيراً ، وبقية العصابة كانت ملتهية بربط خيولها ، فأصيب أولاً أبو عبدو الطباع بفخذه وهو الذي كان يحمي يمين المرحوم ويحمي يساره كل من سعيد قمباز وأبو حامد وعريضة ، وكان يحمي ظهره ابن اخيه سعدو . فقال الطباع للمرحوم يا أبا محمد انا أصبت فأجابه المرحوم وانا ذبحت ، مردداً كلمات آخ آخ . وأراد العودة ليستند على الدك ، ولما قال له بديعة ما بالك أجابه وخزني شيء ، وسقط مغشياً عليه ، فنهض سعيد قمباز وحضنه قائلاً باطل يا ابا محمد .

فلما شاهدت العصابة ما حلّ برئيسها وقائدها استشاطت غضباً ، وهاجمت شرذمة الأرمن واصلوهم ناراً حامية حتى أجلوهم عن مراكزهم تماماً . ثم عادوا واجتمعوا حوله وجلبوا « الكديشة » التي كان اخذها من الميادنة وحملوه عليها وغطوه بعبائتين وقد فارقت روحه جسده الطاهر بعد ان بقي دمه ينزف حتى انتهاء المعركة ، وهذا لا شك من جهل إخوانه ، فلو ضمد جرحه لوقف النزيف ونجا ولكن ﴿ لكلّ أجل كتاب فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون ﴾ صدق الله العظيم .

١٤١

نقلوا جثته الطاهرة أولاً الى بستان المهايني ، وهو بستان مغروس بالشجر وفيه بيت هو البيت الذي قتل به البردويل من قبل الثوار بعد استسلامه . ثم عادت العصابة من نصف الطريق اي من بستان باكير وبقي مع جثته كلّ من الشيخ حجاز وديب بديعة وحمدي الكناكري وابن اخيه سعدو وهؤلاء حملوا الجثة ليلاً الى بابيلا وجلبوا السكير ومعه رجل آخر وحفروا له قبراً في آخر سور القرية ودفنوه بكسوته، وعادوا لرفقائهم، وكتموا استشهاده ، وأشاعوا بأنه جرح وارسل الى المستشفى . وبعد الثورة نقل الى مقبرة الباب الصغير ، وهكذا طويت صفحة شخصية بارزة من شخصيات جهادنا المقدس إذ كان المرحوم من الرجال الذين يفتخر بوطنيتهم وصدق جهادهم ومن الذين ابلوا بلاء حسناً ، فقد كان شجاعاً محبوباً وجواداً عطوفاً على اخوانه ، وعاملاً مقداماً في حقل الجهاد القومي ، وكانت عصابته من اقوى العصابات واشجعها . فبعد ان كان حارساً بسيطاً أصبح ثائراً مقداماً خاض غمار بعض معارك الغوطة ، واشتبك في أول معاركها برباطة جأش وعزم ثابت ، وجرح اكثر من مرة ، وله فضل كبير على تشجيع العامة للاندماج في نطاق الثورة . واذكر كلمته الطيبة لي حين اجتماعي معه لأول مرة في دير العصافير اذ قال : « يهددوني بشنق فخري (وفخري ابن زوجته وولده المعنوي) فليكن ضحية الوطن » ، ولعمري لقد كانت كلمته هذه في منتهى الأخلاص .

ومما يؤثر عنه : انه بعد ان جرح في معركة الزور الأولى في كتفه دخل البلدة وتداوى في محلته ، وزار زكي بك الركابي وكان في بيته آنذاك الضابط (دوفر بيزيه) وكان المرحوم على وشك العودة لميدان الجهاد فسأله المرحوم عن الضابط ، فأعلمه ذكي بك عنه . فنهض وقدم بيده للضابط القهوة فشربها دون ان يعلم بأن مقدم القهوة الشجاع الباسل الخراط ، وهذه جرأة من الخراط ووفاء بحق الضيافة لمضيفه ، وهي من اسمى مزايا العرب .

أما عصابته فقد اخذ بديعة على عاتقه تسلم ادارتها وجلبوا الدكتور احمد الحصني لتضميد جرح الطباع فسألهم عن المرحوم ، فأعلموه بأنهم ارسلوه للجبل للتداوي ، وفي الساعة ١٢ إلا ربعاً عربية مساء دخلوا الميدان واستراحوا هنيهة في زقاق البصل ، ثم يمموا وجوههم شطر كفرسوسة حيث اجتمعوا مع احمد غازي وأسرّوا اليه خبر استشهاد المرحوم ، وقرروا جميعاً كتم وفاته ، وبعد أن مكثوا يومين فيها طلبوا من أهل داريا

دراهم فرفضت طلبهم : فهاجموها ليلاً واجتمعوا بحوش من احواشها مع ابي عبدو سكر ، وبعد ان استراحوا جميعاً يمموا وجوههم شطر الغوطة وشهدوا بعد يومين معركة الشبعا .

شلاش في الثورة السورية

ينتمي رمضان شلاش الى عشيرة البوسر أي عشائر دير الزور ، وتخرج في مدرسة العشائر الحربية في فروق (اسطنبول) . واشترك بالثورة العربية وزج به في السجن لتدخله بشؤون تتعلق بالثورة العربية وهاجم دير الزور ودخلها حينما كان بها ضابط ارتباط انجليزي واشترك في معركة تل عفر المشهورة التي كان بطلها الحربي القائد الشجاع جميل بك المدفعي . وبعد نزوح جلالة الملك فيصل نزح للمشرق العربي ، وفي حرب الحجاز اتى للاشتراك بحروبها وطمح في ان يشغل وظيفة كبيرة كقائد لخط الدفاع فلم ينجح ، ولما كان بعمان في مبدأ مجيء سمو الأمير عبدالله ، أراد تجهيز حملة لإثارة دير الزور ، فأتى جرش واشترك معه بعض الضباط فأخفق مسعاه ، وعاد من حيث اتى . ولما شبت نار الثورة السورية وعاد من الحجاز وغادرت انا الحجاز للالتحاق بالثورة صادفني رمضان أمام دكان صديقه في الشارع الهاشمي وقال متهكماً : « الآن ذقت الحروب ، لا حروب جدة ولا النوم في احضان النسوان » . فأجبته سنرى من يكون نائماً في أحضان الغادات الحسان . سافر قبلي بأسبوع الى الجبهة وأرسلت معه موسى برماميت السركسي الذي كان يود الذهاب معي يصحبه عبدالله سبت السركسي العماني ، وبعد اسبوع التحقت بالثورة يصحبني الدكتور الشواف لأني كنت انتظره وانتظر مجيء الدكتور خالد .
كان رمضان طموحاً جداً وموفقاً بدعاياته ، ولكنه لم يكن ذلك الشجاع المقدام لأن الاقدام يتطلب شجاعة خارقة وهذه ميزة يفتقدها .

وصل رمضان الجبل عن طريق سحاب يصحبه موسى وعبدالله من شراكسة عمان ، والتحق به أحد عشر بدوياً من العتيبات ، وكان دليلهم موسى برماميت الشركسي . وبعد يوم وليلة ، وصلوا ذيبين وحلوا ضيوفاً في بيت حاطوم ، وما كادت اقدامه تطأ الجبل حتى هرع الناس للنجدة . فتوجه الى عراى واجتمع بسلطان باشا وكانت معركة المسيفرة دائرة ، فاشترك موسى بها وغنم بندقية ولباساً عسكرياً وسيفاً اهداه

الى شيخ قرية المجدل . ومنها توجه رمضان الى طربة وحل رمضان في طربة ضيفا في دار جارالله بك سلام الذي اتفق معه على ان يذهب هائل بك سلام الى الصفاة لإثارة خلف الغير شيخ عشيرة النعيمات لما بين بني سلام وبين بني البعير من الصداقة ، فاستطاع هائل بك من استمالة خلف بعد ان بقي رمضان شهراً ونصفاً في ضيافتهم ، ومن ثم زحف الى بنثبة بطل اجتماع (شهبا) وإجتمع الى حمد عامر البطل المشهور في طربة وطلب من حمد ٢٠٠ محارب فرساناً . ولما اعلم نجيب عامر السلطة هاجمت الطيارات داره وكان فيها موسى الشركسي وعبد الله سبت الشركسي وفواز (عبد جلالة الملك المغفور له فيصل الأول) فاستشهد عبدالله بشظية من شظايا الطيارة ، وجرح العقيلي . وبعد اسبوع عادت الطيارات وقذفت بيت حمد عامر ، فأصابت البيت وقتلت اشخاصاً . ولكن الثوار رموها فسقطت والقي القبض على الطيارين واحرقت ، ولكن كان سقوطها في قرية اخرى .

رمضان في الغوطة :

تمكن رمضان بفضل دعايته ومجيء نسيب على رأس حملة كبرى من توسيع دائرة دعايته وإثارة النفوس واذكاء الحماس فيها .

زحفت القوة فوصلت الهيجانة ، وكنت وصلت الجبل قبل ان يغادراه . وبعد ان أحرقت السلطة جرمانا اتفق نسيب ورمضان على عقد اجتماع فيها بعد ان استمالا جميع قرى المرج وهما في الهيجانة .

حضر الاجتماع كل من نسيب وشلاش وزيد عامر وقرروا مهاجمة دمشق ، وبيّن نسيب في هذا الاجتماع بأن الدمشقيين مستعدون للاشتراك على ان يكون مركز الهجوم الميدان ، وان يسير رتل آخر من الشاغور بقيادة المرحوم الخراط ، ونقطة الاجتماع سوق الحميدية ، وذلك لمهاجمة القلعة . وعلى اثر فشل مهاجمة دمشق انسحب رمضان للغوطة وقرر مهاجمة دوما .

الهجوم الأول على دوما :

بعد أن تأكد رمضان من حشد قوة الغياث المؤلفة من ١٠٠ هجان و١٠٠ خيال بقيادة شيخ الغياث (خلف الغير) يصحبه هائل بك عامر ، ووصولها الى قرية حران

العواميد في المرج ، تقدمت طلائع جيوشه وعلى رأسها محمد شريف شرف ، وابو نجيب ، وموسى برماميت السركسي من عمان وثائر آخر . وزحفت الفرسان وانقضوا على الجند انقضاض الصاعقة ، فحاصروهم في الثكنة بعد وصول نجدة الغياث الى دوما زاحفة من حران . ولما كانت قوى الغياث في متوسط شارع دوما المقابل للنقطة ، أصلتهم الحامية ناراً جهنمية ، فأسرعوا لمهاجمة السرايا . واحتدم وطيس المعركة نصف ساعة ، تبادل فيها الفريقان قذف القنابل اليدوية ، فتغلب الثوار على الحامية . وفي تلك الآونة وبينما كانت القنابل اليدوية تصم الآذان بانفجاراتها المريعة قتلت فرس جادالله بك سلام وسقطت في باب السرايا وقتلت ايضاً فرس حسن سلام بجانبها ، واحرقت السرايا بزيت الكاز ، ودخل الثوار سرايا دوما عنوة ، واحتلوها وجرح حسن سلام في ظهره وتسلق الجند الأسطحة بالسلالم وغنم الثوار الخيل وعددها ٢٠ رأساً ، واصيب سليمان القلعاني بعينه وفقدها كما جرح علي الغوطاني وجرح ١١ درزياً ، وقتل ١١ جندياً ، وكسرت رجل رجل ديري (مرافق رمضان الخاص) وغنم الثائر موسى السركسي حصاناً أشقر بعد ان ابلى بهذه المعركة بلاء حسناً . وعلى أثر ذلك نفدت نجدات الدبابات وانسحب الثوار ولم يحضر رمضان المعركة (فهو أشبه بنسيب البكري بحروبه) فانسحب الى الهيجانة ، ومنها زحف على ضمير .

الزحف على ضمير

شجاعة موسى محمد برماميت السركسي العمّاني

وصل ابن مختار قرية ضمير وزيّن لشلاش فكرة مهاجمة بلدته ، وبيّن له بأن الأهالي ستناصره ، فلبى طلبه وزحف بسبعين فارساً . وعقب انبلاج الفجر اشتبك مع الجند ، وهاجم موسى الشركسي وأبو شريف جندي الرشاش من فوق الأسطحة ، وتمكن موسى من قتل جندي الرشاش ، وهو على رأس رشاشته ، واستولى على الرشاشة ، بعد ان افرغ بندقيته في رأس الجندي وهذه شجاعة خارقة . وكانت شجاعة موسى وبسالة أبي شريف من عوامل انتصار شلاش . وقذفا بالرشاشة من عل ، وهذا خطأ ، لأنهما سببا تعطيلها ، وكان الأجدر بهما استعمالها . وغنمت عصابة شلاش جميع الهجن ، وقتلوا ما قتلوا من الجند .

سطوع نجم شلاش

نظراً للانتصارات التي احرزها رمضان بفضل فعاليته الجوالة في دوما وفي ضمير ، فقد توافدت عليه الجموع من كلّ حدب وصوب ، فبلغت قواه ٣٠٠ من الفرسان ، و٨٠٠ من المشاة ، وهذه قوة هائلة ، فزحف بهذه القوة لإثارة قرى قلمون ـ جيرود الرحيبة ، وقد مانع أهل الرحيبة وتمترست ، فدخلها الثوار عنوة . ذلك لأن نشوة الظفر لم تزل تلعب في رؤوسهم ، فاحتلوا سرايا جيرود ، ومن ثم دخلوا المعظمية . وزحف بقيادة خلف النعير وهائل بك رعيلة من الفرسان (عشر فرسان) فاحتلوا القطيفة ، وأحرقوا الأوراق الموجودة في الدائرة ، وجمعوا أهل البلدة ، وطلبوا منهم الاندماج في الثورة . دخل هذه القرى كالفاتح وقد أغرى بعض ثوار الدروز بعد زحفه على عين التينة ، ومنهم ابو نجيب شيخ عين التينة وأقنعهم بوجوب مهاجمة معلولة .

الهجوم على معلولة

يعجبني قول عودة ابو تايه « المعتدي خسران »

اتفق بعض شباب الدروز الذين كان هدفهم الكسب مع شيخ عين التينة سرّاً بدون اطلاع شلاش على مهاجمة معلولة ليلاً ، وفعلاً زحفوا عليها واشتبكوا مع سكانها ، وقد اقنع شبان عين التينة أيضاً ورئيسهم محمد شرف ومحمود ابو يحيى وغيرهم بوجوب مهاجمتها من الجبال ، فأبيا وهاجماها نهاراً ، واشتبكوا مع سكانها ودخلوها عنوة ، وتلهّى الثوار بالنهب ، وبما انها محصنة طبيعياً فقد رابط سكانها في الجبال ، وسددوا نيرانهم الى الثوار . واستمرت المعركة من الصباح حتى العصر ، فأسفرت المعركة عن قتل وجرح ٤٨ ثائراً ، منهم ثائران من يبرود و١١ رأساً من الخيل الدرزية ، وأصيب أحمد الخطيب من طربة ووهبي الخطيب وسلامة ابو حجلة ، وقتل ٣٠ فرساً من خيل الثوار كما قتل محمد النعير من نجاد .

اندحرت هذه القوة التي يعد عملها غير مشروع ، وعرّضت الثورة للشك بهجومها وتعديها على معلولة نفرت قلوب ابناء الوطن الواحد من المسيحيين إخواننا في القومية وفي الوطن . وهذه الكارثة في الجبهة الشمالية تعد ككارثة كوكبا إذ زرعت بذرة العداء بين

الثوار والمسيحيين من أبناء عشيرتنا من مسيحيي المهجر والداخل ، وكانت ضربة قاضية لمد يد المعونة لنا في استمرار جهادنا ، ورمضان بريء من هذه الوصمة التاريخية الشائنة ، بل هي عمل فئة من بسطاء الناس اتخذوا الثورة مطية لإشباع اطماعهم وجشعهم القائم على النهب والسلب ، كما تبرىء الثورة منها . وعلى اثر هذه الكارثة اختلفت الآراء وتبلبلت الأفكار ، وانسحبت قوة الدروز الى المرج ، وسار على منهاجهم ثوار جيرود .

أما رمضان فلم ييأس ، فاستصحب ١٦ فارساً ، وهيج أهل قلمون ، واتخذ مركزه البقعة الشمالية ، فأوفد أهل معلولة إليه الخوارنة للمفاوضة ، فتصلّب بآرائه وطلب من القرية غرامة قدرها ٢٥ رأساً من الخيل ، ودية ١١ ثائراً و٥ آلاف جنيه و٧٠ بندقية و١١ بغلاً و٢٠ قنبلة و٤٠٠ صاع من القمح ، وكان عدد القتلى الحقيقي بمعركة معلولة :

٢٨ ثائراً منهم ٣ من ضمير و٥ من جيرود و١١ جريحاً وبدويان و٢٥ رأساً من الخيل .

والذي فتك بهذه القوة رجل أعرج تحصّن في مكان منيع ، وتمكن من دحر الثوار بعد أن دخلوا القرية . ومعلولة موقع حصين لا يقتحم . كان الطمع والجشع الدافعين لهذا الحادث المؤسف الذي يتبرأ منه وجه الثورة الناصع وقادتها المخلصون وكان الأجدر برمضان التروي والتساهل ، وحل هذا الخلاف على طريقة العشائر العادلة ، ولهذا السبب فقد تفشى العداء وتشربته النفوس بين أبناء الوطن الواحد ، واستحكم بين هذه القرى المسيحية وبين الثوار مما أدى الى ارتماء مسيحيي البلاد في أحضان فرنسا ليصبحوا قوة علينا كما سترى في الوقائع المقبلة مع ان شعار الثوار الاساسي « الدين لله والوطن للجميع » .

شلاش في النبك

وصل جمعة سوسق يصحبه ستون محارباً، وزحف مع شلاش على يبرود واجتمعت قواهم مع قوة الخراط وأولاد عكاشة الذين تركوا معارك الغوطة على عاتق محمد عز الدين والعاص .

زحفوا جميعاً على النبك بعد استيلاء الخراط على موسيقة الدير (المدرسة) وفظع أولاد عكاشة وهاجموا الحي المسيحي ، وقتلت امرأة قضاء وقدراً . ولكن تدخّل جمعة اصلح الوضع وبعد مراجعة وجوه البلدة غرموا القرية ٨٠٠ ليرة وعرض الأهالي ٣٠٠ ليرة لاسترداد الموسيقى ، فأبى الخراط اعادتها ، وهذه الأعمال لم تكن تتناسب مع مرامي ثورتنا المقدسة بل تتنافى والغاية السامية التي نهرق دماءنا لأجلها ، لكنه جهل الرؤساء وليست هناك قوة منظمة تردعهم ، ورمضان ليس لديه قوة تأديبية ، وهو بريء من هذه الأعمال المشينة براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

زحفت القوة على النبك ، واحتلت أماكن الجند واعتقلتهم وعددهم ١٣ دركياً بينهم عبد الرؤوف الطاغستاني بن زكريا افندي ، وابن عم الثائر صالح الطاغستاني خال الترمانيني .

الانتصار

اصطدمت قوة الثوار مع القوة التي زحفت من صدد بالمدرعات ، فانتصر الثوار عليها وفتكوا بالجنود وغنموا السيارات ولم يسلم سوى مدرعتي المستشار والقائد كما قتل سبعون سنغالياً ، واسر الضابط بهيج العشي الدمشقي ، وفر القائد اسماعيل بك ، لكن الثوار عفوا عن الضابط واطلقوا سراحه وسراح جنود الدرك وأبقوا على حياتهم .

وهاجم محمد علي الدروبي مع فئة من الثوار مخفر قارة واحتلوه .

وبعد هذه الانتصارات الباهرة ، اختلف شلاش مع الخراط وجمعة ، فانسحب شلاش الى جهات المرج ، والخراط عن طريق قلمون ، مع ان جمعة كان له الحظ الأوفر من الغنيمة من سيارات ورشاشات .

عاقبة شلاش ومصير موسى برماميت

وصل شلاش جيرود! ومنها أتى الى ضمير واستراح فيها ، وفي الساعة التاسعة عربية توجه الى الهيجانة ومعه أربعون فارساً ، ومن ثم قرر الذهاب الى الغوطة ، ولما

وصل بين المرج والغرابية شاهد أشباحاً فأمر رمضان بأن يترجل الثوار عن خيولهم ففعلوا . وإذ أمامهم قوة من المتطوعة . فلما ميزهم الثوار أعلموا شلاش ففر لا يلوي على شيء ، وفر معه ٣٤ خيالاً . وثبت موسى مع ستة فرسان فقتلوا من الجند ١١ فارساً وقتل رفقاء موسى إلا واحداً هو نجيب الدرزي من ام الرمان وكان القتلى ثلاثة دروز وواحداً من عرب النعير .

وتمكن الاثنان من جرح أربعة من الجند ، ولكن عتادهما نفد ولم يبق لدى موسى سوى بندقية واحدة فيها رصاصة لا غير ، فطوقهما الجند ، ولما وجد موسى لا مناص له من الفرار صرخ بالشركسية « تسليم » فتقدم اليه ١٢ فارساً وقادوه أسيراً وأرادوا قتله فمنعهم الضابط .

وأما رمضان فإنه سلم ، واجتمع الينا في زبدين ، ولما رأى بأنه لا يستطيع تسلم القيادة ، اتخذ مركزه في جوار العتيبة والمرج ، وبذل جهوداً كبيرة للم شعثه وجمع قواه فلم يتمكن . فكاتب نسيب كما بيّنا سابقاً حين كنا في سقبا فجاء مختاراً ، فأوغر نسيب صدر الخراط عليه فشلحوه وهرب من سقبا حين ضربتها الطيارات ، ومنها اجتمع بجميل العلواني واتجه نحو الشرق ، فوصل السليمية وحل ضيفاً على الأمراء ، وتدخّل الأمير ميرزا الاسماعيلي في أمر استسلامه فاستسلم للسلطة ، وارسل الى بيروت وصحبه من بلاد حماة محمد علي الدروبي حتى حمص ، وجميل العلواني حتى السليمية ، وهكذا طوى الاستسلام صفحة جهاده الناصعة .

للحقيقة والتاريخ

لا شك بأن شلاش كان موفقاً في حركاته وهو داعية مدهش جداً ، وله طالع حرب ، ولو كان طالعه الحربي يتناسب مع شجاعته لأصبح قائداً للثورة كلها ، ولكنه لم يكن الشجاع المغامر ، بل الداعية والمهيج كنسيب ، لكنه كان بعيداً عن النهب والسلب ، واعتداء نسيب كان فظيعاً جداً على شلاش الذي كان ضحية طموح نسيب وضحية غاياته وفعلة نسيب تعد ضربة قاضية لكرامة الثورة ، مع أن نسيباً لم يقم بربع أعمال شلاش ، واستسلامه حق منه أضاع به شهرته وجهاده ، وكان الأجدر به ان لا يستسلم مهما كانت النتائج . ففي ذمة التاريخ يا رمضان .

من الشجعان المغمورين :
موسى محمد برماميت

شاب شركسي طويل القامة أشقر اللون شجاع باسل . كان اول من عرض نفسه علي للاشتراك بالثورة . رافق شلاش في جميع تحركاته ، ووقع اسيراً كما بيّنا ، وقادته القوة الى دمشق ، وبينما كان بقيادة الجند اصطدم الثوار مع الجند على طريق دوما وعددهم ١٠٠ فارس معهم ٤ مدافع ومصفحات و١٢ طيارة ، فقتل من الجند ٣١ جندياً ، وفرس وضابط افرنسي و٣٦ سنغالياً خلا المغاربة . وهذه المعركة هي احدى المعارك المجهولة .

وصل موسى دمشق وسجن بقلعة غورو في المزة وقرروا اعدامه مع ١٢ ثائراً . لكنه رشا المحافظ بـ ١٨ ليرة ذهباً فأرسله مع دورية الى اذرعات (درعا) ومنها امتطى سيارة قطع بها حدود سوريا ووصل عمان سالماً . لقد كان موسى مثالاً حيّا للشجاعة كما كان محباً للعروبة وقد نجاه الله باعجوبة من تلك المحنة التي كادت تودي بحياته .

* * *

على اثر سفري الى قلمون مع جماعة جمعة سوسق خلت الغوطة من الثوار ، لأن محمد بك اسماعيل واخوانه لم يرق لهم حالة الثوار ، ولم يتمكنوا من فتح باب المفاوضة مع السلطة ، ولذلك نزحوا الى الجبل ففلسطين .

أما العصابات الأخرى فتوزعت . فعصابة الخراط نزحت بعد مقتله الى غربي الغوطة ، وبعد مجيء محمد بك واسناد القيادة لحضرته غادر محمد بك عز الدين مع عصابته الغوطة ، واسدل التاريخ سجفه على دور الغوطة الأول الذي كان انموذجاً للبطولة السورية ، وكانت معارك هذا الدور من اعجب المعارك وكلها سلسلة انتصارات .

هذه المعارك التي وطدت دعائم توسيع الثورة في جميع أدوار الغوطة ، لأن المجاهدين ذاقوا لذة النصر ، والفضل الأعظم يرجع الى أبطال هذا الدور ، وهم

الشجعان من الشباب المتعلم محمد عز الدين ومحرر السطور ونزيه المؤيد وزكي بك الحلبي ومنير الرئيس وابو عبدو سكر وابو فهد الجوبراني .

ومن البواسل الذين خاضوا غمار الحرب في بدئها بالغوطة الخراط وابو عبدو وديب الشيخ وابو فهد الجوبراني ومحمود ابو يحي ومحمود كيوان ورمضان شلاش .

ومن الشباب منير الريس وفائق العسلي وابراهيم صدقي وغيرهم . ومنهم شجعان مغمورون أمثال شفيق السكري والشيخ محمد الفحل والشيخ نديم أبو صلاح العرجا واخوانهم ، ومن الذين كان لهم الفضل في نشر دعاية واسعة النطاق للثورة : نسيب البكري ، وبشير البكري وزكي الدروبي في الدرجة الأولى .

ومن الذين كانت لهم يد بيضاء في بث دعاية مدنية : فائق العسلي وصبري فريد والامير احمد ونسيب شهاب وحكمة العسلي وصبري العسلي وعبد القادر القواص . وهذه الشبيبة اشتركت في المعارك ، وقامت بدعاية واسعة في الصحف وبين القرويين . وهناك اشخاص ورجالات كثيرون داخل دمشق وخارجها كان لهم فضل كبير في بث الدعاية وارسال البرقيات الى اوروبا وافهام العالم المتمدن بأن سوريا ثائرة لأجل الحرية والاستقلال ، ومن هؤلاء من هو في سوريا او فلسطين او الاردن او مصر .

ملحوظة : غاب عن بالي أثناء سرد الوقائع ذكر اسم الشهيد القائمقام العسكري شريف بك الشريف ، الذي كان يترصد العدو في المئذنة يوم دخول الثوار ويترقبه ، فأصابته رصاصة من الجند المرابط في القلعة فقضى نحبه رحمه الله. انظر ترجمة حياته لاحقاً .

ترجمة حياة

توفيق بك الحلبي ابن محمد بك الحلبي

اشترك مع والده في حروب دور الغوطة الأول ، وهو في منتصف العقد الثاني من حياته فجازف بحياته يافعاً . وقد ارسل بعد من الجهاد الى روضة المعارف ، ومن ثم أتم دراسته في الكلية الأمريكية ، فتخرج فيها طبيباً بدرجة عالية ، وفي عام ١٩٣٤ عين بالجبل طبيباً ، وهو الآن يجاهد في ميادين السياسة أقر الله به عين والده المجاهد .

ترجمة حياة

الشهيد القائمقام العسكري شريف بك الشريف

ولد في دمشق في الميدان وأتم دروسه الابتدائية والثانوية في مدارس دمشق العسكرية ودروسه العالية في المدرسة الحربية في فروق ، وتخرج من صف الفرسان وقد شغل وظائف عديدة في الجيش التركي ، وانتسب الى حزب العهد العسكري ، وهو من الرجالات الذين حضروا الاجتماع في بيت الشراباتي وأقروا إعلان الثورة .

لما دخل الثوار دمشق في المرة الأولى ، كان يراقب حركاتهم ويترصد تحركات العدو من شرفة مئذنة الجامع الأموي ، فرماه احد الجنود فأصاب منه مقتلاً ، فاستشهد وذهب ضحية الواجب رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

ترجمة حياة

محمد عز الدين بك

ولد في ام الحارتين عام ١٣٠٥ هـ . ينتمي لأسرة عز الدين الحلبية المشهورة . تلقى علومه الابتدائية في أنقرة وتخرج في مدرسة العشائر العسكرية بفروق عام ١٣١٩ .

الوظائف التي شغلها: كان مرافقاً فخرياً لجلالة السلطان عبد الحميد . وتوظف في لجنة التعميرات ، ثم عضواً في ديوان الحرب المركزي بدمشق ، ثم انتقل الى شعبة التسجيل ، وأوفد الى الآستانة على أثر حوادث سامي باشا ، ووحد جهوده مع رجال الحركة الإصلاحية . واستقال من الجندية على اثر إعدام عمه هزاع بك ، واندمج بسلك الادارة ، فعين مديراً لوادي موسى ثم لعامرة ومتان وملح وسالة . وكان من اعضاء الوفد الذي ارسله جمال الطاغية الى الاستانة عام ١٩١٦ . ومن ثم عين الى العمرانية والحمرة وعين مأمور تشريفات للعشائر . وفي عام ١٩١٨ اعتزل خدمة الدولة . وفي عهد الحكومة الفيصلية عام ١٩١٨ ، عين قائمقاماً في راشيا ، ثم انتقل الى حاصبيا ، وفي عام ١٩٢٠ انتقل الى الزبداني وبعد الاحتلال عين في درعا ثم استقال .

وظائفه في الجبل :

عين مدعياً عاماً ثم انتقل الى مـديريـة العدليـة وتمكن في هذه الآونـة من إقناع المستشار من العفو على سلطان باشا . ولما اعلنت الثورة في تموز سنة ١٩٢٥ سعى لعقد اجتماع التعلة الذي أعلن به قيادة سلطان باشا ، وكان أحد المفاوضين مع ره نو وعقد الهدنة وأظهر في معركة المسيفرة بسالة نادرة ، وكان في حروب الغوطة على رأس عصابات الـدروز من تشرين الأول سنـة ١٩٢٥ حتى شباط سنـة ١٩٢٦ ، وأبدى من ضـروب الشجاعة والجلد ما خلد له ذكراً خالداً ، اذ وحد اعمـاله مـع اخوانـه البواسـل أمثال العاص والمؤيد وزكي الحلبي ومنير وابي عبدو سكر وغيرهم ، وترك دوياً في عالم الثورة بعد ان ابلى بلاء حسناً ، وسجل صفحات بسالة نـاصعة ، وعـلى اثر مجيء محمـد بك اسماعيل غادر الغوطة وتمركز في اللجاة وثبت ثبات الأطواد في حرب السويداء في الجناح الشمالي ، واسندت اليه قيادة منطقة جبل الدروز الشمالية حتى خمود جذوة الثورة . وقد جرح ثلاث مرات في يده اليسرى وفي فخذه وأصيب بشظية مدفع في كتفـه . وثبت في الصفاة حتى عودتي الأخيرة .

ومنها انتقل الى الأزرق ، ومن ثم نزح الى وادي السرحان . كان أبـو توفيق من خيرة الشجعان البواسل ، ومن القادة الذين يشار اليهم بالبنان ، دمث الأخلاق جميـل الخلقة بهي الطلعة ، صموت وهادىء ، ذكي ومتعلم ، يدرك مرامي السياسة ، وهو من الطراز الأول في البسالة والقيادة والإدارة ، أكثر الله من أمثاله .

سجل الخلود

﴿ ولا تحسبنَّ الذين قُتِلوا في سبيلِ الله أمواتاً بـل أحياءٌ عنـدَ ربِّهم يُرْزَقـون ﴾ صدق الله العظيم .

صفحة شهداء الشاغور

حسن الخراط	عبد الكريم الحلبي	حسن حلواني
ابراهيم الطناني	ديب الخزامي	ابو راشد
سليم الحارس	محيي الدين الهابط	خالد اقسامي
عزة حمامية	فخري الخراط	محمد الحسون
توفيق الاسود	راسم الريحاوي	ابو مستو الاغواني (الافغاني)
علي قسومة	جودة الخولى	ولي محمد الاغواني (الافغاني)
صادق اللحام	صالح سبانو	محمد ياسين الاغواني (الافغاني)
حسن الأفندي	رضا الكيال	محمد نوري الاغواني (الأفغاني)
انور الأفندي	سعيد الكجك	غلام بدر الاغواني (الافغاني)
احمد الأفندي	ديب مبارك	اولاد العالوت
نعيم دوباية	احمد الرويس	عبد الرحمن دعاس
ديب الشوا	محمد سنان	جميل البغلي
قعود قرنفلة	حمدي عواطة	علي ابن ابو راشد
ديب القراص	احمد الباشري	ابن الهبول
علي الكردي	ديب الطحان	عبد اللطيف جارة
سالم الحجة	ابو سعيد محمد الوهط	سليمان حلبونة

علي ابن ابو صالح	محمد عوض	محمد عودة
عبد الغني انور	احمد عدليجي	حسن قايل
الشادي محمد القانوني	انور . . .	ابن رعبون
ابو محيي الدين طحتو	محمد شكور	ابو قعود احمد
ابو منعم احمد عبده	سعيد ابن ابي عواد	

السجل الشائن في جبين فرنسا المتمدنة

النهب والسلب تحت ستار الانتداب وتحت نقاب الارشاد

غرامات الغوطة والمرج :

تل مسكن ١٥ بندقية ، الدلبة ٤٠ بندقية ، الهيجانة ٨١ بندقية ، الغزلانية ٧٥ بندقية ، ضمير ١٠٠ بندقية و٥٠٠ ليرة ، ضمير أيضاً ٤٠ بندقية .

غرامة دمشق : ١٠٠ الف ليرة وثلاثة آلاف بندقية ، وذلك في ٢٤ تشرين الأول سنة ١٩٢٥ نقلاً عن (المقطم) ، تدمير الميدان ، تدمير قرية البويضة ، والمليحة ، وجرمانا وحرق قسم من صحنايا والاشرفية .

غرامة عربين : ٢٠٠ ليرة وسجن ٦٠ شخصاً من الأبرياء في ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٢٥ نقلاً عن (المقطم) .

تقدر نكبة جسرين بـ ٦٠ الف ليرة في ٢٥ مارت سنة ٩٢٧ نقلاً عن (المقطم) .

جوبر : ٣٠٠٠ ليرة أخذ مبدئياً ١٠٠٠ ليرة منها .

الافتريس : اعدام سبعة من المستسلمين ، حرق مستشفى الافتريس الإجهاز على عشرين جريحاً .

حكم على عزة السعدي بسنتين وغرامة ١٠٠ ليرة سورية ، ورسمية السعدي بالسجن ثلاثة أشهر و١٠٠ ليرة سورية في ١٣ شباط سنة ١٩٢٧ نقلاً عن (الف باء) .

حماة : ٦٠٠ بندقية و١٨٠٠٠ خرطوشة ، البرازية ٣٥٠ بندقية ، اهل البلد ٢٥ بندقية ، و١٥٠٠ مسدس ، توقيف ٢٧ شخصاً كلهم من الوجوه .

غرامة حمص : ١١٠٠ على المسلمين ، و٧٠٠ على المسيحيين ، وعلى أصحاب العقارات ١٥٣٣ ومن البنادق ٣٦٠ منها ٢٩٠ على المسلمين ، وعلى أسرة الرفاعي ١٥٠٠ ليرة .

القصير : غرامة بيت رعد ٦٠ ألف فرنك ، منها : ٣٥ الف فرنك لعائلة هولمز ٢٦ الف فرنك لبورجه و٢٦ الف فرنك لعائلة اندره dardيل .

منهوبات وخسائر ـ اسرة حسن رعد ـ

نقلاً عن الف باء

تقدر خسائر ومنهوبات هذه الأسرة المنكوبة بـ ١٠٠ الف ليرة ، إذ هدمت السلطة جميع دورهم التي تقدر بـ ٤٠ داراً .

كما وضعت يدها على قراهم واملاكهم كلها ، ونهبت دار عمهم ، إذ كان ما نهب له من صنف السجاد يقدر بـ ١٨ عجلة (عربة) .

وأما منهوبات وخسائر ولده محمود أكبر انجاله فهي كما يلي :

١٥٠٠٠ ليرة ذهب نقداً من الصندوق الذي كسرته السلطة ، ومصاغ وأثاث بيته ويقدر ثمنه بخمسة آلاف جنيه وقيمة الفحم المدخر يقدر بثمانماية جنيه ، وحبوب ، منها ٢٠٠ قنطار قمح ، و٥٠٠ قنطار شعير و١٠٠ قنطار كرسنة و٣٠٠ قنطار ذرة . وأخشاب تقدر بـ ٥٠٠ جنيه ، فيكون المجموع على وجه التقريب ثلاثين الف ليرة .

الثورات تشق للشعوب طريق الحرية وتمهد لها سبيل الاستقلال

الثورات المستقلة

ثورة قطنا

قام بها نـائب وطني صغير الجثة كبير النفس أسمر اللون أبيض السريـرة مقدام جريء ، ومغامر شجاع باسل ، يتّقد وطنية وحمية ، دفعته حميته الدينية ووطنيته الحقة الى عمل قومي سجّل لنفسه به صفحة ناصعة في تاريخ حروب سوريا المقدسـة ، وهو الشجاع احمد بارافي الكردي الباسل ، واليك حقيقة الثورة كما خطها قلم هذا الشجاع بارافي .

بينما كنت قائداً لمخفر قطنا برتبة نائب درك (فرسان) ، كانت الثورة السورية قد استفحل أمرها وتوسعت في الشمال توسعاً هائلاً ، وامتدت جـذورها المتينـة للإقليم . ففي هـذه الآونة العصيبـة ذهب الضابط يـوسف كنعان وأخبـر البعثة ومفتش الشـرطة الافرنسية بأن مؤهلاتي وكفاءتي الشخصية كانتا تمكنانني من القبض على رؤساء الثورة ، واستئصال شأفتهم ، نظراً لشدة صلتي وتماسي معهم ، وما اتمتع به من ثقة لديهم . وعلى أثر عرض الضابط على المفتش هذه الأمور ، فقد طلبني حالاً لمواجهته . فأسرعت لمقابلته يصحبني الجنـدي حسين خسـرف ، فدخلت البعثـة فوجـدت الملازم قـاعـداً بجـانب المستشار ، فقابلني المستشـار بلطف زائد ، ولاطفني مـلاطفة جيـدة جداً ، وسمـح لي بالجلوس ، وقدم لي سيجارة بيده . وهكذا شأن المستعمرين لنيل أغراضهم .

يعـطيك من طـرف اللسـان حـلاوة　　　ويـروغ منـك كـما يـروغ الثعـلب

ثم بدأ بالكلام قائـلاً ما هـو مآلـه : إن الحكومـة الفرنسيـة مسرورة منك جداً وتشكرك شكراً جزيلاً على إخلاصك وتفانيك في سبيل قيـامك بـواجبك ، وهي تقـدر متـاعبك وجهـودك ، وقريبـاً سترقيـك الى أرقى المناصب ، وهي الآن تمنحـك جائـزة خمسماية ليرة عثمانية مع ترقيك لرتبة ملازم أول مباشرة . ونتأمل منك ان تقوم بخدمة جديدة تكلفك بها الآن . فماذا تقول :

فأجبته بأني لا أتأخر عن خدمة فرنسا في كل وقت . ولكن ما هي الخدمة الجديدة التي أكلف بها ؟ فأجاب : نحن نريد منك ان تلقي القبض على زعماء المجاهدين ورؤساء العصابات وأخص بالذكر منهم سعيد عدي الكردي ، وخليل بصلة ، وسعيد الأظن . فجاوبته إن هذا الأمر من الأمور السهلة وأمركم مطاع ، وعلى رأسي وعيني وكان قلبي يغلي حنقاً ويتميز تأثراً من الضابط الخائن يوسف كنعان الذي كان سببا لزجي بهذا المأزق الحرج الذي تأبى نفسي تنفيذه ولا بوجه من الوجوه . ولكني وجدت من أصالة الرأي والحكمة أن اسايره ليمنحني سلطة واسعة وهي ان لي الحق أن أعفو عن أي شخص اريده ، وامرني باستلام الدراهم فرفضت وقلت له : إني أرفض اي مبلغ واني اخدم فرنسا باخلاص بدون مقابل ولا عوض .

فمنحني اجازة ثلاثة ايام فقط لتنفيذ خطة القبض على المجاهدين ، ولكن لهجة المستشار الأخيرة كان يستشم منها رائحة التهديد والوعيد .

تابع كلامه قائلاً اثق بك ، وفرنسا تعتمد عليك ، ولكن اذا لم تفعل كما اقول لك ، فإنك ستندم ولا ينفعك الندم .

فجاوبته بأني سأقوم بالواجب وسأسعى لإلقاء القبض عليهم حالاً .

وبعد ان انهى حديثه ودعته وخرجت مع الجندي وذهبت الى بيتي واقمت فيه ثلاثة ايام ، وبعدها عدت الى البعثة طالباً تمديد المدة الممنوحة نظراً لعدم تمكني من مواجهة الثوار ، فجدد الإجازة خمسة ايام أخر ، مع ان المطلوبين كانوا يوجدون يومياً في بيتي وفي طليعتهم سعيد عدي ، وكنا نتبادل الآراء في مسائل الثورة لكي نكون يداً واحدة ، وقدمت تقريراً للسلطة بأن الثوار نزحوا الى الجبل .

ولكن صباح اليوم الخامس اشتبك الثوار مع الجند وهؤلاء الرؤساء ، فوقعت في واد ، وتمنعت عن الذهاب الى البعثة ، وارسلت من اثق به . وفي الطريق قابلت الجاسوس الضابط كنعان ، عليه لعنة الرحمن ، وهددته بالقتل اذا لم يقنع البعثة بوجوب إعفائي من هذه المهمة ، ويسهّل لي منها أمراً لعودتي الى مقر وظيفتي . وعلى أثر ذلك أجري الإيجاب وأتاني يحمل أمر عودتي لقطنا بدون مواجهتي للمستشار . وما كدت أصل الى قطنا حتى ارسلت خبراً الى محمد شريف الكردي بوجوب مجيئه لمواجهتي ، فحضر

حالاً يصحبه خمسة عشر رجلاً من رجاله ، فأرسلتهم الى (سعسع) لكي يرابطوا للقوة ويكمنوا لها في وعرة سعسع ، وكنت أمد نسيب داود ورجاله بالعتاد حينما كان الحرب في قلعة جندل ، وكنت أهديه الخرطوش (البندق) والبنادق والعتاد وأنواع السلاح .

وبما اني كنت متفقاً واياه على احتـلال قطنـا وأسعى السعي الحثيث لتمهيد طـرق الهجوم ، فقد شعر بحركتي عريف الدرك يوسف عيسى ، فأخبر هذا قائد كتيبتي وقائد اللواء ، وقائد اللواء هو فريد بك مخرّج من مكتب مناستر وخريج سنة ١٣٢٤ رومية ، ومن ضباط الأركان حربية ، ومع أنه ترعرع وشب بمحيط حرية تـركيا فـإنه ينتمي الى اصـل تركي ، ولكنـه ترعـرع في بلاد العـرب ، واستعـرب ، ومـع انـه من الضبـاط الأذكياء ، ولكنه مطية استعمـار ، فالعلم لا يفيـد اذا كان رجـاله يفضلون مصـالحهم الخاصة على المصلحة العامة امثال فريد والوف مثـل فريـد ، ولما اطلع فـريد بـك على حقيقة الأمر انتدب زكي افندي الجاجة للتحقيق ، وزكي الجاجة دمشقي الأصل تخرج في من ربية تركيا ضابط .

وقد استحصلت على اجازة مرضية وقد برهن اهل قطنا بأنهم مخلصون كما برهنوا على وطنية صادقة تجاهي . وبعد ان أتم الرئيس زكي الجاجـة تحقيقاتـه عاد الى دمشق فاشلاً بمهمته المؤسسة على خدمة المستعمر والكيد بأبنـاء الوطن ، واستمـر قائـد اللواء والجاجة يسعيان لدى البعثة حتى تمكن فريد الخائن من تعيين زكي الخائن لقطنا ، فبدأ يكيد لي ويستعمل الشدة ، ويشدد المراقبة على حركاتنا وسكناتنا فـاستقر رأي قسم من الجند على الفرار .

فانتهزت هذه الفرصة الثمينة وأرسلت الى نسيب داود بأن يحضر لاحتلال قطنا ، ولكنه لم يفعل ، واحجم عن الزحف وحدثت آنئذ أحاديث بين الضابط صادق المرادي ومحمد سعيد الداري ، فقام زكي بك بأمـر التحقيق السري ، وبعـد ان قمت بواجبي وقدمت له الأوراق كتب عليها :

« ثبت لي بأن جميع الجنود من الأكراد مع الثوار وغـايتهم الالتحاق بهم بتشـويق واغراء احمد بارافي » .

وارسل الأوراق بكتاب خاص الى قائد اللواء ، وقد اطلعني على هذا الأمـر احد

١٦١

اصدقائي . فأرسلت كتاباً على جناح السرعة الى محي الدين اغاقره جولي أحد رؤساء العصابات الملقب بأبي سليمان ، فأرسل الى مجاهدين احدهما يسمى احمد بن حسين خسرف والثاني خالد بن ابي رفاعي . وبعد ان تغدينا سوية ، اخذتهما لدار الحكومة كي يقفا على مداخل الحكومة ومخارجها . وبعد ان اعطيتهما التعليمات اللازمة عادا الى مركز عصابتهما في (سعسع) . واما الجندي المتهم فقد ارسل لدمشق ، وقبل وصوله لقرية عرطوز فر حسب تعليماتي له والتحق بالثوار المرابطين بسعسع ، وبلغهم بوجوب زحفهم على قطنا / ٧ رمضان سنة ١٣٤٤ ، وقطعوا اسلاك الهاتف « التلفون » وعطلوا المواصلات . ونظراً لوجود القائد زكي بك في دار حاكم الصلح صحبة القائم مقام ومدير المال ، فقد اخبره الجندي فرحان بأن اسلاك الهاتف تقطعت والمخابرات بين دمشق والجوار معدومة واستعد لصد هجمة الثوار ، فبعد ان وزعتهما في النقاط اللازمة ، وزعت السبعة العشر جندياً المتفقين معي بين الجنود الخائنين والموالين للسلطة ، وأمرتهم ان يفتكوا بهم حينما يثيرون نيرانهم ضد الثوار . وأما الثوار فقد مكنتهم في أماكن حصينة صالحة للدفاع والهجوم ضمن استحكامات كانت موجودة والتي تشغلها (نحن الجنود) لكي يتمكنوا بسرعة من أسر الجنود او الفتك بهم حين المقاومة . ومن ثم حسب الاشارة المقررة بيني وبين الثوار واخواني فقد اطلقت رصاصة علامة الهجوم ، ولما سألني القائد زكي بك لماذا تطلق هكذا رصاصك ؟ فأجبته لأني لم ار احد من الثوار . مع علمي بأنهم على مقربة مني .

وبعد هذا الكلام مع الرئيس ، ألقى رفقائي القبض على الجنود الموالين بدون أدنى مقاومة ، بالاشتراك مع الثوار ، وبما ان هجوم الثوار كان عنيفاً جداً فقد قتل الرئيس زكي الجاجة ، واحتل الثوار المتاريس ، وزحفت على البلد تحمل راية النصر . وبعد احتلال السرايا اشعلنا النار فيها فغدت ركاماً . وصباحاً أخلينا البلدة خوفاً من أن تطوقنا النجدات ، لأن عدد الثوار لا يتجاوز الخمسة عشر ثائراً فكان مجموعنا قريباً من ثلاثين مجاهداً . واما الجنود النظامية التي اصبحت موالية فعددهم سبعة وثلاثون بقيادة رئيس وملازمين ، ولديهم الوسائل الحربية الكافية . وأما أهل البلد فبقوا على الحياد .

وبعد إخلائنا البلدة لحقتنا الطيارات وقذفتنا بوابل قنابلها ورشاشتها ، ولكن ولله الحمد لم يصب منا ولا فرد بأقل أذى ، ولم تمسنا بسوء. فواصلنا سيرنا حتى قلعة جندل

وضفنا نسيب بك داود ومكثنا فيها خمسة ايام حتى أتى محمود بك كيوان لكي نوحّد حركاتنا مع القوى . توجهنا جميعاً لبيت تيماء ومكثنا فيها يومين فوصل رئيس عصابة الشوافنة أحمد امين وهناك اقسمنا يمين الاتحاد وأخذنا المواثيق على بعضنا وقررنا مهاجمة قطنا مرة ثانية وذلك في ١٧ رمضان سنة ١٣٤٤ .

كانت وجهتنا قطنا وقبل ان نصل اليها بنصف ساعة جرى لي محادثة مع رؤساء الدروز بشأن الثبات وقت الهجوم . وصلنا بساتين قطنا ، ولدى مذاكراتي مع رؤساء الحركة بينت لهم الخطة الهجومية التي يجب علينا أن نسير عليها ، وابقيت الدروز والأكراد خارج البلدة ، واخذت أربعة من مجاهدين عرطوز بعد ان هيأت أدوات التخريب لتخريب الجسر الكائن ضمن البساتين ، فنسفته وعطلت المخابرات ، وذلك بقطع أسلاك الهاتف ، ثم وضعت قسماً من الدروز غربي البلد وقسماً منهم في شمالها وقسماً في الجهة الشرقية ، وتقدمت مع عصابتي (من الاكراد) نحو البلدة ودخلناها .

الترتيبات الداخلية :

أفرزت قسماً من الأكراد ووضعتهم في الجوامع ، قسم منهم أدخلته البيوت الموجود فيها المتطوعون .

وبعد ان اتممت كلّ هذه التدابير اطلقت رصاصة اشارة لفتح النار واطلاقها من عقالها ، فدوّى صوت الرصاص ، فاستيقظ الجنود مذعورين من نومهم ، وركضوا لتنكب السلاح ، واشتعلت أوار الحرب بيننا وبين الجند ، واستمرت المعركة حتى أشرقت الشمس ، ببهاء طلعتها مشعة رؤيتها النورانية كالغادة البارزة من خدرها ملقية جدائلها الذهبية على منكبيها .

ولم تكد الشمس تجري في كبد السماء ، حتى وصلت نجدة دبابات العدو وعددها ثلاث عشرة دبابة وست طيارات ، وبدأت ترمي على الثوار قنابلها وتصوب بنيران رشاشاتها الجهنمية ، فجدد المتطوعون نشاطهم بعد ان كادوا يستسلمون . ولما شاهدت القوة الدرزية تقدم الدبابات وتحلق الطيارات انسحبت واصبح الحرب قائماً على عواتق الأكراد ، واعلمني احد الأكراد بأنه لم يبق سوى قاسم ابن حسن بوحامد من عين الشعراء والشيخ حسين جبر . ونظراً لشدة صولة الجوع ، طلبت من قاسم الذي أتى

بالزاد ، فلم يتمكن من ان يتقرب مني من شدة الرمي ، فقربت نحوه وتناولت من زاده خبزاً وقريشة ، فكنت أتناول لقمة وازدردها وأرمي رصاصة . وارجعت خمسة من ثوار الأكراد طلبوا انسحابنا فصرخت بحامل الراية محمود مخلوط أبو مصطفى وأمرته بالهجوم على البيوت التي يدافع عنها المتطوعون فدخلناها عنوة ، وقتلنا جميع من فيها من المتطوعين ، وفي تلك الآونة اعلمني أبو سليمان القطناوي بأن في دار أم ديب المسيحية احد جنود المتطوعة مختبئاً فحالاً حاصرنا الدار ودخلتها ، ولكن أحمد حسين حسن القى قنبلته على الغرفة التي يقطنها المرحوم محي الدين وقد استشهد محمد حسن بوبي وجرح احمد عبد الغني .

نظراً لقلة عتادنا وخشية من نفاده تماماً ، فقد قررت مغادرة البلدة وإخلاءها حالاً ، وما كدنا ننسحب حتى أصلتنا الطيارات بوابل رصاصها وأمطلتنا بقذائفها حتى وصلنا الى قرية بيت تيما ولم يصب منا سوى ثلاثة بجروح خفيفة ورأسان من الخيل ، ولكن انسحاب الدروز أدى الى قتل ستة عشر شخصاً ، وكان الضابط الجسور الشيخ خطار أبو هرموش من جملتهم .

كيف استشهد الضابط الباسل الشيخ خطار ابو هرموش

عندما القت الطيارات قنابلها على ثوار الدروز ، اصيب الشيخ خطار بفخذه فانطرح على الأرض ، وحينئذ حضر درزي يريد أن يأخذ سلاحه قبل اتمام انفاسه الطاهرة ، فما كان من المرحوم الا وسدد على هذا الشخص بندقيته مهدداً له وقائلاً اذا لم ترجع يا خائن فإني قاتلك ولما شاهد ذلك الجبان تلك الجرأة عاد من حيث اتى . لم يبق من الدروز سوى محمود بك كيوان الذي تغلغل بين بساتين قطنا . فلو وجد من يعتني بأمر انقاذ الشجاع خطار لكان نجا . وذهب ضحية نزيف دمه ولم يعلم عن أمر استشهاده سوى محمود بك كيوان ، اذ هو أخبر احمد بارافي بذلك ، وخطار من الشجعان البواسل ، اشترك بحروب الحجاز ، وحروب الإقليم ، وكان مثالاً حيا للشجاعة العربية تغمده الله برحمته .

ومن ثم غادرت بيت تيما الى بيت سابر وقد دعاني الدروز الى قرية عرنة والى قلعة جندل فرفضت وزحفت على الغوطة .

في اليوم الثاني ذهبت مع رفقائي الأكـراد الى الغوطـة ، ومما يجب تسجيله بمـداد الفخـر ، الأعمال التي قـامت بها نسـاء قطنـا من جلبهن لنا الـزاد والماء تحت هـاطـل الرصاص . ومما يجب تسجيله بمداد اللعنة ، ما قام به شيخ مختار قرية زاكية ، فإنه القى القبض على الجرحى والذين جلبهم محمود مخلوط ، فقررت مهاجمته . ولما شعر بذلـك اطلق سـراحهم . ولما وصلت الى خـان الشيخ ، علمت بـأنهم ذهبوا لقـرية الـطيبة ، فأجمعت ومنها توجهنا للغوطة .

ان خسـائر العـدو في وقائـع قطنـا كانت لا تقـل عن ثمانـين جنديـاً مع ضـابط استخبارات .

حروب الأقاليم الهائلة

المقدمـــة

بقلم الاستاذ الوطني حسني بك الجرباوي
نزيل القدس
باسمه تعالى نبدأ وباسمه نستعين

السلام على الذين أبت نفوسهم الذل أنفة واستكبارا ، وذادوا عن الحياض فنالوا مجداً وفخاراً . ورحم الله أرواح شهدائنا الابرار عناصر العزة ومادة الكرامة .

أما بعد ، فلم أر داعياً ينبه الشعور ولم أسمع صوتاً يستنهض الشعوب لتظفر بحريتها وتنال استقلالها ، لم أر اقوى تأثيراً من قراءة التاريخ ، وخصوصاً تاريخ أبطال الثورات ، والعهد الذي ضحوا فيه أغلى ما ملكوا وأعز ما كسبوا . وليس أصدق قولاً من أقوال من عاصر الزمن ، وشهد بنفسه الوقائع . ولشد ما يصبو المرء لاستقصاء حقائق الأمور وكنهها . فدونكم هذا الكتاب المسطور بدماء القلوب ، وبأقلام الأسنة والعزائم ، فجاء متمماً لحلقات الصفحات الحمراء من تاريخ ثورتكم الجبارة ، التي دوى صوتها من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، ومن مجاهل الشرق الى محاشد الغرب ، فأكبرها السياسيون وعظمها القواد المنصفون .

تصفحوه ، وقد كتبه مؤلفه صديقي القائد الباسل سعيد بك العاص قائد الجبهة الشمالية في الثورة السورية ، فأوضح لكم سبيل المجد ، وهداكم الى مثلكم الأعلى .

فيه تلقون أغلاطاً حربية وسياسية ، دعاكم لتتجنبوها ، وفيه تقرأون دماء قد سالت ، وكراماً قد قضت ، وشباناً وشيباً ونساء قد ضحت في سبيل استقلالكم .

فإليك أيتها الأمة العربية المجاهدة ، الى شيوخك وشبابك ، الى نسائك وأبكارك ، تقدمت هذه الصفحات ، لتكون قبساً يهدي المدلجين ، وذكرى للناشئين . آملين ان ينهلوا من هذا المورد الفياض روح التضحية والجرأة والجهاد . حتى اذا ما صدروا استعدوا للأعداء استعداداً أمروا به في قرآنهم المبين ﴿ **فليقاتلْ في سبيل الله الذين**

١٦٩

يَشْرون الحياةَ الدنيا بالآخرة ومن يقاتلْ في سبيل الله فيقتلْ او يغلبْ فسوف نُؤتيه أجراً عظيما ﴾ .

أشرقي على قومي أيتها الشموس النيرة ، وبددي عنهم غياهب الجهل ، ولا تذريهم في ضلالهم يعمهون ، إذ ليس من العروبة أن ينسى العرب ضحاياهم . إن العروبة أنفة وبطولة . أجل ، وليس من الإسلام أن نبقى خاملين غير منظمين من حيث بقية الأمم تتطور فتتحرر . إن الإسلام إيمان وإباء . .

أبني الجزيرة والجزيرة موطن ... الحكماء والأحرار والأمجاد
اليوم يومكم فلا تتخاذلوا ... واقْضوا على التفريق والإفساد
ودعوا الشقاق ووحّدوا غاياتكم ... إن الشقاق يفتُّ في الأعضاد
ان لم تصونوا حقكم بنفوسكم ... وبهمةٍ وثابةٍ وسَداد
فعليكم ضُربت مذلةُ (خَيبر) ... وعليكم أن تمكثوا برقاد

١ - ٢ - ١٩٣٥ حسنى الجرباوي

الثورة تشق طريق حرية الشعوب وتمهّد لهم سبيل استقلالهم .

المؤلف

١٧٠

الثورات المستقلة

ثورة الاقليم ـ وصف بقاعها

شملت هذه الثورة القرى الواقعة على سفح جبل الشيخ الغربي (حرمون) وسفح جبل (عربي) الشرقي والغربي . ويفصل هذين الجبلين (وادي التيم) الـذي يتراوح عرضه بين (٥٠٠) و٣٠٠٠ متر ، ويمتد من (مجدل عنجر شمالاً ، لغاية حدود حاصبيا جنوباً ، واشتهرت هذه القرى باسم قرى (وادي التيم) .

أمـا القرى الـواقعة عـلى سفح جبـل الشيخ (حـرمون) فهي مـدينة (راشيـا) المشهورة بقلعتها الشهابية وعين عطا وعين حرشة والعقبة وبكيفا وخربة روحة ، وعـين عرب وعيحا وكفر فوق والظهر الأحمر وكفر دنيس وبكاوينطاوحلوة مدوحا وعيتا الفخار وحمارو والصويرة .

وأهم قرى السفح الشرقي لجبل عربي المشرفة على وادي التيم هي مجدل بلهيص وكفر مشكي وكوكب ابو عرب والمحيثة والرفيـد والبيرة والسلطان يعقـوب والقرعـون وبعلول ولالا وجب جنين وكامد اللوز .

ويقطن هذه القرى خليط سنيون ودروز . وهي راشيا وبقعة وبكيفا وعيحا وكفر قوق والظهر الأحمر والمحيثة وعين عطا وعين حرشة .

وأما قريتا ينطا وحلوة فهما درزيتان . وأما القرى التي يقطنها مسيحيـون وسنيون فهي عين عرب وعيتا وجب جنين والقرعون. وبقية القرى كلّها إسلام خلا كفر مشكي فإنها كاثوليكية .

والغاية من هذه المقدمة اطلاع القارىء على ما احتوته هذه القـرى من أصحاب المـذاهب المختلفة ، مـع أن كلهم (عـرب) أقحـاح ، تجمعهم صلة الـدم، ورابـطة الوطن ، واللغة والقومية وصلة الهدف والمطمح الأعلى، وهو الاستقلال . ومطمحنـا في

جهادنا القومي الحكمة الذهبية : وهي « **الدين لله والوطن للجميع** » كما قال الله تعالى : ﴿ **لكم دينُكم ولي دين** ﴾ ﴿ **ولقد كتبنا في الزَّبور من بعدِ الذِّكرِ أنّ الأرضَ يَرِثُها عباديَ الصَّالحون** ﴾ وعباد الله الصالحون هم ابناء الوطن العربي . والأرض هي الوطن المفدى ومن لا أرض له لا وطن له . ولهذا أهرقنا وسنهرق دماءنا في سبيل الاحتفاظ بأرض أوطاننا ، وسنجاهد في سبيل تحريرها وانقاذها من براثن المستعمرين .

اخلاق السكان : اشتهر سكان هذه البقاع بشدة بأسهم وصعوبة مراسهم كما عرفوا بجودهم وتوقد ذكائهم وصفاء وطنيتهم ، وشدة تعلقهم بأمهم سوريا العربية ، ولكن المذاهب علة الشرق ، علة تجزئة البلاد العربية وعلى هذين العنصرين اعتماد الأجنبي في احتلاله .

الاثار العمرانية : هذه المنطقة الجبلية ذات المناخ الجيد على غاية ما يرام من العمران . وذلك من تدفق مغامرات شبيبتها وإقدامهم على الهجرة لأمريكا والأقطار الأخرى سعياً وراء الثراء . وقد نجح الكثير منهم في المهجر . ولم يزل سيل المهاجرة طاغياً . ويقدر عدد من نزح من السكان بالثلث كما خدم شباب هذه البلاد في المهجر قضيتهم السورية اجل خدمة وأعانوا الثورة السورية في أحرج أوقاتها وأدق ظروفها اعظم خدمة ، فضمدوا جراحها الدامية ، وخففوا كثيراً من أعباء احتياجات المنكوبين من أبنائها .

حالة البلاد المعنوية حين نشوب الثورة السورية

غني عن البيان أن الاحتلال أحدث تأثيراً سيئاً في نفوس أبناء سوريا القشاعم الأباة ، وثورة سوريا الأخيرة وما تقدمها من الثورات لم تكن سوى مظهر من مظاهر هذا الاستياء العام الذي استحوذ على النفوس في انحاء سوريا كلها . فقد كان ابناء سوريا في كل صقع ناء وفي كلّ بلد سوري يهتمون بأمر السياسة السورية ويتوقون لمحو وصمة عار ميسلون وتسليم حلب بدون حرب ، والانسحاب من تل كلخ بعد مصادمة عارضية وجمود حوران ، وهم أصحاب الجباه الناصعة ، لأنهم أباة ، والأبي يأنف الضيم ، فكلهم ينتظر سنوح الفرصة ، ويرقب النداء الى الأمام ، لا كما يفعل خونة الوطن من

الاقليميين الجبناء ليستروا جبنهم بتكلمهم باسم الأقليمية ، والسعي لتأمين غاية المستعمرين .

فما بالك ببلاد سلخت من جسم أمها سوريا ، وضمت الى لبنان الماروني ربيب فرنسا ، الذي لاقى منها الظلم والجور والعسف ، من جراء النعرات الدينية التي لم تجد مرتعاً أخصب من لبنان ، وهي علة العلل في تجزئة سوريا واستعبادها ، عدا ما يقاسيه هذا الجبل الأشم من هضم حقوق أبنائه بإقصائهم عن الوظائف ، وجعلهم بقرة حلوبا ، تدر الخيرات على لبنان ، وإثقال كاهل المزارع والعامل بالضرائب الباهظة ، فكانت المناطق التي أُلحقت بلبنان عليها الغرم ولأبناء لبنان وحدهم الغنم . مع ان سكان لبنان لا يدفعون عشر الضرائب ، عدا المشاريع العامة التي هي خاصة بلبنان ، وعدا إذلال النفوس الأبية وترويضها على استساغة الاستعمار ، وقسوة معاملة الموظفين . وهكذا شاءت ارادة غورو ان تقدم الأقضية الأربعة هدية كإهداء الجواري ليعيش لبنان ويموت أبناء هذه المناطق . ولكن هذه الهدية كلفت لبنان ثمناً غالياً ، وستكلف فرنسا في المستقبل اكثر مما كلفتها من نفوس وأموال . وما كادت الثورة تنشب ويتطاير شررها حتى سرى مفعولها في النفوس سريان الكهرباء بالأسلاك ، فنشبت نكاية بغطرسة الموظفين المتعصبين لمارونيتهم ، فكان المتعصب طاهر أبو ملهب مثل (كاربيه) الافرنسي في الجبل ومثل (ميك) الافرنسي في حماة اضطهد الكاثوليكين من السوريين لتمسكهم بقوميتهم ، فأعمالهم مؤسسة على الاضطهاد وهو العامل الوحيد في تعجيل انفجار بركان الثورة في الاقليم ، كما حصل في الجبل وحماة ودمشق .

بوادر الثورة

اعتقال زعيم الاقليم
- كنج أبو صالح -

في ايلول سنة ١٩٢٥ هبطت شرذمة من لصوص السلوط من بدو حوران فسطوا على قرية عين عربة ، واستاقوا مواشيها في رابعة النهار ، فأدخل هذا العمل الشائن الرعب في قلوب السكان ، وخامر نفوس المسيحيين الشك ، فاستنجدوا بالسلطة ، مع أن الثورة بريئة من أعمال هؤلاء السفاحين ، وهم موالون للافرنسيين لأن السلوط كانوا بجانب السلطة طيلة مدة الثورة .

وتعهد المسيحيون بمصاريف الحامية ، فانتهزت السلطة الفرصة وأمدتهم بـ ٢٥٠ جندياً من فرسان المغاربة والافرنسيين . وما كادت اقدام هذه القوة تطأ البلاد حتى غزوا قلعة المجدل الدرزية ، واستاقوا معزها بدون مسوغ مشروع ، فأضاعت السلطة بعملها هذا ثقة الشعب ، إذ اخذت البريء بجريرة اللص ، ففتك بها الدروز ، وبطل هذه الحركات ابو ملهب ، الهبه الله بنار الجحيم . وعلى أثر هذه الحوادث المشؤومة تعددت الاجتماعات وكثرت المؤامرات السرية ، وحدثت بعض حوادث هامة ، وصادف آنئذ ورود كتب سلطان باشا الى أسعد بك العاص والأمير الفاعور ووجوه الأقليم . ووقع قسم كبير منها بيد السلطة ، فاعتقلت زعيم الاقليم ابا صالح على أثر وقوع الكتب بيد المستشار في القنيطرة . والحقيقة أن البعض ممن وردتهم الكتب هم الذين سلموها له يداً بيد . فتذرعت السلطة بشتى الوسائل ، واستمد زعماء الاقليم القوة من سلطان ، فأوفدوا فندي أبا سيف على رأس وفد يمثل شعورهم ويعبر عن غاياتهم السامية واحساساتهم ومراميهم ، لأجل الاندماج في الثورة .

وقد كان لتشويق رئيس الوفد وتحريض فؤاد والعاص على سلطان باشا التأثير الحسن ، كما بينا في مقال استشهاد المرحوم الخراط مفصلاً . فأخذ فؤاد على عاتقه القيام بحركات الاقليم ، وأرسل سلطان باشا شقيقه زيد بك ، والعاص اخذ على عاتقه

توسيع دائرة الثورة في المناطق الشمالية ، وادارة حروب الغوطة من الوجهة العامة . فاتسع نطاق الثورة وانقضّ زيد بك وفؤاد بك وصياح والأمير حسن واخوانهم انقضاض الصاعقة على الاقليم ، وتمكن العاص من توسيع دائرة الثورة حتى البحر الأبيض ، وهدد عروس الساحل طرابلس ، واحتل الجبل الغربي والضنية .

كانت الثورة الشمالية والغربية مثالاً حياً للبطولة العربية الخالدة ، وها نحن الآن ننشر للقراء ثورة الاقليم بأقلام أبطال حروبها المغاوير ، كما نشر المؤلف بقلمه الثوروي حروب الجبل الغربي الشمالي ، وثورة الضنية وفي هذه العجالة نسرد وقائع وادي التيم بأقلام أسعد بك كنج بطل حروب الاقليم وبطل قلعة راشيا نزيه بك وبطل حركاتها الحربية الشهيد الباسل البطل فؤاد بك ، وبقلم الشجاع صبري فريد والطفل الشجاع اسماعيل ونتفاً مقتضبة من مذكرات بطل المزرعة وأحد قواد حركات الاقليم فضل الله بك النجم الاطرش والله يتولى التوفيق .

الوقائع التي تقدمت زحف زيد بك

اطلع القارىء الكريم على ان ثورة الجبل ما كادت تضطرم حتى سرى مفعولها سريان الكهرباء في الأجسام الى الانحاء السورية . وكانت منطقة الاقليم أكثر تأثيراً من غيرها لقرابة الدم وصلة القربى والمذهب التي تربطها بجبل حوران ، (قسم الدروز) ، مع ان صلة المطمح الأسمى وصلة العروبة واللغة وصلة الوطن المشترك كان لها المفعول الأكبر في بقية المناطق ، وخاصة المنطقة الداخلية التي كانت تتمخض بالثورة ، كما تمخضت حماة فولدت شرارة نارية ، وتمخضت دمشق فولدت ثورة الغوطة .

لقد أوفدت هذه المناطق ـ المدن ـ الوفود الى الجبل ، فمن حماة أرسل منير الريس ، ومن حمص ارسل مظهر السباعي ، ومن دمشق ارسل زكي بك الحلبي ـ قائمقام عسكري ، وتوفيق الحلبي وزكي الدروبي قائمقام عسكري ، ومن الاقليم ابو فندي ، وقد ابتلى الله الاقليم بكاربيه ثان هو ابو ملهب الماروني وابتلى حماة بميك .

ولقد كان ابو ملهب متصفاً بالأخلاق الرجعية وبقية من بقايا المتعصبين ، فاهتبل

فرصة ثورة الجبل واتخذها ذريعة للانتقام ، ووسيلة للتشفي من الدروز المسلمين . ولم يتأخر بدافع التعصب عن النيل من كرامة بعض الزعماء من الروم الأرثوذكس من العرب . واعتقدت الحكومة بأنها بمنحه سلطة ادارية واسعة ، ستحول دون انفجار بركان الثورة ، وكان هذا المستبد الغدار يستند على مقام عال في بيروت ويستطيع الحؤول دون نشوب الثورة في راشيا .

ولكن مظالمه وأعماله ونيله من كرامة الزعماء واضطهاده السكان كانت عاملاً قوياً لاستفزاز الشعور ، وإلهاب الحماس والنخوة في رؤوس بني معروف ، وقد ارسلت السلطة قوة كما بيّنا سابقاً على أثر نهب المواشي ، فصادرت مواشي قرية قلعة جندل وباعتها في سوق زحلة علناً ، فأضاعت الحكومة السلطة كما أضاعت الشعب ونزعت روح الاطمئنان من نفسه وزاد في الطين بلة زج زعماء الاقليم من عائلة بيت كنج في اعماق السجون . فتألفت العصابات وبدأت تفتك بالجند ، وتعبث بالأمن ، وذهبت الوفود وهاجم اسعد بك كنج المجدل فاضطرت السلطة لتخدير الأعصاب واخماد الثورة بأن تفتح باب المفاوضة ، فرفض الثوار ذلك ، فحلقت الطيارات واصبحت يومياً تقذف قنابلها وتلقي حممها ، ويختلف عددها بين الست والسبع يومياً . وكانت المارونيات تزغرد لهن ويدعون لهن في المعابد وفي الكنائس .

وصادف ان احدى النسوة كانت تزغرد للطيارة وهي محلقة في سماء القرية موجهة خطابها لها قائلة ، أتت الغزالة (لى لى لى ليش) ، فقذفت الطيارة احدى مراجلها وقتلتها هي ورفيقتها فلاقتا حتفهما وذهبتا ضحية الأم الحنون ، كما جرح رجل آخر بجانبهما .

زيد بك في الغوطة

هبط زيد بك الغوطة وعسكر في الخيارة . فجاءه وفد مؤلف من الميادنة وعلى رأسهم ابو عبده سكر ، وهدفهم الوحيد اقناع زيد بك بعدم مهاجمة دمشق ، لكيلا تتحوّل طلولا دارسة ، وتهدم البقية الباقية من عمرانها . فوعده زيد بك خيراً وبين له خطته وهي الخطة التي تتمشى عليها الثورة أي تحرير سوريا ـ وقد قابلتهم الطيارات ،

فأصابت سالم بك الاطرش ، ومحمود البربور ، ومن ثم انتقل الى بابيلا ، وحل ضيفاً فيها يصحبه جادالله بك ، وصياح بك الحمود واخوانه ، وتوزعوا على البيوت . وضاف قسم منهم ابراهيم الضبع ، وعبدو عاشور ، ومصطفى عريش ، وكان وصولهم في الساعة ٨ ليلاً . وفي الصباح اختبأت القوة في البساتين ، وذلك في اليوم الثامن من ربيع الآخر .

في مساء هذا اليوم وعند الساعة السادسة ليلاً زحفت القوة الى جسر الباردة ، إذ اراد القائد وهيئة اركان حربه ادهاش الافرنسيين بأفعال عظيمة ، فلغم المرحوم فؤاد بك جسر الباردة ، وأصيب فضل الله برجله بنشرة من نشرات الخط ، وعادوا الى بيلدا وبابيلا . وفي الساعة الرابعة ليلاً من اليوم الثاني أي في ٩ ربيع الآخر ، غادرت هذه القوى الغوطة زاحفة على داريا ، فاستولى قسم من القوة على مركز المخابرة ففر الجند منها ، ثم استأنفت الحملة سيرها الى المعظمية فأرض قطنا وكان فيها مفرزة أمطرت الثوار بوابل من رصاص رشاشاتها ، وبما ان الوقت كان ليلاً فلم يعبأ الثوار برصاصها واستمروا في زحفهم حتى (قلعة جندل) .

هناك شاهدوا دخان حريقها المتصاعد يخترق سجف الليل ، إذ كان الثوار قد أحرقوها ثم مالوا الى بقعسم وحلوا ضيوفاً بها .

ولما زحف زيد من بقعسم على حاصبيا ، دخلها دخول الفاتح ، فما كاد ينتصف النهار وجيش الثوار لم يزل في بقعسم حتى أخذت الطيارة ترمي قنابلها ، فأصابت رجلاً من الثوار كسرت يده ، وقضت على حياته .

وفي اليوم الثاني توجهت القوة الى عين السودة ، ومنها الى الشعرة ثم الى عرنة ، فخرج السكان لاستقبال الثوار في العرضات والنخوات حسب العرف والتقاليد ، وكان الحماس على اشده ، فضاقت القرية بالثوار ، ومكثت فيها يومين ، وكانت الطيارة لا تفارقهم ، بل تزورهم يومياً ، وتحلق في سماء معسكرهم ، وتقذفهم بمراجلها . وفي اليوم الثالث زحفت القوة الدرزية متجهة الى مجدل شمس ، وكان قد سبقهم اليها ثوار الدماشقة بأمرة نزيه بك ، فقضوا ليلتهم فيها . وفي اليوم الثاني قذفت طيارة قنابلها فجرحت خليل بصلة بينما كان يستظل بظل شجرة مع بعض اخوانه .

ثورة منطقة الإقليم أو وادي التيم

حين هبطت جبل الدروز واشتركت بحرب رساس بعد ثورة حماة ، انسحبت قوى غاملان القائد العام ، وصادف مجيء وفد الإقليم في اواخر منتصف شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٥ برئاسة فندي ابي سيف يصحبه محمد علي ابو صالح ورجل آخر . وكان قد اوفد هذا الوفد بقرار من وجوه الإقليم وزعمائه كرسل الى سلطان باشا لكي يعلمه بمقررات البلاد وشدة اندفاعها في سبيل الاشتراك في الجهاد . وان ميول الاقليم هو الاشتراك الفعلي في الثورة وشق عصا الطاعة . وكانت السلطة آنئذ قد اتهمت اسعد كنج بأن له ضلعاً في الثورة الدرزية السورية والكتب التي ارسلها سلطان باشا الى اسعد العاص وفرحان سلماها الى المستشار في القنيطرة . فاضطهدت السلطة بعض الأفراد من زعماء هذه العائلة وسجنتهم خمسة عشر يوماً ، كما أن اخبارية وردت من مسيحيي الاقليم للمستشار تؤكد فيها اشتراك محمود كنج في بعض المناوشات التي اشتبك بها ثوار الاقليم مع الجند ، فاضطر اسعد بك كنج الى مغادرة القنيطرة بعد خروجه من السجن ، وبقي شقيقه سجيناً ثم نفي وهو زعيم الاقليم الأوحد .

ونظراً لمجيء الوفد البلاني الى الجبل فقد تفاهمت واياه وبينت فكرتي لزميلي البطل فؤاد بك ، وتذاكرنا معاً قبل اجتماع مردوك على ان نقنع سلطان باشا بوجوب تطبيق الخطة التي اتفقنا عليها مع فؤاد بك ، وهي : بما ان الاقليم قد ثار فعلاً فمن واجبنا تعقّب العدو واحتلال اذرعات ، ليكون طريق الاقليم مفتوحاً بيننا ، ولكن لأسباب أجهلها ، أبى سلطان باشا مطاردة العدو ، واكتفى بابقاء الحالة على ما هي عليه ، أي الاحتفاظ بالوضع الحربي في الجبل فقط .

دارت مناقشة بيننا وبين سلطان باشا في مضافة القرية حضرها جادالله بك الأطرش ، فوافق سلطان مبدئياً على احتلال أذرعات ، ولكن جادالله لم ير لزوما لهذه المجاذفة مبيّناً بأن الوقت لم يحن بعد . وصادف آنئذ ورود كتاب من نسيب بك البكري مطول يذكر فيه تصميمه على مهاجمة دمشق ، وهذا الكتاب استولت عليه السلطة مع اوراقي التي وقع قسم منها في (النبك) وقسم كبير في (بابيلا) . وقد نجح فؤاد بك

بإقناع سلطان باشا بوجوب الزحف على الاقليم . واليك تطور كيفية الزحف .

قرر سلطان باشا مبدئياً عقد اجتماع في قرية مردوك ، وعززه باجتماع ثان عقده في (شقا) ، وكنا في الجبل ، ولكننا لم نحضر هذه الاجتماعات ، إلا أن فندي واخوانه حضروا هذه الاجتماعات ، ولا اعلم شيئاً عن مقرراتها . ولما وصلنا (شقا) كان سلطان باشا يتغدى فتغدينا معه . وعقب انقضاء النصف الأول من شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٥ ذهبنا الى خلخلة وكتبنا تقريرنا المشترك بتوقيعي وتوقيع الشهيد فؤاد بك وزكي بك الدروبي . وكان يرافق فؤاد بك شقيقه نصري بك .

أخذ البطل فؤاد بك على عاتقه القيام بأعباء حركات الإقليم الحربية وأنا أخذت على عاتقي القيام بأعباء حروب الغوطة في ٦ تشرين الأول سنة ١٩٢٥ ، لأن الثورة بوضعها الحالي لا تأتي بالفائدة المطلوبة ، ولا شك أن صورة التقرير محفوظة لدى سلطان باشا ، ومن المعلوم ان الحرب اذا بقيت منحصرة في الجبل فإن أمدها لا يطول ، وان خطة نسيب ستبوء بالفشل . وقد تناول التقرير في ابحاثه وجوب توسيع نطاق الثورة وإثارة الإقليم ووجوب احتلال أذرعات وبيّنا فشل حركة نسيب قبل عودته .

بعد أن تمكن فؤاد بك من اقناع سلطان باشا وإقرار الرؤساء باجتماعاتهم تنفيذ الخطة ، طلب فندي بأن يكون على رأس الحملة احد اخوان الباشا ، فأسندت القيادة الى زيد بك الأطرش وهيئة اركان الحملة كما يلي :

زيد بك وفؤاد بك سليم وصياح بك والامير حسن فضل الله . وأشهر رجالاتها :

نزيه بك المؤيد وحمزة الدرويش وجاد بك الأطرش وسليمان بك الاطرش، وزكي بك الدروبي ، ونصري بك سليم وسعيد اليماني .

ومن الدمشقيين :

أبو تركي وسرحان اغا وصبري افندي وفريد البدوي وخليل بصلة وسعيد الأطن وحميد من قبر عائكة .

أما الفوائد التي تجنيها الثورة من احتلال اذرعات واثارة الاقليم فهي التالية :

١ ـ إثارة حوران .

٢ ـ تأمين المواصلة والارتباط الحربي بين قرى الجبل والغوطة والإقليم .

٣ ـ قطع مواصلات الحاميات في بصرى وفي حوران .

٤ ـ السيطرة على خط دمشق ـ المدينة ـ وخط دمشق ـ حوران .

٥ ـ تهديد قوات العدو .

٦ ـ فتح ابواب دمشق وتخلي عشائر اللجاة عن موالاة الافرنسيين .

٧ ـ إثارة عرب الفضل وسكان القنيطرة ، وتهديد لبنان واثارة جبل عامل ، هذا ما كنا نرمي اليه من احتلال اذرعات ، ولكن ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه .

مقررات القواد في مجدل شمس

تقرر بين قواد القوى وزعماء الإقليم وعلى رأسهم اسعد بك كنج احتلال القنيطرة ، واشترك بهذا الرأي شيوخ مع أنه كان من خططهم الأساسية الزحف على ميسلون ، وفكرة الزحف على ميسلون من بنات أفكار الشهيد فؤاد بك سليم .

وقبل أن أسرد الحوادث سأبيّن للقراء مدى فائدة الزحف على ميسلون ـ

من المعلوم أن شريان السلطة بدمشق مربوط ببيروت ، وأن خطوط دمشق ـ بيروت ـ بيروت ـ حلب ـ حلب ـ دمشق هي شرايين القوى المحتشدة والتي ستحشد بدمشق وبالمنطقة الشمالية كلها ، وهو عرق حياة السلطة النابض . فلو تمكن الثوار من تعطيله نهائياً لكانوا جردوا سوريا من لبنان وقطعوا صلة النجدات المتدفقة على قلب سوريا ، وسيصبح سقوط دمشق نهائياً بيد الثوار سهلاً ، ولكن حركة حمزة الدرويش في كوكبا أفسدت على الثوار خططهم . ولنعد الى البحث .

زحف الثوار الى المجدل ونشروا راية مجدها ومهوى أملهم ومطمح افئدة شبانهم وشيبهم وكهولهم وشيوخهم فوق قمة يداعبها النسيم مداعبة الحبيب لحبيبته ، فترسل مع الأثير عبير مجد أمية ، وبطولة ابن الوليد ، لتبعث بالنفوس روح البطولة ، وتستفزّ العزائم بالراية العربية ذات الأربعة الألوان الأسود وهو رمز راية العباسيين وأما اللون الأبيض فيرمز الى مجد أمية المندثر ، وهي الراية التي كانت تخضع لعظمة بطولتها ثلثا

١٨١

المعمورة ، وقد خفقت على شواهق الصين والسند وجبال الأطلس شرقاً وغرباً وجنوباً على شواطىء البحر الهندي وعلى اسوار القسطنطينية وعلى ابواب بواتيه شمالاً وغرباً وعلى شواطىء البحر الهندي جنوباً .

واما اللون الأخضر فرمز الحياة الجديدة ولون راية الفاطميين ورمز النيل الباسم . وأما اللون الأحمر فلون الثورة ولون الحياة الجديدة في الأندلس إبّان مجدها ورمز الثورة العربية الكبرى ، ولون دم ابطال سوريا الغر الميامين ، ولون راية الملوك من الاشراف في المغرب الأقصى .

بيض صنائعنا سود وقائعنا   خضر مرابعنا حمر مواضينا

فهذه الراية هي راية مجدك أيها العربي ، فزين بها صدرك ، واطبعها على صفحات قلبك . واسع لتحقيق مجدها المندثر .

ما أبدع زحف هذه الجيوش المؤلفة من أبطال شباب أمية وأشاوس بني معروف وقد وحدت أعمالهم وحدة رايتهم .

ولما زحف الثوار على المجدل أعلم بنو معروف سكانها بتقدمهم ، فخرجوا لاستقبالهم والتمتع بعلم مجدهم وقدموا عراضاتهم المشهورة التي تدفع الأبطال الى احتساء كاس الموت الزؤام احتساء مدمن الخمرة كأسه او استقبال المحب حبيبته بصدور رحبة وثغور باسمة .

وعرضة بني معروف من أبدع العرضات ، تثير في النفوس روح الحماس ، وتولّد في الأفئدة شعار الاستبسال في سبيل الذود عن حياض الوطن وافتدائه بالمهج .

العرض

يقف أبطال بني معروف كالبنيان المرصوص متلاصقين جنباً لجنب مدججين بالسلاح ، يهزجون انشودة البطولة ، وينتخون بنخوات الحماس المعروفة لديهم ، وكلما مر رجل من المقدمين ينتخي أمام كل فرد من المستقبلين قائلاً : « لعينيك » ، إما مطلقا رصاصة بالفضاء ، أو شاهراً سيفه او خنجره قائلاً : « ياما عندكم يا ربعنا » . ما أجمله

من منظر ينعش الروح والفؤاد. ان عرض جيوش البطولة أشد حماساً من عرض الجيوش المنظمة ، لأن روح الحماس هنا اسمى ، ولو كانت الأبّهة في الأول أكبر .

القى المجاهدون عصا تسيارهم في مجدل شمس في أوائل منتصف الشهر الأول من اكتوبر ، أي يوم ٧ منه تقريباً عام ١٩٢٥ . بدأت جموع المسلمين تتقاطر للسلام على زعماء القوة من الدروز والسنيين من كل حدب وصوب ، منهم عشائر الفضل والجولان والعرقوب ، وكلّهم يفصح عن استعدادهم لمكافحة المستعمر . وبذل النفس والنفيس في سبيل انقاذ الوطن وتحريره ، والأبدع من هذا كله أن أسعد بك العاص حينما فاتح مستشار القنيطرة واستمزج رأيه فيما اذا اقدم الثوار على ضيافته فماذا يجب ان يفعل تجاههم ، فأجابه بداهة : « ضيفهم لأني لا استطيع حتى الفرار ولا المقاومة » .

هنا يتبين لك ايها القارىء ضعف قوى العدو والحاميات في الاقليم آنئذ . وتتلخص خطة فؤاد بك فيما يلي :

تعطيل خط دمشق ـ بيروت ، وتعطيل المواصلات بين الشمال والغرب والجنوب .

٢ ـ تجريد دمشق من النجدات .

٣ ـ بعد القيام بهذه المهمة الزحف على صيدا وإثارة جبل عامل . وهذه الفكرة السامية لها فوائد عديدة ، **أولاً** : التحكم بالساحل ، وتهديد لبنان ، واثارة الشوافنة من الدروز . **ثانياً** : دمج عناصر جديدة في الثورة وهي عناصر جبل عامل الباسلة التي سجلت صفحات خالدة في ثورتها الأولى وضربت الأمثال بشجاعتها فتصبح ابواب بيروت مفتوحة أمامهم .

وأما الزحف على القنيطرة فقد يسفر عن اخطاء لا يمكن اجتنابها وأحقاد تصبح متوارثة ، وهي حدوث أمور غير طبيعية من نهب وسلب ، وهذا امر يؤدي الى تحكم الضغائن بالنفوس بين أبناء الوطن الواحد .

ولهذا كان العمل بقرار فؤاد بك السديد أجدى نفعاً للمصلحة ولاستمرار الثورة ، ولو نفذت خطة فؤاد بك لما سقط الإقليم مطلقاً ، ولا خمدت نيران الثورة المتأججة ، ولكن هي الأهواء تفعل ما تشاء .

واني واثق من ترسخ فكرة مهاجمة القنيطرة بأدمغة الكثير من الجهال لما بين الدروز وبين الشراكسة من أحقاد متأصلة في الاقليم ، وزاد في الطين بلة اندماج بعض الأفاقين من النفعيين من الشراكسة الذين اتوا البلاد من اليونان ، فكانوا نعم الأنصار للافرنسيين ، وأشد وطأة من المستعمر على الوطن .

المقررات التي نفذت فوراً :

١ ـ ترسل مفرزة بإمرة فؤاد بك يصحبه شاهين أو فخر وابو يوسف مفرج لنسف جسر الرقاد .

٢ ـ ارسال مفرزة أخرى بقيادة حمزة الدرويش يصحبه شباب من الطرشان لتعطيل المواصلات الجنوبية ومناوشة قوة حاصبيا .

وعلى اثر هذه المقررات ذهب البطل الشهيد دماغ الحركة المفكر ومثال الشجاعة الخالدة فؤاد بك سليم يصحبه شقيقه الشجاع الوفي نصري بك سليم ، والشهيد الباسل الملازم سعيد اليماني وبعض من أفراد عصابته لنسف جسر الرقاد . وعلى مشهد من القوة وبالقرب من مركز الخفر من الشراكسة قامت هذه الفئة بعملية النسف وكانت الأحجار تتطاير كذرات الغبار المتناثر ، ولم تأت القوة بأدنى حركة .

ـ وأما حمزة الدرويش فقد تسلق الجبل وتمكن من دخول حاصبيا بدون أن يصدف أدنى مقاومة ، واذ ذاك وردت على مقر القيادة بشرى دخوله حاصبيا سلمياً ، فارتفعت معالم الزينة وقابل السكان دخولهم بحفاوة فائقة ، وذلك في اليوم السابع من شهر نوفمبر عام ـ ١٩٢٥ .

وأدب زعيم المسيحيين نسيب بك غبريل في حاصبيا مأدبة فاخرة ووليمة عظيمة للثوار تناقلتها الألسن في طول البلاد وعرضها . وبالنظر لما ابداه نسيب بك من الاخلاص فقد اسندت اليه قيادة الثورة منصب قائم مقامية حاصبيا ، وأصبح مرجع الجميع ، وبدأت تتوافد الوفود عليه ويتقاطر المهنئون من كل حدب وصوب ، وفي طليعتهم شيوخ العرب والعرقوب ، وشيوخ عشائر الفضل ، والجولان ، وكلهم يظهر

شعوره ويفصح عن استعداده لمكافحة العدو ومنازلته ، وانهم سيبذلون النفس والنفيس في سبيل انقاذ البلاد وتحريرها من براثن الاستعمار .

حامية حاصبيا ومصيرها

كانت حامية حاصبيا ضئيلة جداً وعاجزة عن مقاومة الثوار ، ولما شعرت بأن الزحف واقع لا محالة اعتصمت في المباني الدينية وأهمها « خلوة البياضة » مقر عبادة الدروز المقدسة ، محتمية بحمى شيخ الطائفة الدرزية الشيخ حسين قيس ، ورجوه بأن يحميهم من مهاجمة الثوار ، على ان يتعهد بعدم تجريدهم من اسلحتهم وتأمينهم على أرواحهم . وتجاه خدمته هذه فسيتعهد الكابتين ديللوز بحماية قريته من مهاجمات أسراب الطيارات ، وقد اخلت الحملة القرية وفقاً للشروط الآنفة حينما شعرت باقتراب القوة التي يقودها حمزة الدرويش . فبينما كانت القوة تنسحب كانت الوفود تستعد لاستقبال الثوار الزاحفة لاحتلال حاصبيا ، ولكن حمزة بك الذي اصبح على مقربة من ابواب البلدة اعلم زيد بوجوب نجدته قبل دخولها ، فهب لنجدته البطل المقدام والشجاع الباسل نزيه بك المؤيد تصحبه عصابته ، ولم يتخلف منهم سوى خليل بصلة لعدم التئام جرحه ، وتوجه مع شكيب وهاب ونصري بك سليم وسعيد افندي اليماني كما ان حسن القنطار وأسد بك الاطرش وفرحان بك العبدالله اوفدوا الى قرية « الشبعا » ليدمجوا رئيسها السيد احمد الخطيب خال البطل احمد بك مريود في الثورة. فهرع السكان [illegible]
تلقوها بكل رحابة صدر ، وقبلوها بكل طيبة خاطر . ووفد رؤساء العرقوب يحيونهم وكانوا موضع احترام الجميع .

أما قرى العرقوب فهي الشبعا ، كفر حمام ، الهبارية ، كفر شوبا ، والشبعا مقر هذه القرى ، وقد اشتهرت هذه القرى ببسالة سكانها وقوة شكيمتهم كما كان لهذه القرى شأن عظيم في عهد جلالة الملك فيصل ، ولها خدمات جلى إبان ثورة الفاعور الأولى فسجلت بذلك صفحة ناصعة في تاريخ الجهاد القومي .

دخول الثوار حاصبيا

دخلت طلائع الثوار حاصبيا سلما يوم ٩ نوفمبر عام ١٩٢٥ مساء بينما كانت الشمس ترمي حزمات اشعتها المتضائلة الصفراء الممتزجة باللون الناري على قمة جبل حرمون ـ الشيخ ـ المكتسية بالثلج الأبيض الناصع الذي ألهب هامته شيباً لا يغادره مدى الدهور . إنه الطود المشمخر المتمرد على عواصف الدهور الذي شاهد عظمة بني أمية وبني العباس ورأى اندحار جيوش الصليبيين أمام جيوش صلاح الدين .

كما اتاح الدهر له أن يشاهد دولة المماليك من الشراكسة ، واندحار الملك قانصاغوري الشركسي في مرج دابق امام جيوش ياووز ، ودفاع البطل طومانباي . كما مرت من امامه جيوش ابراهيم باشا الظافرة زاحفة نحو الأناضول . كما شاهد اخيراً جيوش الترك المندحرة امام جيوش الملك فيصل العربية . وكانت قمته تتمتع بمشاهدة بطولة ابناء سوريا في الغوطة وفي حوران . وما كاد الليل يسدل سجوفه وتزحف كتائبه السوداء حتى كانت بقية جيوش المجاهدين تتسلق سفوحه الخلابة وتصل قوى زيد بك الاطرش يصحبه ابطال حملته ورؤساؤها . وقد اصدرت السلطة في ١٣ منه بلاغاً رسمياً تعترف فيه بانسحاب حاميتها .

صورة المنشور
الذي اذاعه زيد الاطرش على النصارى
« الدين لله والوطن للجميع »

الى اخواننا المسيحيين في قضائي حاصبيا وراشيا المحترمين اعزهم الله .

بلغنا من الوطنيين الأعزاء أن بعضكم داخلهم خشية من وجود الحملة الوطنية في جوارهم فأخذوا ينزحون توهماً منهم ان الثورة الوطنية قد تصيبهم بأذى ، فساءنا هذا الخبر وآلمنا جد الألم ، أولاً ، لأنهم اخوان لنا لا فرق بينهم وبين أي كان من الطوائف الأخرى ، وثانياً لأن عملهم هذا يؤذي شعورنا لما فيه من عدم الثقة بما اسلفناه من البينات التي أوضحنا فيها حقيقة الثورة الوطنية . ولقد اضطررنا بسبب موقفكم هذا الى

مخاطبتكم بصفتكم الطائفية ، على حين اننا لم نفعل ذلك من قبل تنزيهاً للثورة الوطنية من شوائب النزعات البعيدة عن الروح القومية ، ولكننا رأينا بعض الساذجين لم يدركوا الاغراض النبيلة التي ترمي اليها ثورتنا هذه فأسرعنا ببيانها على هذه الصورة تطميناً لهم ، واننا نرجو ان نثبت لكم عن قريب أن المبدأ الرئيسي الذي تستند عليه حركتنا القومية هو ما صدرنا به هذا الكلام « **الدين لله والوطن للجميع** » .

زيد الأطرش

اجتماع سري في حاصبيا

قبل وصول زيد بك حاصبيا عقدت جلسة في بيت نسيب بك قوامها نزيه بك المؤيد وحمزة بك الدرويش ونسيب بك غبريل وأديب بك قطيط وصبري فريد . قرروا فيها ما يأتي :

حفظاً لموقع حاصبيا ولما له من المكانة العسكرية ، يجب قبل كل شيء احتلال قرية مرجعيون ، على ان يوفد اليها وفد من الوجوه صباحاً مؤلف من اسقف كوكبا ومطران حاصبيا ونسيب بك وأديب قطيط .

فإذا وجدوا بأن القوة لم تزل معسكرة ، يشيعون بأنهم جاءوا فراراً من نقمة سيف الثوار ، واذا كانت البلدة خالية من الجند ، يتذرعون بشتى وسائل النصح ، ويدعون الوجهاء للتفاهم مع رؤساء الثوار للتسليم والعدول عن فكرة المقاومة كما فعلت حاصبيا ، ويعلمونهم بأنهم لم يأتوا إلا رسل سلام حقنا للدماء ، فإذا اخفقوا بمسعاهم تصبح الكلمة الأخيرة آنئذ للسيف ، وستزحف القوة الثائرة لاحتلالها عنوة . وبعد وصول زيد بك، اضيف الى المواد الآنفة مادة أخرى وذلك يوم ١٠ جمادي الأولى الموافق ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ ، وهي تأميناً لتوطيد دعائم الأمن أسندت الشؤون الخاصة بالأمن الى المجاهد الشجاع فضل الله بك الأطرش .

وقد أثارت المقررات الأولى ضجة بين رؤساء الحركة من الطرشان كان لها صداها ، اذ كيف يأخذ حمزة الدرويش على عاتقه تبعة هذا الهجوم بدون مراجعة زعماء الحركة . فسعى نزيه بك لاقناعهم لافتاً نظرهم الى ضيق الوقت ، وكان يصحبه صبري

أفندي فريد ، ولكنهم اصروا على رأيهم إلا أنه لما امتطى الثوار خيولهم كانوا في الطليعة احتراماً لرأي اخوانهم ، فبارك الله فيهم وهكذا يكون التباعد عن الأنانية لأننا كلنا جنود لهذا الوطن .

الوسائل التي تذرّع بها المجاهدون قبل احتلال مرجعيون

أولاً استشارة شيخ الديانة والسعي لاستمالته ودمجه في نطاق الثورة لما له من التأثير الديني على السواد الأعظم ، وذلك بإشارة من نسيب بك غبريل لوقوفه على الحالة الروحية وإلمامه بعادات البلاد وتقاليدهم المذهبية . فذهب البطل الشجاع نزيه وصحبه السيد صبري وتناقشا معه بشأن اشتراكه فعلاً في الجهاد ـ ولكن الشيخ لم تلن قناته ، ولا أمكن استمالته رغم جدال وحوار استمرا ساعة تماماً . ولما لم يحصلا منه على نتيجة ، قطعا الأمل من معونته الفعلية . وهنا لا بد من الاشارة الى امر هام وهو أن إسناد وظائف توطيد الأمن الى فضل الله بك والإشراف عليه كان له الوقع الحسن ، وكان ذلك باقتراح وتبادل آراء القواد ومقررات اقرها البطل فؤاد ، واشترك بقبولها كل من الشجعان رؤساء الحركة زيد بك وصياح بك الحمود على أن يكون بإمرته ١٠٠ محارب .

اقدام حمزة الدرويش على النهب

اقدم حمزة الدرويش على نهب مدخر ملابس الجند ، ووزع ما يحتويه من الألبسة على رجاله الأخصاء ، دون بقية المجاهدين . فأثار عمله هذا ضجة كبرى بين أوساط الثوار ، وامتعاضاً في نفوس قواد الحركة ، كما اثار عاصفة شديدة من النفور والاستياء بين بقية الرؤساء والمجاهدين . ولما شعر بذلك بدأ يلاطف من يهمهم الأمر ، ويطيب خواطرهم ، ويسعى لتلافي الأمر ودرء خطر عمله المجحف بحقوق اخوانه وغيرهم ، حتى تمكن العقلاء من التغلب على عواطف البقية ، ورضوخهم لتنفيذ مقررات الزحف .

وصل زيد بك واخوانه ونشر منشوره قبل زحفه على حاصبيا وراشيا ، وقد ذكرناه

في الصفحات السابقة ، وهنا لا بد من أن نبين قواعد الغنم المتفق عليها بعرف الثوار . وبالنظر لما قام به حمزة الدرويش من ضروب الفوضى ، والتجاوزات من هذا الطراز كانت كثيرة . فممدوح عامر وشبلي عز الدين واضرابهم ، كانوا من هذا الطراز ، ولكن يمتاز حمزة عن تلك النماذج البشرية النهّابة بشجاعته ، وايثار جماعته الخاصة على غيرهم .

كان من واجب حمزة الاحتفاظ بالمستودع حتى وصول هيئة القيادة ، لأن هذا المغنم حق عام ولكل مجاهد الحق في ان يأخذ نصيبه منه ، وللقيادة الحق بوضع يدها عليه لتوزيع ما فيه حسب الاحتياج ، لأن الأموال العامة والغنم العام من الأموال ومؤونة وكسوة وذخائر للجميع لا للفرد ولا لعصابة خاصة ، وأما في ميادين القتال فالذي يكسب شيئاً فهو له .

وبما ان عمل حمزة خروج على نظام الثورة والأصح تقاليدها ، لأن النظام كان كالعنقاء اسماً بلا مسمى ، فقد كان من واجب القيادة تأديبه حفظا للنظام بل للتقاليد المتبعة .

وقد أحدثت مسألة الزحف تشتتاً في الآراء . فالبعض يرجح الزحف على مرجعيون والبعض يرى بأن الزحف على راشيا أوفق لسير مجرى الحركات . ولكن المقررات تنص على وجوب الزحف على مرجعيون ، وهذه نسمة من نسمات التصادم بالآراء التي كانت تهب حينا بعد حين ، كلما أراد القوم اتخاذ قرار .

وفي اليوم الثاني من احتلال حاصبيا ، واحتراماً لمقررات الرؤساء الذين ذكرنا اسماءهم واشترك معهم بالرأي كل من شكيب بك وهاب ونزيه بك وسعيد اليماني ونصري بك سليم وصبري فريد وجميع قادة الطليعة مع وجوه البلاد ، غير ان رأي السيد أديب قطليط كان في تجنب الصدام حين الزحف مع اهل كوكبا لعلمه بوعورة بقاع كوكبا ومناعة مواقعها ، ورداءة مسالكها ، وارتباط سكانها بالأم الحنون مع وثوقه بعجزهم عن مقاومة الثوار . وعلاوة على ما بينه قال :

متى تمكن الثوار من احتلال مرجعيون ، فأؤكد لكم بأني أستطيع ان اجلب اهل كوكبا منقادين طائعين ، وقد أعلم بذلك حمزة ونزيهاً .

ولما غادرت القوة شيعها السكان بحماس لا يفوقه حماس ، وهرعوا اطفالاً ونساء لمشاهدة منظر البطولة ، وقد بلغت القوة الزاحفة ما يـربو عـلى الألف وعهدت اعمـال الاستطلاع الى السيد صبري لتجنب الاصطدام مـع اهل كـوكبا عمـلاً باقتـراح اديب افندي قطيط .

وما كادت القوة الاستطلاعية تصل الى تل الأحمر ، مدخل كـوكبا ، حتى شـاهد صبري افندي سيارة تقل حمزة الدرويش يرافقه الخوري ، ولما سأله الى اين الـوجهة ، فأجاب الى كوكبا ، فتطيّر وتشاءم ورأى بأن النكبة لا محالة واقعة . فسعى السيد صبري لتدارك الخطر قبل استفحاله ، والوقوف أمام الشر قبل اندلاعه ، والبلاء قبل تفاقمه . فتوجه نحو حمزة لايقافه وصده عن مهاجمة كوكبا قبل دخولها ، ولكنه ما كاد يقرب البلدة حتى وجد نفسه امـام الأهلين الذين بـدأوا يفتحون النـار ، فاضـطر المجاهـدون وعلى رأسهم شكيب بك وهاب ونزيه المؤيد للردّ ثم تقدم بعدهما حمد صعب وصبري افندي فهاجموا القرية .

وقبل ان نخوض في تفاصيل المعركة ، فلنصغ لأقوال الـولد الثـائر اسمـاعيل ، الذي رافق حمزة الدرويش ، وهو على جناح السيارة : « كنت ممتطيـا السيارة التي تقـل حمزة الدرويش ، يرافقني حميد من قبـر عاتكـة ، وبجانبنـا الخوري المـوفد الى جـديدة مرجعيون ، واذ بأهالي كوكبا قد تحصنوا فوق السطوح ، وامطرونا بوابل رصاصهم ، ولما شاهد حمزة اشار الى الجيش بالزحف » .

وكوكبا قرية كائنة على قمة جبل ، تفصل بينهـا وبين الـطريق العام كـروم عنب وزيتون ، والمسافة بين حمزة وبين القرية كيلو متر واحد ، فانحرفوا الى الكروم وفتحـوا النار بشدة ، وتمكن الثـوار من اخراجهم خـارج القريـة ، وزحفت القوة نحـو القريـة ودخلتها وقد اصيب الخوري من رصاص المدافعين برصاصـة وهو بجـانب حمزة وقضى نحبه ، فكان من الذين ذهبوا ضحية الواجب القومي ، تغمده الله برحمته وأسبـغ عليه غفرانه .

احتل الثوار البلدة بفضل شجاعة شكيب وبسالة نزيه واخوانهم في مدة لا تتجاوز عشر دقائق . وركن المدافعون الى الفرار لا يلوون على شيء ، وكانت سـاعة من أروع

الساعات ، وبدأ الحريق واضرمت النيران واشتغل النهب بالقرية المتمردة جزاء لتمردها . ولكن احتلال كوكبا أضر الثورة معنوياً ضرراً بالغاً لأنها ضعضعت قوى الجيش إذ غادر المهاجمون الميدان ، ورضوا من الغنيمة بالاياب يحملون الأكياس ويتأبطون الأقمشة ، وكل ما وقع تحت ايديهم من حبوب واقمشة واثاث . وقد سعى شباب دمشق لمنع السلب والنهب والكف عن كل ما يعكر صفاء الأمن ، ولكن حمزة أوقد نار الفتنة .

لماذا نكبت كوكبا .

انفرد حمزة عن بقية الرؤساء وجرى له ما جرى من الحديث مع قائد السرعان او حضيرة الكشف ، وقد تقدم خلسة عن اخوانه ، وبدون أن يطلعهم على غايته ، ويدّعي بأنه طلب من أهل كوكبا ضيافة الجيش ، يقول حمزة الدرويش : « صوب السكان بنادقهم الى صدره ، فدخلها بالقوة ببضعة اشخاص من دروز حوران ، ولما اطلقوا النار حين تقدمنا لم نكترث بهم ، فقتلوا ثلاثة اشخاص من رجالي ، فناشدتهم ان يوقفوا النار فأبوا ، واستمروا في رميهم ، وبينت لهم أن دماء الثلاثة مهدورة فأبوا الآ الحرب ، وما زال الذين كمنوا بالأكمة يرشقون رصاصهم ، وبما ان قوة الطليعة كانت على مقربة من البلاد هاجمتها واحتلتها عنوة واقتداراً » .

بعد أن حدث ما حدث ، واحتل الجيش كوكبا وحصل ما حصل من نهب وحريق وكل ذلك من اثر فورة الدم وشدة صولة الهجوم ، واندحار قوى كوكبا ،جمع الثوار النساء والاطفال والشيوخ والعجزة ووضعوهم في الكنيسة تأميناً لأرواحهم ، ومع هذا لم يحدث من الدروز والثوار تعرض للنساء ، فهم من هذه الوجهة أعفة النفوس ، وحافظوا على أعراض أهل كوكبا محافظتهم على أعراضهم ، ووضعوا خفراء من الشباب المتعلم السوري ، أمثال صبري افندي ، وهذا منتهى الشهامة . وإليك ما نقله الي رجل من الغارية اشترك بحرب الاقليم ، وكان أثناء الزحف مع قوة حمزة الدرويش .

بعد دخول حاصبيا خرج حمزة الدرويش برأسه ، وذهب الى كوكبا وطلب من الأهالي ٥٠٠ ليرة ، فسلموه المبلغ ، ولكنهم حينما شاهدوه وحده هاجموه ، فأدخله الخوري في البناية ، وأغلق بابها عليه ، وكان الثوار قد وصلوا ورابطوا في الكروم

فأطلقوا النار على الجيش فقتلوا ثلاثة اشخاص وهم : قاسم ابو دهن، وجميل ابو دهن ، ويوسف ابو دهن من حاصبيا . وعلى اثر ذلك هاجم الجيش كوكبا ، وقتل من المدافعين ٤٥ شخصاً ، وقتل من الدروز خمسة اشخاص ، احدهم من عرمان يسمى سعيداً ، والثاني من شقا وثلاثة آخرون ، وبعد احتلال البلدة عادت القوة ادراجها الى حاصبيا .

ولنعلل الآن من الوجهة التاريخية أمر حادث كوكبا .

عرف القارىء الكريم بأن حادث كوكبا حدث من جشع حمزة الدرويش الذي كان هدفه المباشر مرجعيون بناء على القرارات التي اقرها زعماء الحركة وقادة رأيها ، وعرف ايضاً بأن الوفد الذي كانت وجهته مرجعيون صادف طليعة الكشف باستقامة كوكبا ، وكان على رأس رتل كشف الطليعة السيد صبري فريد ، وعلى الردء نزيه بك ، وبينما كانت القوة سائرة إذ بسيارة تقل حمزة نحو كوكبا منحرفة عن الوجهة الأصلية ، فلما سأل قائد كشف رتل الطليعة حمزة الى أين ، أجاب نحن راجعون الى كوكبا لتناول طعام الفطور والغذاء فيها فأجابه صبري : بأن الفطور كان قبل عشر دقائق فلم يبال بأقواله . واستأنف السير بسيارة تنهب الأرض نهباً ووجهتها كوكبا . وما كادت القوة تصل الى منتصف الطريق ويتغلغل البعض منها في جوانب الكروم ، حتى بدأ الصدام ، وسمعت بضع طلقات من القرية ، وشوهد هياج عظيم اعقبته فترة هدوء ، وإذ بفارس يهاجم القرية ، ثم يعقبه ثان وثالث ورابع وخامس . فكان الأول الشجاع شكيب بك ، والثاني الباسل نزيه بك ، والرابع الصنديد حمد صعب ، والخامس المهذب الجسور صبري فريد . هاجم الثوار قوى مطايا الاستعمار ، وزحف شجعان وادي التيم ، فلم يمض على هجومهم ربع ساعة حتى أخلى مقاتلو البلدة اماكن دفاعهم ، وفروا تاركين أطفالهم وذراريهم ونساءهم تحت رحمة الثوار .

كان منظر الأطفال يفتت الأكباد وولولة النساء وعويل الأطفال يصلان الى عنان السماء ويتغلغل بالاحشاء فيذيب الأفئدة اسى . وبدأ دخان الحريق يتصاعد في الأجواء وقام النهب والسلب على قدم وساق ، وقد حاول الاشراف المجاهدون إيقاف النهب ، ولكن هيهات ، ماذا تفعل بضعة اشخاص بمئات توزعت في مختلف نواحي البلدة ، وقد وقع هنا حادث مهم يجب لفت النظر اليه ، وهو انه لم يمس احد من الثوار النساء بسوء ، ولم يتعرضوا لعرض ، ولم يفتكوا بطفل ، ولا قتلوا شيخاً ، عدا اصابة قَدَر أصابت

كاهن القرية بطعنة خنجر بينما كان بعض الثوار يقود بقرة ، والثاني يحمل كيساً والثالث يسوق حماراً .

وهذا حدث بسبب فورة الدم ، لأن الثوار خسروا رجالاً بدون مسوغ مشروع ، والبادىء بالشر أظلم ، فأهل كوكبا بإطلاقهم النار من بنادقهم جنوا على انفسهم ، كما جنت على نفسها براقش ، ولا شك بأن تبعة هذه الحوادث الدامية تقع على عاتق حمزة ، الذي ساقه طمعه للانفراد بالحركة ، خلافاً للرأي والقرار اللذين اتفق عليهما هو واخوانه شكيب ونزيه ونسيب غبريل واديب قطيط في الاجتماع السري، واصرار هذه الهيئة على تنفيذ مقرراتهم حينما دان قائد الاقليم وهيئة القيادة وبقية اخوانهم شذوذ حمزة ، لأنه خرج على اطاعة مقررات اخوانه .

١ ـ دعواه بأنه طلب طعاماً لا يتلاءم مع حقيقة الوقائع ، لأن الجيش قبل زحفه كان قد تناول طعامه ، ومسافة الطريق حتى كوكبا لا تتجاوز الخمس كيلومترات فالقوة اذاً ليست بحاجة الى الزاد .

٢ ـ ان عدم التعرض لكوكبا كان من المقررات التي أقرها حمزة والرؤساء وقد اعلمه بذلك قائد الطليعة ، ونبهه الى مغبة أمر التعرض لكوكبا والتحرش بها فلم يصغ لأحد ، وقاده جشعه وساقه طمعه الى خراب بلدة بكاملها ، وايقاظ النعرة المذهبية ، وإثارة الاحقاد التاريخية التي تعود الى عام ١٨٦٠ ، وضربه بالمصلحة العامة عرض الحائط .

وقد بين لي رجل من قادة الحركة البارزين ومن أركان حربها الحقيقيين بأن حمزة طلب غرامة من اهل كوكبا ٤٠٠ جنيه ، وأكد لي آخر بأنها كانت ٥٠٠ جنيه اذاً طلب المال اصبح واقعاً وحمزة جذبه طمعه وغره جشعه .

كان بعض الجهال من الثوار يعتقد بأن الثورة عبارة عن غزوة لا كما كان يعتقد القادة بأنها طريق الحرية الموصلة الى الاستقلال ومن هؤلاء :

سلطان باشا ، وزيد ، والامير عادل ، ورشيد طليع ، وزكي بك وصفي ، وف. سليم ، وع . نكد ، وج. المدفعي ، وش. العائدي وف. القاووقجي ، وص.

الحمود ، وص. العمري ، وس. العاص ، والأمير حسن ، والأمير ع ، ون. المؤيد واسعد كنج وغيرهم .

وحينما كانت الجيوش الجرارة تزحف بإمرة العاص وفوزي وحتى شلاش الذي يعد خائناً ، لم تطاوعهم نفوسهم الأبية بأن يغرموا حتى القرى التي حاربتهم ، لأن هدفهم تحرير البلاد لا الشراء ، ولكن نحن في عصر تدجيل أسدلت الوطنية الحقيقية نقابها الأسود الكثيف على سحن المخلصين ، وسترت وجوه أصحاب الوطنية الزائفة بنقاب حريري خلاب ، فظهرت سحنهم جميلة ، وهي في عين الحقيقة شنعاء ، كالتي تستر وجهها بهذا النقاب . وأما الغادة الجميلة فإنها لا تخفي جمالها ، وهكذا حالتنا في القرن العشرين ، رأس مالنا التدجيل والتضليل .

لقد كانت أكاليل غار الظفر تتوج رؤوسنا ، ومع هذا كله فإننا لم نمدّ يدنا حتى ولا الى الإعانات التي كانت تنهمر انهمار المياه ، والآن لنعد الى حادث كوكبا .

لو فرضنا أن حمزة الدرويش طلب او قبض هذا المبلغ ، والحقيقة انه طلب هذا المبلغ ، فمن واجبهم القومي امهاله والقبول بمطاليبه ولو شكلاً حتى وصول قادة الحركة ، ومن ثم يعرضون الأمر على القائد العام وهيئة أركانه، هذا لو لم يكونوا مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بأمهم الحنون فرنسا واذاً فالموقف لا يبرر عمل أهل كوكبا اصلا .

لأهل كوكبا صلة تامة بالأم الحنون ، وتاريخهم السابق شاهد عدل على عداوتهم لعروبتهم . فقد تمكن الافرنسيون في عهد غورو إثارتهم على حكومة مليكهم فيصل الأول ، وسلاحهم افرنسي بحت ، وعتادهم أيضاً من الحكومة الافرنسية . والذي غرهم كان مناعة مواقعهم ووعورتها ، وتعصبهم الطائفي لمارونيتهم ، وقد فعل فعلتهم أهل القبيات ، وهاجموني فنالوا جزاء تعرضهم تجاه حملات بني جعفر ، ودحروا اندحاراً مريعاً في ميدان القتال ، فخروجهم على الثورة وشق عصا الطاعة لا يستغرب ، لأن التعصب الديني والطائفي أعميا بصائرهم ، مع ان أهالي زغرتا أشجع واكثر عدداً منهم ، فلما استعملوا حكمة الحياد لم اطلق عليهم رصاصة واحدة وهم أشجع وأقوى أهل قرية في لبنان .

ومع هذا كله فإن هذا التعصب لا يشمل إخواننا المسيحيين قاطبة ، بل بينهم من

خدم الوطن العربي عامة والسوري خاصة بإخلاص . ومنهم من علق على اعواد المشانق ، ومنهم من أهرق دمه في ميادين الثورة ، ومنهم من زج بنفسه في لججها مثل عقلة بك ويعقوب ومشيل نحاس وعزة الداودي النبكي ورزق سلوم وغيرهم .

ليس هذا وحسب بل هناك كثير من القرى المسلمة خدع أهلها بوعود فرنسا الخلابة فحاربوا أبناء قومهم ودينهم امثال اهل السليمية من قضاء حمص ، واخوانهم من الاسماعيلية في الجهة الغربية وبعض من أهالي قرى القنيطرة ، كالخشنية وغيرها . ومن قضاء حماة بعض أهل عين ظات ، ومن المرج بعض سكان مرج السلطان ، كما اندمج كثير من شبان جبل الدروز ومن سكان دمشق وحمص وحماة وحلب . ومن السلوط والعقيل وشمر ، وقد امتدت دعاية ابراهيم افندي من عين ظات حتى عمان وجرش والناعور ووادي السير ، حينما شعر الافرنسيون بانكسارهم في معارك الجبل الاولى . كما ان للافرنسيين دعاة من العرب أنفسهم ودمجوا قسماً كبيراً من الأكراد الشمالية والدمشقية ، وكان لهم عيون تعد بالمئات من أبناء هذه العناصر على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ونجحوا في المقرن الشمالي نجاحاً باهراً . وفي قسم من المقارن الأخرى اذ يجب ان لا نوجه سهام لومنا لطائفة من الطوائف ، او لعنصر من العناصر فقط من اسلام وسراكس وأكراد ، اسلاماً كانوا أو مسيحيين ، ولكن بعض مرتزقة السراكسة والأرمن الذين أتوا ضيوفاً واقاموا في البلاد ، وقسم ضئيل من شراكسة البلاد ، وقسم كبير من أكراد الشمال والاسماعيليين العرب الخلص اساؤوا الى الوطن اساءة لا تغتفر ، ويجب تسجيل اسماء هؤلاء الفجار وبتعبير الافرنسيين الأنصار ودمغ اسرهم في سجل تاريخ سوريا الحديث مدى العصور .

وأغرب ما جرى لي حين كنت اعطل الخط الحديدي بالقرب من حمص أن اعتقل افراد عصابتي شيخ قرية الدمينة المسيحية وغرموه بمئة ليرة . فلما وصل الي اطلقت سراحه بدون ان اغرمه شيئاً ، مع أننا كنا بحاجة الى القرش الواحد . ولفوزي بك عمل مشرف في يبرود ، إذ أحرق المنهوبات ، لأن هدف قواد الثورة تحرير البلاد ومكافحة الجهل كما نكافح العدو في ميادين القتال ، فحمزة غايته النهب والسلب مع اعترافنا بشجاعته ، وحادثة كوكبا تقع على عاتقه ، ولا تبرر موقف أهل كوكبا من الناحية الوطنية .

وحمزة استغل نفوذ القوة إذ لو كان حمزة وحده لما أقدم على هذا العمل ، لأنه تشبّه بعنترة حين سئل لماذا تهاجم الألف ، أجاب لأن ورائي الفا . فعمله تجاوز كرامة الثورة ، أما أهل كوكبا فقد اعتدوا على الثوار ، وقتلوا منهم ثلاثة أشخاص والراهب ، فعملهم هذا استهتار بالثورة وخيانة للوطن ونصرة للمستعمر . فلو كان عملهم هذا تجاه الجيش الافرنسي لفعل بهم كما فعل بأهل المسيفرة حين احرق زعيمها بالبنزين ، وهتك الاعراض ودمر القرية . وكما فظع بحمورة وبغيرها حين أباح أعراض نسائهم لجيوش المستعمر الهمج ، واذا كان دفاع أهل كوكبا عن أعراضهم ، فلماذا تركوا أعراضهم تحت رحمة الثوار وفروا .

لقد قام الثوار بعمل حربي شريف فلم يقتلوا إلا من ناوأهم أو قاتلهم في ميدان القتال . أما النساء فقد جمعوهن في الكنيسة وحرسوهن كما يحرس الرجل امرأته ، وحموهن كما يحمي الرجل الشريف عرضه ، وأما جيوش فرنسا المتمدنة ، فالعرض بنظرها مباح وهذا هو الفرق بين الشرفاء وبين الذين أتوا لتمدين البلاد وتهذيبها باسم الارشاد وتحت ستار الانتداب الخلاب . إلا أن الهمجية لم تزل عريقة في طباعهم وخلقهم ، فيما خلق العربي الأبي لا يحتاج الى شهادة تدعمه .

فأهل كوكبا مطايا استعمار ، وقد نالوا عقابهم وسيناله كل من تحدثه نفسه بالانتقاض على الثورة سواء كان عربياً أو كردياً او ارمنياً او شركسياً ، مسلماً كان او مسيحياً ، لأن الوطن للجميع ، والوطن باق والأفراد هالكون .

ونحن بصفتنا من قواد الحركة الوطنية الحربية نأسف لحدوث حادث مؤسف كهذا ، واليكم نص كتاب زيد عن هذا الحادث :

« صاحب السعادة الامير فؤاد ارسلان الأفخم .

بعد سؤال الخاطر الكريم

أبدأ بشكري لكم اهتمامكم وأقصر رسالتي على أن اعلن لسعادتكم اننا في ثورتنا المقدسة اجتنبنا كل ما من شأنه اثارة الفتن الطائفية ، بدليل طمأنينة المسيحيين المستكينين لقطع ألسنة الفساد ، والذين يحاولون تشويه وجه ثورتنا الناصع ، وصبغها بصبغة طائفية ، وذلك بناء على المبادىء التي قمنا من أجلها وأوامر القائد العام سلطان

باشا ، وما استوجب نهوضنا إلا دفع المظالم والاسترقاق .

أما حادثة كوكبا فقد كانت مسببة عن تعدي أهلها على جيش المجاهدين وقتلهم ستة منهم بغياً وغدراً ، ومع هذا حاولنا استدراكها حقناً للدماء ، فقابلنا الأهلون بالإصرار ، وكان ما كان مما يذكره لكم اخونا النجار بالتفصيل . وقد استوجب هذا الحادث المؤلم توقفنا عن التقدم على اثره الى الجديدة حذراً من الوقوع في مثل هذا المحظور ، وقد تأكدنا صدق نصحكم ، وسنلبي رغبتكم ونوسطكم لعدم التقدم الى لبنان الصغير ، ولاسيما الشوف ، إذ إننا لا نحتاج لمساعدة فقوانا كافية . وقد أفهمنا السيد النجار ما نكف عن ذكره الآن وما يسهب لكم بذكره . فاطمئنوا إذن وتأكدوا صدق وعدنا .

سأكتب الى اخي سلطان بما تفضلتم به من أمر مطاليبه في سبيل مساعيكم الشريفة السلمية ، ولا استطيع الانفراد بالرأي قبل وصول تعليماته المحترمة . وأطال الله بقاكم وكرم مساعيكم .

وقد لعنت الظروف التي قضت بغيابي أثناء التقدم نحو كوكبا اخوكم

عن حاصبيا في ١٣ نوفمبر ١٩٢٥ زيد الأطرش »

بلاغ فرنسوي رسمي
يصف معركة الجديدة من شاهد عيان

اذاع قلم المطبوعات في بيروت البلاغ الرسمي الآتي :

أفضى رئيس جماعة من جماعات القرويين الذين كانوا يدافعون عن مرجعيون بالتصريح الآتي للحكومة .

« ذهبت الى كوكبا مع ثلاثين رجلاً من أبنائها لدفن جثث الضحايا الذين فتك بهم الاشقياء ، فهاجمتنا عصابات كثيرة كانت متجهة كلها نحو مرجعيون ، وكان الأشقياء يرفعون راية فرنسوية ، وقد اوفدوا رسولاً يحمل كتاباً منهم يتضمن انهم انصار قادمون من جزين لمساعدة مرجعيون ، فتمكنوا بهاتين الحيلتين من خدع الأهلين في تلك الجهة .

ولما رجعت انا الى مرجعيون بعد أن درت حول القرية خوفاً من الوقوع تحت نيران المدافعين عنها ، كان وصولي اليها متأخراً جداً لسوء الطالع ، ولو أمكننا ان ننبه في الوقت الموافق الفصيلة الافرنسية التي كانت نازلة جنوبي القرية لكان مدفع رشاش واحد ينصب شمالي القرية كافياً لمنع العصاة عن الاقتراب منها » .

ثم قال : « انه قتل نحو عشرة من الأنصار ، وتمكن كثير من النساء والاولاد من ترك المدينة بمعونة الفصيلة الفرنسوية ، ولكن بعض النسوة والأولاد حوصروا في أحد المنازل التي أحرقها الاشقياء . ولقد رأيت بعيني ٢٥ جثة من هؤلاء الاشقياء » .

مجرى الحوادث

عادت القوة الى حاصبيا ورؤساء الحركة غاضبون على ما قام به حمزة الدرويش من ضروب الجشع وإقدامه على امور جرّت ويلات على الثورة استغلها المستعمر لصالح دعايته وأراد تلطيخ وجه الثورة النقي بها . فاجتمع جميع الرؤساء في بيت سامي بك شمس زعيم دروز حاصبيا ، وحضر هذا الاجتماع شيخ الطائفة الدرزية والكل وجوم كأن على رؤوسهم الطير ، وقد غضبوا من فعلة حمزة المنكرة الشنعاء وقال الشيخ قيس أتنقلب هذه الثورة الناصعة الى ثورة عام ١٨٦١ المتعصبة ؟ وقد اتخذ الزعماء المقررات الاتية :

(١) جمع الأسلاب وإعادة المنهوبات الى أصحابها .

(٢) اتخاذ تدابير صارمة وانزال العقاب الصارم بالمجرمين الذين كانوا سبباً في هذه النكبة .

(٣) إعلام زيد بك وصحبه بالحادث .

(٤) جمع المواشي كلها واطعامها للثوار وتسليم الأسلاب الى الأمراء الشهابيين لكي ترد لأصحابها ، والبعض كان قد اقترح حرقها في ميدان حاصبيا . وباشروا بجمعها ، وإذ ذاك أقبل حمزة صارخاً وقائلاً إن أهل كوكبا بادروني بالعداء وقتلوا اثنين من الثوار ، وكادوا يقضون على حياتي ، فلقوا جزاءهم ، ونالوا عقابهم . ولكن الهيئة

المجتمعة أعلمته بقراراتها ، وارسلت مفارز لجمع الأسلاب ، وارسلت سعاة لإعلام زيد بك .

وقد قرر المجتمعون عقد اجتماع في منزل سامي بك للنظر في أمر تنفيذ المقررات ، فانتهز حمزة الدرويش فرصة انفراط عقد المجلس ووصول الأمير حسن الذي كان يحمل كتاباً خاصاً من زيد بك الاطرش لحمزة يهنئه على دخول حاصبيا بدون اراقة دماء . فقرىء الكتاب على رؤوس الأشهاد ، وقام حمزة الدرويش خطيباً فقال :

« كوكبا اللي حاسبة حالها عرمان الجبل ، وقفت بوجهنا فدحرناها فكل من نهب شيئاً بكيسه » فسر من نهب وغضب من أخلص وهتف الجميع :

« فليحيى أبو هاني وليحيى حمزة بك الدرويش » .

وهكذا فتح حمزة ثغرة وعرة في الثورة ، بل طريق شؤم ، وضرب بعرض الحائط قداسة المقررات ، ودس دسيسته لهدم بنيان الثورة ولهدم أمانيها المقدسة ودمغ وجهها بوصمة النهب .

فلو كان في الثورة قوى تنفيذية او ديكتاتورية مطلقة ، لكانت علقت حمزة ومن على شاكلته على أعواد المشانق ، مهما كانت مزيته ، لأن أمثال حمزة كثيرون خرجوا للنهب والسلب .

وصل نص المناشير التي اذاعها زيد بك قبل حصول حادث كوكبا ، وقد نشرناها في الصفحات الماضية . وعزز المنشور الأول بمنشور ثان .

واليك خلاصة المنشور الثاني الذي يقول فيه زيد بك :

انهم قادمون الى تلك الديار لإنقاذها من براثن الاستعمار والنفوذ الأجنبي .

وإنهم إنما قاموا باسم الوطن ، وإن الناس آمنون على أنفسهم وأموالهم ، لهم حريتهم الشخصية ، وإن الثوار لم يثوروا على الشعب الفرنسوي ، بل على الحزب الاستعماري الذي قلب الانتداب الى استعمار واستعباد .

وانهم يعتبرون أبناء الوطن كلّهم اخواناً في النفس والمال والحرية الشخصية فعلى أبناء الوطن معاونتهم لإدراك هذه الغاية » .

وهنا من الواجب علينا حين نقرأ هذه المناشير القومية ، أن نحني رؤوسنا اجلالاً الى تلك النفس الوثابة ، والى تلك الشجاعة العنترية والأخلاق السامية التي اتصف بها منشئها . وكانت هذه المناشير نبعاً من فيض دماغ المفكر الكبير الشهيد فؤاد بك ، لأنها عين فياضة من ينبوع أدبه ، وقبس من شعلة ذكائه المتوقد ، فهو دماغ الحملة المفكر ، وقائد حركتها المعنوية ، وأحد أبطال حروبها المغاوير رحمه الله .

الراية العربية السورية
تخفق فوق قصر الامراء

استئناف الحركات

خفقت الراية العربية التي بمغادرة مليكها درس أثرها وبدلت براية أشبه براية فرنسا رمز استعمارها ، واخرج منها رمز دماء شهداء العرب ورمز حياتهم القومية الجديدة وهو اللون الأحمر ، واختفت عن انظار سكان هذه الربوع منذ حقبة من الدهر والآن عادت تخفق كالسابق فوق قصور الأمراء الشهابيين بعودة جنود فيصل الأول وقـواده المخلصين لتأسيس دعائم ملكه المسلوب .

ولهذا القصر ميزة تاريخية عن قصور سوريا ترمـز الى بطولـة أصحابـه الأمراء في حروب الصليبيين . اذ اخرجوا الصليبيين من هذه الديار بالقوة عنوة ، بفضل الصمصام البتار ، وبنوا على دعائم انقاض هذا القصر المشمخر هذه القلعة رمزاً لتحرير الديار ، وهو كائن على الجانب الشمالي من حاصبيا فضلاً عن أنه أمثولة للبناء العربي وللهندسة العربية واحد بدائعها المعمارية الرائعة .

والشهابيون فئـة من قريش تنتمي الى قبيلة بني مخـزوم ، احدى بـطون قريش ، وهم من سلالة خالد بن الـوليد . ولكن البعض من مؤرخي العـرب يقول بخـطأ هذا الرأي مدعين بأن خالداً لم يعقب ولداً من ولده عبد الرحمن ، ولم يبق من نسله احد . ويعلل ذلك رفيق بك العظم في كتابه « أشهر المشاهير » بأن هذا الزعم مثل زعم عائلة بدرخان الكردية زعيمة قبائل الأكراد ، وهي تدعي بأنها من سلالة خالد ، فـأرجو من فطاحل العرب والمستشرقين التثبت من هذه الناحية التاريخية . وفي طليعتهم فطاحل هذه الأسرة كالامير مصطفى والأمير فائز .

قطنت هذه الأسرة النبيلة القحة حوران بعد الفتح الاسلامي كالأسر العربية الكبرى التي استوطنت سوريا ثم انتقلت لوادي التيم .

ولما طغى سيل فتح الصليبين ، اشتبكوا واياهم ، يحمل لواء الزعامة الأمير منقذ حفيد الحارث الشهابي ، فأبلوا بلاء حسناً ، وأخرجوهم من الديار المقدسة اذلة صاغرين . واستمر حكمهم في هذه البقاع حتى حادثة الستين ، التي كانت بدسيسة من الأتراك لإقصاء الأمراء عن الحكم ، وقد تنصر من بلبنان من هذه الأسرة ، وارتدّوا عن دينهم على أثر اعتناق زعيم العائلة الأكبر الأمير بشير النصرانية ولم يزل اعقابه فيها مع ان جدهم الأعلى هو الذي حارب جيوش الردة ، فسبحان من لا يتحول . واما الآخرون الذين حافظوا على اسلامهم فقد اخلصوا للاسلام ، وثبتوا على عقيدة جدهم الأكبر فاتح سوريا ، وحاربوا الصليبين وأخرجوهم من سورية أذلة صاغرين .

الزحف على مرجعيون

المخابرة مع وجوه ابل السقي

خابر قواد الثورة وجوه قرية ابل السقي بضرورة شخوصهم اليهم ، مع ان حمزة الدرويش كان قد وضع عليها غرامة ليست دون الـ ١٥٠ جنيهاً . فلبى الطلب الخواجة ابو سمرا ، وهرع فوصل قبل انبثاق الفجر بسرعة بمجرد تسلمه كتاب قائد الاقليم زيد بك الاطرش ، يصحبه لفيف من وجوه القرية . وهنا لا بد لنا من الاشارة الى شيء وهو حينما علمت القيادة بجرأة حمزة ووضعه الغرامات ، جلبته من ابل السقي تحت التهديد ، وكان في طليعة المهددين حسين بك مرشد ، اعتماداً على قوة جماعته من أبناء السويداء . وفي اجتماع حاصبيا كان هذا الشجاع أول من احتج على اعمال حمزة الدرويش السابقة واللاحقة .

وما كادت جيوش الليل تندحر وينبلج عمود الصبح المنير وذلك في ١٥ نوفمبر حتى زحفت الحملة تتقدمها سيارة تقل حمزة الدرويش يصحبه السيد صبري تخفق امامها راية فيصل العربية السورية رمز استقلال سوريا المضاع الذي يصدق فيه قول ابن زريق :

أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته ... وكل من لا يسوس الملك يخلعه

وسوريا العربية النقية الطاهرة الجسد خلعت عن جسم غادتها الجميلة الفتانة رداء ملكها فنتج عن هذا الخلع غير المشروع هذه الحرب الطاحنة ، وذلك من خيانة اشخاص لم يزالوا حتى يومنا هذا يتمتعون بالغادات الحسان ويسكنون القصور الفخمة ويهزؤون بأعمال الشجعان وينعتون المخلصين بالجنون ، وهل اعظم من الجنون في الوطنية ، فياليتهم كانوا مجانين في الوطنية مثلنا ، ولكنهم عقلاء بخدمة المستعمر . وصلت الحملة القرية ، فهرع السكان لمشاهدة علم سوريا العربية الخفاق ، واستقبلوا الحملة احسن استقبال ، ومنها ارسلت فئة للكشف والاطلاع على حالة مرجعيون . وبعد أن قامت بمهمة الكشف عادت ادراجها ، واخبرت القيادة بأن فيها حامية ضئيلة قابعة في السرايا . وعلى اثر ما شاهد السكان من عزم الثوار على الكفاح بدءوا بالنزوح ، ولكن البعض من سكان ابل السقي من مسلمين ومسيحيين أبدى فكرة المفاوضة ، فقرّ رأيهم على ارسال شيخ إبل السقي يوسف ابو سمرا لما له من المكانة في النفوس ، وهو يستطيع بحنكته ونفوذه أن يؤثر في نفوس وجوه مرجعيون ، وتطمين افئدتهم . فذهب قبيل العصر ، وكادت مساعيه تكلل بالنجاح لولا ان حملة وصلت وعددها اربعمائة جندي سنغالي بمعداتهم الكاملة يرافقهم بطرس كرم على رأس عصابة مارونية يبلغ عددها ٣٠٠ محارب . ولما شاهد ابو سمرا ما شاهده انسلّ انسلال الشعرة من العجين وعاد لمركز الحملة ، واعلمهم بما شاهده . وبما ان قوى الثوار لا تتجاوز ثلثمائة محارب فقد استفزت القيادة عزائم سكان الإقليم فوردهم الجواب بعريضة موقعة من قبل كل من السادة شمس الدين بك سامي والشيخ حسن القيسي والشيخ علي شجاع وغيرهم من الرؤساء .

في هذه العريضة تمنى هؤلاء على رؤساء الحملة التربص والتريث والعودة الى البلدة ، والكف عن المهاجمة (مهاجمة مرجعيون) . فتربص الثوار وانتظروا وصول القادة المسؤولين ، وهم كل من زيد بك الاطرش ، وصياح بك لحمود ، والامير حسن ، وفضل الله بك النجم ، وفؤاد بك سليم . وفي الساعة نفسها ورد كتاب مملوء بعبارات الرجاء الحار من اهالي الجديدة يناشدونهم فيه بالعودة الى حاصبيا . وقد قرر الثوار التوقف والاكتفاء بالاحتفاظ بحاصبيا وكوكبا وابل السقي . وتأميناً لهذه الغاية عقدوا جلسة خاصة للمداولة بهذا الأمر ، حضرها كل من السادة الامير حسن ونزيه بك

المؤيد وحمزة الدرويش وحمد صعب وغيرهم .

استعرضوا الأمور وتداولوا في مضمون العريضة ورجاء وجوه اهـل مرجعيـون . وبينما كانت الجلسة منعقدة اذ حضر شيخ ابل السقي واستأذن بالدخول ، فـأجيب الى طلبه . وما كاد يدخل حتى بدأت الدموع تهـطل من مآقيـه مدراراً ، وأجهش بـالبكاء راجياً من هيئة الرؤساء صرف النظر عن مهاجمة الحملة مرجعيون ، فصرفوه بـالتي هي احسن ، وأقر الرؤساء بالأكثرية وجوب العودة الى حاصبيا واعلام زيد بك وفؤاد بك بما حدث ، والإلحاح عليهما بوجوب الزحف نحوهم لنجدتهم .

نظرة على حاصبيا مقتبسة من مذكرات يوميات احد قـواد حملة الاقليم فضل الله بك الأطرش النجم .

اجتمع ليلة ٧ جمادى الأولى كل من زيد بك الاطرش وصياح بك وفؤاد بك ومحرر السطور في حاصبيا وقرروا ابقاء محرر السطور فضل الله بك وبأمرته مائة ثائر على رأس القوة المحافظة لكي يقوم بتوطيد دعائم الأمن وحفظ النظام وتأمين السكينة . وفي نفس الليلة كانت قوى الحملة اتخذت المقررات الآنفة ، وقد غادر زيد بك حاصبيـا ووجهته راشيا ، ولكنه عدل ، وعمل بموجب القرار السابق .

وفي ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤و١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥حلقت في سماء حاصبيا ثـلاث طيارات ، وقـذفت قنابلهـا على البيـوت الآمنة ، واستمـرت بقذفهـا حتى يـوم السبت . ولنعد الى مجرى الحوادث ، على اثر ما كتبه الرؤساء الى زيد بـك فقد زحف زيد بعد أن ترك الحامية كما بيّنا سابقاً ووصلوا الى مقر اخوانهم وهم زيد بك وصياح بك وعلي بك عامر وفضل الله النجم ، وبقية الرؤساء ، واجتمعوا كلهم في حاصبيا . وقد ابدوا اسفهم من حركة حمزة الدرويش . وها نحن نستأنف ما جاء في مذكرات فضل الله بك اليومية .

حاصبيا والشيعة

حاصبيا في ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٥

زحفت قوة العدو الى الجديدة وكانت مؤلفة من ٣٠٠ مقاتل ومائة ماروني متطوع ، ومعها مدفع جبلي وثلاث طيارات . كانت هذه الطيارات مستمرة في القاء القنابل يومياً على مراكز الثوار صباحاً ومساء واحياناً ليلاً .

المخابرات : وجهت القيادة العامة للاقليم نداء خاصا ودعوة عامة لجميع سكان الاقليم تدعوهم فيه للجهاد ، وتبين بدعوتها غرضها الأسمى من هذه الثورة وتحرضهم على تعضيد ساعدها ، وأن مطمحها الأعلى تحرير البلاد وانقاذها من براثن الاستعمار ، وتدعوهم الى العمل الوطني المشترك . وكان في نظر القيادة اهم الجبهات هي العرقوب ، إذ سبق لقراها ان ثارت على السلطة وهي : الشبعا وكفرحمام وكفرشوبا والهبارية . وسكانها كلهم سنيون اشتهروا بشجاعتهم . وعلى اثر مجيء زيد بك الاطرش لبى الدعوة خالد الخطيب . سيد شبعا وشجاعها مرشد ، وحلوا ضيوفا بقصر الامارة ، وبناء على طلبهم عقدت جلسة بيّنوا فيها خططهم ومطاليبهم للاندماج في نطاق الثورة ، وهي تتلخص فيما يلي :

١ ـ وضع حد للنهب والسلب ومنعه بتاتاً .

٢ ـ منع بيع الأسلحة ، والمحافظة عليها ، وإبقاؤها في أيدي الثوار ، لا يكون الاندماج في الثورة إلا بعد توجيه دعوة اليهم من قبل الشيخ حسن القيسي ، ولهذا الطلب عامل سياسي مهم يعود سببه لعهد الملك فيصل حين كان رشيد بك طليع مدير الداخلية ، وأديب بك وهبة قائمقام ، أو مدير حاصبيا وراشيا ، وخلفه محمد بك عز الدين الحلبي . **وسأترك سرد وقائعها على حقيقتها لعهد ملك سوريا المشروع الشهيد** فيصل الأول رحمه الله تعالى .

٣ ـ كل من يخالف نص هذا التحالف يطرد من بين الصفوف .

وبالطبع فإن في مضمون المادة التالية غمزة سياسية وجيهة جداً ترجع لعهد جلالة الملك فيصل ، وتلك الدعوة من قبل شيخ الديانة . ومعنى ذلك ازالة الاحقاد ورفض

الضغائن المتأصلة في الأفئدة منذ عهد طويل . لأن أهل العرقوب سبق لهم ان تحاربوا والدروز اكثر من مرة حين سعت فرنسا لتسليط الدروز على المسيحيين ، واحداث فتنة كما أحدثها الأتراك عام ١٨٧٠ ، فلم تكن هذه الدعوة إلا لتصفية القلوب .

في اليوم الثاني تلا هذا الاجتماع اجتماع أعم حضره جميع رجالات الحركة الحربية ، وشيوخ وادي التيم والشبعا وشيوخ العرقوب ورؤساؤهم في بيت سامي بك شمس ، فأقروا المقررات السابقة بعد أخذ ورد . انتهى .

وعقبه اجتماع آخر حضره الشيخ حسين القيسي وشكيب بك وهاب وسامي بك ، وقرروا فيه مهاجمة العدو في عقر داره .

استئناف الحركات الهجومية

شعر الافرنسيون بشدة وطأة الثوار ، وعلموا باندماج القرى المسلمة الشجاعة في نطاق الثورة ، وتحالفها مع الثوار ، فأرادوا ايقاف الحركة ومماطلة الثوار حتى يضعفوا الحركة . فأوفدوا وفداً من السادة خليل صعب ، وعبدالله النجار المعروف بتشيعه للدروز ، ومدير معارف الجبل السابق .

ومهمتهم رجاء القادة عدم مهاجمة مرجعيون ، فلم تأبه هيئة القيادة لتوسطهم وقررت الزحف النهائي .

الزحف الثاني على مرجعيون ، تعرض المتطوعة لقرية سامي بك شمس .

كان من رأي هيئة القيادة عدم التعرض لمرجعيون ، بناء على الرجاء الذي حصل من قبل وجوه قرية إبل السقي ، ووجوه مرجعيون ، رحمة بالسكان . ولكن لما أقدمت السلطة على تجنيد المتطوعة من الموارنة بقيادة بطرس كرم وارسال ٣٠٠ متطوع بإمرته تساندها قوة نظامية وبسبب تعرض بطرس كرم لقرية برغز وهي خاصة زعيم دروز حاصبيا واحراقها ثأراً لنكبة كوكبا ، وتشفيا من الدروز ، عقدت جلسة سرية كما بيّنا .

ولما وصل الخبر في الساعة السادسة ليلاً ، انتدب لهذه المهمة شكيب بك وهاب يصحبه ١٣ شخصاً ، وعصابة محمد كنج ، وقد تقدم شكيب بك عصابة قاسم بوصالح

واسعد شروف ، وتولت عصابة محمد قاسم تخريب الجسر وانجدتها بذلك عصابة شكيب بك وهاب ، فأصبح مجموع القوى كما يلي :

١٣ عصابة شكيب و١٨ عصابة محمد كنج و١٤ عصابة قاسم . المجموع ٤٥ ثائراً .

كمين شكيب بك وهاب !

داهم البطل شكيب العدو ، بعد أن اوقعه في الكمين ، فسلّم بدون حرب ولا ضرب وغنم شكيب منه ١٤ بندقية ، وأسر من عصابة جزين ١٨ رجلاً وهبهم أرواحهم واكتفى بتجريدهم من اسلحتهم . وهذا منتهى الشهامة .

فلو كانت احدى العصابات الثائرة وقعت أسيرة في يد هؤلاء أو في قبضة الافرنسيين فماذا يكون مصيرهم ؟ إنه الموت .

عوامل الزحف يصفها ثائر

تسلح أهل كوكبا وشكلوا عصابة تمدها قوى السلطة من مرجعيون ، وصادف دخول بعض الثوار كوكبا بعد حرقها لالتقاط بعض المتروكات ، فاصطدمت بهم عصابة كوكبا يعاونها العدو . فلما طرق اسماع المجاهدين الرمي تحركت منهم قوة للمساندة . انهزمت عصابة كوكبا وطاردها نزيه بك المؤيد ، وقتل منهم بعض الأشخاص ، وفتك برئيس العصابة المسمى خليلاً ، وبعد أن كلل هامته بغار الانتصار ، زحف الشجاع نزيه كما زحف الجيش نحو كوكبا .

واليك وصف الحادث عن لسان الشجاع أسعد بك كنج زعيم ثوار الاقليم الحربي :

ما كادت الغزالة تشرق من خدرها وتنشر أشعتها الذهبية على جبال وادي التيم الشاهقة الجميلة ، وهضابه الخضراء البديعة وأوديته الخصبة ، حتى شرعت قوى

المجاهدين بالزحف لاستئصال شأفة عصابة العدو ، فتحركت قوة لا تقلّ عن مائة محارب ، وذلك يوم ١٦ تشرين الثاني عام ٩٢٥ .

والمعلوم ان القوى الوطنية من رأيها عدم التعرض للقرى ، بل هدفها قوى الخصم الأساسية ، وبما أن قوى العدو وعصاباته كانت كامنة بين برغز وحاصبيا ، فإنها بالطبع كانت قوى بطرس ، ارسلت خصيصاً للتحرش بقوى الثوار ، وهي مناسر الطليعة للجيش المرابط الكامن بمرجعيون . فترجل المجاهدون عن خيولهم ، ولما اصبحت قوى الثوار على مقربة من كوكبا ، شاهدوا اعتصام عصابات الموارنة تسندها القوى النظامية .

اعتصمت هذه العصابات بالمرتفعات على سفح عال يتحكم بوجهة زحف الثوار . وبما أن مواطن العدو كانت وعرة المسالك ، ومنيعة جداً ، فقد تقدم الثوار بعزم ثابت وعقيدة راسخة ، وايمان قويم ، تقدموا حتى الوعر ، فأنجدتهم القوة وهاجموا العدو فاندحر أمام هجوم الثوار المغاوير . وكان يوماً مشهوداً ، استبسل فيه الثوار أشد استبسال ، واستمرت المعركة حتى وقت الزوال ، الظهر ، فأخلى العدو مواقعه تحت هطل الرصاص، وأسرع بالانسحاب لإحضار خط دفاع ثان للذود عن البلدة ، وتحصين بعض نقاطها . فطارده الثوار مطاردة عنيفة ، وامتدت موجة هجومهم التي لم ترتطم بصخرة مقاومة العدو المنسحب الهشة . واستمروا في زحفهم السريع حتى البلدة ، وقد ابرز كل من القواد الحلاحل المغاوير : زيد بك الاطرش ، والامير حسن ، وصياح بك الحمود ، وشكيب بك وهاب ، ونزيه بك ، وفؤاد بك ، واسعد بك كنج ، شجاعة خارقة وبسالة نادرة لا يمكن وصفها .

خطة الثوار في الهجوم

زحف زيد بكل وقواه من ابل السقي في الساعة ٢ صباحاً ، فهاجم المشاة والفرسان من الشمال ، واظهر رجاله من ضروب الشجاعة ما يسجل لهم صفحات بسالة بمداد الفخر .

اعتصم المتطوعة والجند بالمرتفعات ، وثبتوا الرشاشتين في بثعين وأصلوا الثوار ناراً حامية ، ولكن الثوار استعذبوا الموت فهجموا هجمة صادقة بقلوب لا تعرف للوجل

معنى ، وعلى رأسهم شجعان بني معروف ، واسود أمية ، واستشهد الشجاع شاهين بك ابو فخر ، وثلاثة آخرون معه ، وأبلى المجاهدون بلاء حسناً . ولم تمض على معركتهم ساعة وربع أمام ابواب مرجعيون ، حتى اقتحم الثوار أبوابها ، واشعلوا الحريق بها ، فهرول شيخها نجيب بكار تحت وابل الرصاص يستغيث لإيقاف الحريق ، وتسليم البلدة للقادة ، مع ان الحرب لم يزل شررها يتطاير في الجهات الأخرى ، اذ كانت احدى الرشاشات منصوبة في دار كبيرة واسعة الرحاب واقعة في الشمال .

وسرعان ما تمكن الثوار من الوصول اليها ، واشعلوا النار بجوانبها . وغنم الثوار ثمانية رؤوس من الخيل ، وفر مرافق بطرس كرم الخاص من الدار يقود فرساً ليمتطيها بطرس ، ويمهد له طريق الفرار لينقذ حياته . فجرحت الفرس ، وعلى اثر ذلك ولى قائد العصابة بطرس مدبراً ، واختبأ بمرحاض ، ثم رمى بنفسه الى حديقة يستخدمها أصحابها لهذه الغاية ، لكن مرافقه الخاص قتل وبقيت فرسه مجروحة على الطريق العام . اما بطرس فأصيب في رجله وبقي مرافقه مجندلاً فوق الجدار ، اذ كان يريد ان يقذف بنفسه من فوق الجدار فسبقته رصاصة فصرعته ، واستولى اسعد بك كنج على الفرس ، واعتنى بمعالجتها فشفيت من جراحها ، وقتلت تحته يوم حرب السويداء . واحتل الثوار معقل دفاع بطرس كرم ، وهي الدار التي كانت السرايا منصوبة على سطحها ، واندلعت ألسنة النيران منها . ولكنها اطفئت وبذل الشيخ نجيب جهودا كبيرة لاطفاء المحلات والأماكن التي امتد اليها الحريق ، واستمرت نيران الحرب مستعراً أوارها حتى أدبر الجند الى جنوبي المحكمة ، بجانب مفرق الطرق المشرطة ، على تعبير أهل الاقليم ، يعني مركز المنعطفات .

بعد ان اندحر المتطوعة اندحاراً مشيناً ، ضيق الثوار نطاق الحصار على الجند ، وحاصروهم في معاقلهم . وقد اعتصم الجند في معقلين كلاهما أشد مناعة من القلاع الحصينة . استمرت المعركة حامية الوطيس حتى المساء . فهاجم الثوار معاقل الجند بشجاعة عنترية ، وثبت الجند ثبات الرواسي في مركز دفاعهم ، فيا لها معركة هائلة تشيب لهولها الولدان ، وقد سقط أمام البيت الذي احترق ثلاثة من الشجعان وجرح اثنان .

وفي الهجوم الثاني سقط في ميدان المعركة من ابطال رؤساء الاقليم الشهداء صالح

نصار وابو صالح ابن عم اسعد بك كنج ، واسعد خليل بو صالح ، وجرح ثلاثـة غير الثلاثة الذين جرحوا سابقاً ، فكان مجموع الشهداء ثلاثة عشر شهيداً ، وكلهم من نخبة الشجعان واليك اسماءهم :

ملحم شروف من حاصبيا ، وابن ابي الدهن من حاصبيا واولاد حجاز من شوبا وانيس عزام ومنهم اثنان أولاد عمومته .

ومن دروز حوران ثلاثـة بينهم سليم بو عـزام من شيوخ عامـرة والبـاقون بقيت اسماؤهم مجهولة رحمهم الله جميعاً وأسكنهم فردوسه الأعلى .

أما غنائم المجاهدين فكانت ١٦ بندقية ووجد ٤٦ جثة من جثث العدو . وقتـل ٢١ بغلاً واستولى المجاهدون على الرشاشتين .

لا شك في ان هذه المعركة كانت من المعارك الحامية الوطيس ، أبلى فيها شجعان بني معروف وأسود أمية بلاء مجيداً ، فقد اقتحموا الأماكن الحصينة في رابعة النهـار حين كانت الشمس تقذفهم بأشعة نورها السـاطعة ، لقـد كانت صفحـة استبسال مجيـدة ، صفحة من صفحات حروب الاقليم الناصعة ، فيها استعـذب شجعان الإقليم المـوت وطلبوه ، وطهّروا حمى الـوطن من دنس المتطوعـة ورجس الافرنسيـين بقلوب طافحـة بالإيمان فحيا الله الشجعان ، ورحم من سقط شهيداً في ميدان القتال . وسلام الله على تلك الأرواح المقـدسة ورحم الله قـادة الكفاح الـذين أبدوا شجـاعة خـارقـة اصبحت مضرب الأمثال ، نذكر منهم : زيد بك وفؤاد بك وصياح بـك والامير شكيب واسعـد ونزيه ونصري بك سليم وسعيد اليماني وغيرهم من دروز ودماشقة .

وبعد احتراق الأسواق وهدوء عاصفة الحرب الهوجاء ، راح الثوار يتجولون فيها بكل حرية ، حتى وصل البعض منهم الكنيسـة ، فشاهـدوا جمال بنـائها ، ورأوا فيهـا معزفين كبيرين (بيانو) وطبلاً نحاسياً كبيراً وبوقـاً يتجاوز طـوله متـراً ونصفاً . لكنهم استمروا يشددون الحصار على الجند الذين كانوا لا يزالون محاصرين في القلعة ، ولكن الجند تركوا القلعة ليلاً بعد الساعة الرابعة مدبرين مستفيدين من فحمة الليل الدامس ، وهنا بدأ الثوار يجمعون شهداءهم الأمجاد ويوارونهم التراب .

وبعد ان تعشوا في دار القائمقام ، عقدوا جلسة قرروا فيها ما يلي :

١ ـ نسف جسر الليطاني .
٢ ـ تأليف مفرزة بقيادة البطل فؤاد بك سليم لهذه الغاية .
٣ ـ تأليف مفرزة بقيادة زيد بك وصياح بك الحمود تذهب الى حاصبيا .
٤ ـ إبقاء مفرزة صغيرة بإمرة أسعد بك ، لتوطيد دعائم الأمن ومنع السلب والنهب .

عود على بدأ

سير الحركات الحربية

أرى من واجبي ان أسرد للقراء ما قام به الزعيم الباسل اسعد بك كنج من ضروب الشهامة . لقد أبقى أسعد بك كنج قوة ضئيلة في مرجعيون للمحافظة على الارواح والارزاق والأموال وتهدئة خواطر السكان ، ومكث فيها حتى اليوم الثالث من فرار العدو منها وجلائه عنها بحد الحسام أي حتى يوم ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ ، فمنع كلّ سلب ونهب بحزم وعزم ، ولو كان هدف الثوار النهب لنالوا الوفاً من الأصفر الرنان لكنهم نبذوا ذلك وحافظوا على حياة السكان كمحافظتهم على أعراضهم ، وبذلوا جهوداً كبيرة في سبيل العناية بتأمين راحة النساء وصون اعراضهن كصونهم أعراضهم . ومع ذلك اسمع ما قامت به عصابة الموارنة من ضروب الهمجية والقسوة وما فعلته بامرأة الشيخ زاكي نعمان شيخ الديانة الدرزية ، وهذه القضية كان لها صداها بمجلس عصبة الأمم . كانت هذه عجوزاً طاعنة في السن تجاوزت العقد السابع من العمر ، فقطعها متطوعة الموارنة إرباً إربا أمام بصر الجيش . واليك ما جرى من مناقشة العصبة في هذا الشأن .

المسيو فرير دالدر . أوافق على ذلك ، ولكن لا بد من الإيضاحات الآتية . إني أثني على الكولونيل رينال واجتهاده لمعرفة الحقيقة ، ولكن هنالك حوادث كانت جديرة بتحقيق زائد ، فإني أضرب لكم مثلاً قضية (عائلة زاكي) الوارد ذكرها في تقرير الكولونيل رينال في القسم الثالث والصحيفة السادسة .

ان هذه العائلة تعد من اكبر العائلات في المدينة ، وزعيمها رئيس ديني متقدم في السن وذو نفوذ كبير . وقد كانت روابط عائلته بالافرنسيين حسنة جداً ، ولكن الكولونيل يقول إن المنسنيور الارشمندريت حرفوش كشف له النقاب عن شعور هذه العائلة نحو فرنسا ، على ان مثل هذه الشهادة الصادرة من رئيس روحي تابع لدين آخر ، ليست جديرة بالثقة التامة ، ذلك لما هو معلوم عما تجري بين رؤساء الأديان في هذه البلاد . ثم يقال بعد ذلك ان رئيس عائلة زاكي قتل بينما كان يحارب الافرنسيين ! اذاً لا شك في صحة التحقيق الذي قام به حضرة الكولونيل رينال ولكن كنت اود ان تكون هذه الخاتمة أكثر وضوحاً وتفصيلاً . وخلاصة القول ومع عدم تعرضي لصحة التقارير المقدمة من الجنرال غاملن والكولونيل رينال ، كنت أود ان تكون لها خاتمة صريحة . . .

المسيو دوكه : ان الخاتمة الصريحة التي يمكن استخلاصها من تقريري غاملن ورينال هي أن معظم الوقائع المنسوبة الى الجيش عارية من الصحة ، او انها مشوهة جداً[*] واما شهادة الارشمندريت لكشف النقاب عن حقيقة شعور عائلة زاكي نحو فرنسا فذلك ليس له كبير اهمية ، لأنه ليس لهذا الشعور علاقة مع موت رئيس العائلة الذي قتل في المعركة ضد الافرنسيين . المطلوب من هذا التحقيق . معرفة موقع الدار التي جعلها آل زاكي مركز الهجوم على القلعة . وعلى كل حال فإني اعتقد ان هذه العائلة كانت تربطها بالسلطة الافرنسية قبل حوادث الثورة روابط الود والاخلاص . ولكن جدير ان نتمثل حالة هذه العائلة عندما شاهدت أبناء دينها من الدروز الثائرين يجتاحون المدينة ، ويستولون عليها ، فلم يكن باستطاعتها مقاومة التيار الجارف ، فلو سلمنا بأنه كان الأوفق الاستغناء عن شهادة الارشمندريت فلا بد من الملاحظة بأن هذه الشهادة لم تؤثر على مجرى الأحوال التي رافقت موت رب هذه العائلة . انتهى .

المؤلف يقول : اذاً يفهم من مناقشة رجالات العصبة انها لا تستطيع ان تقدم على عمل يكون من نتائجه زعل فرنسا واغضابها ؟؟!

فلنفرض بأن رب البيت قد قتل في الحرب ، فما ذنب ربة البيت العجوز ؟ وما ذنب الجرحى الذين اجهزوا عليهم في دار نعمان زاكي ؟ (الحضارة ليست بالأقوال ولا

(*) وهذا شبه اعتراف من قبل ممثل فرنسا في العصبة على أن هناك فظائع ارتكبها الجيش . المؤلف .

بعصبة الأمم بل هي « بالأخلاق ») وجيوش فرنسا مجردة منها ، وجمعية الأمم آلة بيد الحكومات القوية ، فلا يمكنها ادانة اي دولة كانت حتى لو سحقت سوريا !

استئناف مجرى الحوادث : ـ دخل اسعد كنج دار الشيخ نعمان بعد ان أخلى الجنود عن البلدة بالقوة فوجد بواباً يدمر ثلاثة بنادق ، ووجد منظارين ، وضع يده عليهما ، وتحرّى مع اخوانه الدار بدقة فسمعوا همساً ، فسدد الثوار بنادقهم وتقدموا نحو الصوت ، فمنع فؤاد بك الرمي . ولما قرب الثوار من الصوت شاهدوا امرأة وبنتها فاستغثن بفؤاد بك واسعد بك فهدأ روعهن وأمنهن المرحوم قائلاً لهن ، انتن شقيقاتنا ، وعرّفهن أسعد كنج بنفسه ، واتى بهن الى داره ، وقدم لهن دلو ماء وأسقاهن . وكان لهن صيغة حلي من ذهب ثمينة جداً ، فلم يمسها احد ، وكانت هذه الأسرة من اثرى الأسر المسيحية .

فأين حضارة فرنسا من حضارة أخلاق ثوار سوريا ؟ فعصابات الإفرنسيين وجنودهم يفتكون بالأطفال ، ويتعرضون للأعراض ، وما فعلتهم الشنعاء بأسرة شيخ راشيا الوادي سوى ضرب من ضروب الهمجية ، يقطعون أوصال امرأة قاضي طائفة لها شأنها ، اللّهم ان هذا منتهى الهمجية . فأين أخلاق جنود هذه الشعوب المتمدنة من شهامة الثوار الذين وهبوا ثمانية عشر جندياً مارونياً أقحاحاً أرواحهم بعد ان أصبحوا أسرى بأيديهم ، ولم يكفهم إتيان هذه الفظائع ، بل إنهم مثلوا بجثة الشهيد « محمود ابو صالح » بعد ان كان قد اخترق جسمه خمسون رصاصة ، فقطعوا رأسه وحملوه على الأعواد للتشهير ، وكان فيه نسمة من الحياة قبل الإجهاز عليه ! وما قولك بحرقهم أربعة بيوت لأسعد كنج ، وقطعهم رؤوس الأبرياء ؟ ففرنسا ليست أهلاً لأن تكون مرشدة لسوريا بل أبناء سوريا هم أهل لإرشادها لتكسب منهم أخلاقاً سامية .

وتعال معي وأنعم النظر بتقرير السلطة في عصبة الأمم وقلبها الحقائق ، وبث الدعايات الشائنة لتسويد وجه الثورة الناصع . فالثوار لم يتعرضوا لأعراض الناس . الثوار لم تتعرض لعرض ؛ وقتل الفتاتين بعد أسرهما افتراء محض . واما قتل الخوري فهو أمر حربي عارضي ، وثوار كوكبا قتلت الخوري دمتريوس جمال وزوجته برصاص جيش حاملة لواء حرية الغرب . ولكن ما قول السلطة الفرنسية المتمدنة بتفظيعها بأسرة زاكي ، وما قولها بتدميرها قرية حنة وتدمير قنابل طياراتها لنصف الكنيسة ، وسحق كلّ

ما فيها ، وحرق دور المسيحيين حتى الموالين لها ؟ فالثوار اشراف بحروبهم ، واشراف بحسن معاملتهم ، فلتأخذ فرنسا دروس الأخلاق من أخلاق الثوار الذين نعتتهم بالأشقياء . إن هتك الأعراض والإجهاز على الجرحى وقتل الابرياء كما حدث بحمورة وغيرها إنما هو من شيمة الجند الإفرنسي المتمدن ، فليتق الله ارباب الغايات المضللون .

لقد وزعت السلطة الافرنسية على سكان القرى الآتية كميات وافرة من الأسلحة وهي :

قرية إبل السقي ، وابو قمحة ، وعين حرشا وعين عطا . وعلى أثر ذلك عد المجاهدون بأن عمل السلطة تحرشاً بهم وتقوية لهذه القرى ، فأقدموا على تأديبها بعد ان اصبح سكانها خصوماً للثورة ، فهاجموهم ، وكان من نتائج هذا الهجوم أن أحرق بعض قراهم .

نسف جسر الليطاني :

تمركز الجيش في ابل السقي بعد احتلال مرجعيون ، حيث أصبحت مرجعيون خالية من السكان ، وعبث بها النهب والسلب ، وكان هذا الحادث من المصائب الكبرى على الثورة ، لأن الذي نهب عاد لقريته ، ولم يعد الثوار الذين غادروا المراكز الحربية وبقيت المفرزة التي انيط بها هذا العمل الشاق بإبل السقي ، فلم يعد إلا من عاد ليملأ جعبته مرة أخرى . وقد انتظر المرحوم فؤاد بك ثلاث ليال كاملة في مرجعيون وابل السقي ، ولما قطع حبل الرجاء من عودة أبناء الإقليم الذين نعموا بالغنائم ، اكتفى بأن زحف بمفرزته يصحبه بعض الشجعان البواسل أمثال نزيه بك وشكيب وهاب وحسين مرشد بك وسعيد اليماني ونصري بك وابراهيم حمود وحمد صعب وصبري فريد وستة مجاهدين من الثوار ، بينهم احمد الزرعاوي . ومن المعلوم بأن كلاّ من هؤلاء الشجعان يقابل مئات من الأعداء وكلاًّ منهم مارس الجندية ، وخاض غمار الحروب . وقد علم الثوار بأن قوة الخصم هي عبارة عن ٢٠٠ جندي ، فزحفوا للقيام بالواجب ، ولما اصبحوا على مقربة من الجسر استطلعوا مراكز العدو وكشفوها ، فتبين لهم ان قوة الخفر مختبئة ومتمركزة فوق هضبة تعلو الجسر مقدار عشرة امتار على مسافة مترين .

فتصور معي ايها القارىء الجرأة والاقدام ! لقد وجد الثوار ضالّتهم المنشودة وما

يحتاجون اليه لإجراء هذه العملية التخريبية من معاول للهدم ومهدات وأزاميل وغيرها في غرفة الجند . وقد صادف اقدامهم على هذه العملية في ليل راق جـوه وصفا سمـاؤه وسكن هواؤه وهدأت عواصفه ، بينما كان القمـر يطل عـلى هذا العـالم من نافـذة نوره الأزلية الخالدة . فترتسم أشعته على أديم اليابسة تتلألأ متناثرة كالذرات الماسية المنفرطة فيا له من منظر جذاب يأخذ بمجامع الألباب . ومما يزيد بعظمة الموقع منظر القلعة المهيب المطلة على نهر الليطاني ، فكنت تشاهد فوق الماء جلال عظمتها التاريخية ، ونفاذ أشعة النور فوق الماء كالمرآة المجلوّة .

باشر الثوار العمل بقلوب لا تهاب الموت ، مفعمة بالأمل لا يلامسها ريب بالخيبة أو الفشل . وانتهى الأمر بحفر الحفر ، وثقب الثقـوب لحشو المـواد المتفجرة من المـواد المشتعلة بهمة البطل فؤاد بك ، لأنه كان ابن بجدة هذا العمل ، وقد تمرن عليه منذ عهد ثورة الملك فيصل الأول ، وكـان معول الثـوار بهذه الأعمـال قذائف المـدافع ومـراجل الطيارات غير المنفجرة .

قام الأبطال بهذا العمل الجبار ، وبينهم وبين جنود المحافظة بضعة امتار ، وقد تم الانفجار ببطء لأن المادة المستعملة كانت تشتعل على مهل .

ابتعد الشجعان مقدار كيلومترين عندها شعر العدو بعملهم فسدد بنادقه ، وسلط رشاشاته التي كانت تصب رصاصها انصباب المطر ، وهو يشاهد مظهراً من مظاهر الشدة والجرأة ، وانفجارا تتناثر على اثره احجار الجسر وتتطاير في الهواء ، فتحدث هزة عنيفة . وكنت ترى شظايا الأحجار كالقنابل المتساقـطة من السماء يعلوهـا دخان كثيف متمـوج كتموج السحب السوداء في الليالي الداجنة . وبعد أداء ما أنيط بالأبـطال من العمل ، عادوا وهم يضحكون على ما أصاب الجيش من ضروب الخوف والوجل ، إذ أضاعـوا كميات كبيرة من العتاد دون نتيجة وذلك بسبب ما كان يملأ افئدتهم من خـوف ورعب مصدره سطوة الثوار وشجاعتهم .

تشكيل حكومة حاصبيا

استئناف الحركات الحربية

بالنظر لتفاقم الحالة وتحرج الموقف وتعدد وقوع الحوادث بين الأهالي واضطراب حبل الأمن في المناطق الحربية، وقمعاً للفوضى الضاربة أطنابها ، وتنظيماً للشؤون ، وتأميناً للأهلين وحفاظاً على راحتهم وسكينتهم وأرواحهم وأموالهم ، وطمأنة لقلوبهم على ممتلكاتهم وعقاراتهم ، وتوثيقاً لعرى الإخاء بين الطوائف ، واقتلاع جذور الفوضى وابعاد التفرقة المذهبية بين العناصر ، وتطهيراً للعناصر غير المتجانسة مذهبياً ولكنها عنصرياً وقومياً واحدة ، لذلك كله رأى قادة الحركة من الحكمة وجوب الاشتراك مع قادة الرأي من أهل البلاد لتشكيل حكومة للسهر على تأمين مصالح العباد وتوطيد دعائم الأمن . فرشح لتسنم كرسي رئاسة الحكومة الأمير حسني الشهابي ، وللحاكمية العسكرية سامي بك شمس . وبينما كان قادة الحركة يهتمون بأمر الوصول الى هذه الغاية اذ وردتهم الأنباء بأن الافرنسيين بدأوا بإحداث القلاقل وتشويش الآراء وتوسيع دائرة المشاغبات في راشيا فوطدوا العزم على استئصال شأفتها ، ووضع حد لدسائس المستعمرين . واليك نصّ فقرة من كتاب فؤاد يقول فيها :

« غداً يوم ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ سنباشر بتشكيل حكومة لهذا القضاء . ومن الموافق ان يأتي الى هنا شخص او شخصيات من العارفين ليستلموا زمام ادارة المنطقة المحررة من الفرنسيين ، ولكي نتفرغ نحن لمطاردة العدو ، لأن اشتغالنا بهذه الأمور يضيع علينا الفرص العسكرية . فإذا استحسنتم نرجو تكليف الأمير عادل بالحضور ليتولى ادارة الحكومة الموقتة بهذه الجهة ، إذ علمنا من الجفرة « أي الشفرة » المكتوبة في مكتوب الأخ الطرابلسي انه يرغب بالمجيء » .

حملة راشيا : الزحف والاجراءات

شعر الافرنسيون بحرج الموقف ، والافرنسيون شعب اشتهر بالطيش ، وخاصة قوادهم العسكريين ، وقد عودتهم ادارة المستعمرات بأن هدف المستعمِر إذلال المستعمَر ، ولهذا كان دأبهم في اداراتهم الاستعمارية احداث مشاكل في المناطق التي

يستعمرونها من خلق اختلافات في المذاهب ، ومشاحنات بين الأحزاب ، وخلق عناصر وحقوق أقليات ، وإحياء روح قوميات مندرسة او متلاشية بين العناصر الأخرى لتكون المنازعات والمشاكسات التي تحدث بين أبناء الوطن الواحد وسيلة لتدخلهم ، وذريعة لتقوية نفوذهم ، وان تكون سياستهم سياسة ارهاب . وهي لا شك سياسة جهل مطبق ، لا تنطبق على الروح العصرية ، ولا تتمشى مع نزعات الشعوب الناهضة . فقد غارت جنودهم على راشيا ونهبت الأسواق ، وراشيا هي المدينة الثانية بعد حاصبيا ، ولم يكفهم ذلك بل نهبوا الدور والحوانيت ووضعوا يدهم على الميرة من أقوات وغيرها بحجة منع الثوار من الاستيلاء عليها . وبعد ان قاموا بكل هذه الأعمال الفظيعة ، اعتصموا بالقلعة واتخذوها معقلاً لهم خوفاً من مهاجمة دروز البلدة الذين اساؤوا اليهم بوضع يدهم على أقواتهم . وقد اسفرت أعمالهم عن ارغام دروز راشيا على أن يوفدوا وفداً سرياً لقواد الحركة تستحثهم على مهاجمة راشيا وتعدهم بالانضمام الى الحركة .

استئناف الأعمال الحربية

وفي اليوم الثالث من احتلال مرجعيون انسحب اسعد بك كنج وقوته من مرجعيون الى حاصبيا في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ بعد توطيد دعائم الأمن فيها واستئناف الأمور ، فارتأت هيئة القيادة تجهيز حملة بقيادة شكيب بك وهاب واسعد بك كنج الى كفر مشكي ، لأن المناوشات كانت قد بدأت في راشيا الوادي ، وذلك على اثر ارسال الافرنسيين ضابطاً وبإمرته نصف حضيرة الى كفر شوبا . وعلى اثر ذلك وصلت قوة المجدل بقيادة محمد كنج وفائق المرعي فألقيا القبض على الضابط وجنوده وجردوهم من السلاح ، ولكنهما وهبا اليهم ارواحهم ، وهذه منتهى الشهامة . وحينما وصل خليل صعب موفداً من بيروت اطلقوا سراحهم بدون ان يمسوا أحدهم بأذى ، وارسلوا صحبته صورة الكتاب الذي ارسله وجوه الأقليم للقائد العام عن مجرى الوقائع موجزاً .

٢١ تشرين الثاني ١٩٢٥

« لمعالي عطوفة امير الأمراء سلطان باشا زعيم طائفة الدروز الأفخم دام علاه .

بعد تقديم ما يليق لمقامكم من التوقير والاحترام مع الدعاء المتواصل للحق تعالى

بدوام توفيقكم وتسهيل مساعيكم ليلاً مع نهار . فنسأل العزيز الغفار يعزكم وينصركم على الاقران ويصونكم بصيانته ويقيكم من سائر الأكدار . أيها البطل الكاسر والسبع الغضنفر الباسل ، لا نقدر نعرب على ما في فؤادنا لمقامكم من عظيم الامتنان لاشمالكم لنا في انذاركم ، نعرض ان الأحوال بتوفيق الله وضعية مقرونة بالسعد والنصر ـ أولاً حاصبيا ، سقطت بدون حرب وانهزم العسكر منها . وقرية كوكبا مسيحية مورني (مورانية) تعدوا على الجيش بدون حق . هاجمهم الجيش وحرقوا البلد ونهبوها الدروز وخلافهم . ومن ثم الجديدة كذلك صار حرب واندحر العدو . وربحوا الدروز ايضاً ، والآن الجديدة وحاصبيا بيد الدروز وقصدهم تشكيل حكومة ، ورافعين العلم العربي .
وفي هذا النهار يوم السبت ١١ تشرين الثاني ١٩٢٥ مهاجمين راشيا ، ونهار البارحة كبسوا المفرزة ضحوة النهار على المياه ، أخذ سباع الدروز منهم ٢٥ حصاناً وأكثر ، والقتلى واليسرى (الاسرى) منهم وولوا على الادبار لجهة زحلة وبقوا البيادا (المشاة) محاصرين في قلعة بيت شهاب بوسط راشيا الوادي . وهذا النهار مهاجمينهم الدروز (سيهاجمهم الدروز) والنصر بحول الله حليفنا . وان تاريخه بلغنا خبر العسكر الذين في القنيطرة فروا من الوهم (يريد : بأن العسكر الذين وصلوا القنيطرة فروا من الخوف) للشام وكل ذلك هو بنيتكم وسعدكم ، فنسأل الله ان يجعلكم من طويلين الأعمار ».
(وهنا اضرب صفحاً عن سرد مسائل خصوصية) وفي آخر الكتاب يقول : «وكل شيء راجع لأمركم والسلام عيكم ومن يلوذ بكم . من هنا العموم يسألوا خاطركم واطال الله بقاكم محفوظين » .

التواقيع

تقرير هيئة القيادة

« عطوفة الأخ سلطان باشا الأفخم أيده الله بنصره

بعد تقديم فائق الاحترام وبث الاشواق القلبية نعرض ان احوالنا بوجه الاجمال حسنة جداً والمسائل تتطور تتطوراً موافقاً أتم الموافقة ، وقد كنا كتبنا لعطوفتكم عن جميع ما جرى معنا من يوم فارقنا الجبل الى ان صرنا في اقليم البلان ، واوضحنا وضعية الاقليم . والآن نزيدكم علماً بأن الإقليم كله معنا وقد اشترك قسم من رجاله في المعارك

٢١٧

التي وقعت مؤخراً . ويوجد بعض اشخاص مذبذبين يظهرون ما لا يضمرون ، على ان هؤلاء لا يؤثرون بالحركة تأثيراً ذا شأن . وقد اتخذنا التدابير اللازمة لتقليم اظافرهم ، وارغام انوفهم عند اللزوم . خابرنا الأمير محمود الفاعور وآل مريود واسعد العاص وشراكسة القنيطرة وحتى الآن لم تثمر مخابرتنا الثمرة المطلوبة ، على أن الأمل قوي بأن يلبوا جميعهم الطلب ، لا سيما بعد ما شاهدوا فعل الثوار في جديدة مرجعيون وكوكبا ، وقد جددنا المخابرة مع بعض افراد عائلة الفاعور الذين فهمنا أنهم موالون للحركة وفي نيتهم الاشتراك . اما العرقوب المؤلف من قرى اسلامية فقد حضر منهم وفود برئاسة وجهائهم واتفقنا معهم على الثورة ، واليوم حوّلنا عندهم في شبعة واتفقنا على عقد جمعية عمومية لأجل تشكيل حكومة موقتة في حاصبيا ، والشروع في حركة حربية جديدة في راشيا بالاشتراك معهم . بعد أن كتبنا لكم في مجدل شمس تحركت مفرزة من قوتنا الى قضاء حاصبيا ، وتوقفت بدخول حاصبيا ، ثم بعد يومين خرجت هذه القوة من حاصبيا بقصد احتلال جديدة مرجعيون في طريقها المار في قرب قرية كوكبا عارضها أهالي القرية ، وأطلقوا الرصاص عليها ، فقتلوا منها ثلاثة رجال ، ثم ارسل قائد القوة حمزة بك درويش خوري حاصبيا لأجل التفاهم مع الأهالي فأطلقوا عليه الرصاص وجرحوه جرحاً بليغاً ، فاضطرت القوة الى مهاجمة القرية وحرقها عقاباً للحركة الوطنية وتعصبهم لفرنسا ، وقبولهم العصابات المارونية المسلحة التي شكلتها الحكومة خصيصاً لمقاومة الحركة الوطنية . أما حادثة الجديدة فقد حصلت على هذه الصورة :

«بعد ان وصلنا الى حاصبيا خابرنا اهل جديدة ، وافهمناهم أنه لا يمكننا الاستغناء عن احتلال بلدتهم ما دام فيها قوة من قوى العدو ، وعلمنا أنهم كانوا ينوون التسليم . ولكنهم جاوبونا جواباً غير مرضي ، بعد ان وصل لعندهم عصابة مارونية من جبل لبنان بقيادة بطرس بك كرم، ثم بلغنا ان هذه العصابة تنوي الهجوم على قرية برغز الدرزية وحرقها وقتل سكانها ، فاحتطنا للأمر وارسلنا كميناً لها في برغز . وفي ليلة ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ هاجمت العصابة المارونية قرية برغز فوقع من افرادها ١٦ رجلاً اسرى بيد الكمين ، وأخذ الباقون يطلقون الرصاص على برغز من بعيد ، ففزعنا من حاصبيا . وبعد مناوشة قليلة انهزم بطرس كرم ومن معه فتبعناهم الى جديدة ودخلناها عند الضحى . ثم هاجمنا بقية العصابة التي التحقت مع الجنود الفرنساوية في

الاتحكامات ، وكان عدد الجنود يزيد عن المئتين ، وعدد العصابة يتراوح بين المائتين والثلاثة مئة ، ومعهم عدد قليل من شبان جديدة المتهوسين ، وتوفقنا في طردهم جميعاً من الاستحكامات والاستيلاء عليها بعد خسارة كبيرة منهم . أما خسائرنا فلم تتجاوز الخمسة عشرة قتيلاً ، ومنهم اثنين من الحوارنة . وقد بذلنا الجهد لمنع الحريق بعد ان احترق حوالى خمسة عشر داراً . أما النهب فلم يمكن توقيفه إلا بعد يومين ، ان استعملنا الشدة القصوى مع الناهبين الذين وردوا كالنمل من كل الجهات المجاورة ، وقد ظننا أن بقية الجنود الفرنساويين وبقية العصابة تحصنوا في القليعة ، وهي قرية حصينة قريبة من الجديدة . فخابرنا اهل القليعة وانذرناهم فسلموا بدون حرب ، وأمّناهم على أنفسهم واموالهم ، وعرفنا بعد ذلك أن بقية الفرنساويين انسحبت الى النبطية .

«كنا نود ان نبشركم بتخريب جسر الخردلة ، ولكن قد ذهبت مفرزة لتخريبه ، وبعد التعب بحفر الألغام لم تنفع القزانات لأن بارودها رطب ، وفي النية هدمه في هذين اليومين اذا توفقنا لجلب كمية كافية من الديناميت . يلزم لنا كمية من الديناميت لأجل المستقبل ، فنرجوكم الاهتمام لجمعه من الجبل وإرساله الينا بوجه السرعة . كما ان من الضروري ارسال آلة الجلاتين لطبع المنشورات اللازمة وهي موجودة في صندوق احدنا فؤاد، ونصري الموجود عندكم الآن يعرف محل وجود الصندوق .

«ان تأثير حادثة كوكبا في لبنان كان سيئاً ، وقد تهيج الموارنة بتحريض الحكومة ، وتجمعوا في جزين ، ولكننا علمنا انهم عادوا الى صوابهم بعد حادثة الجديدة وقد اخذنا اليوم خبراً ان الحكومة الفرنساوية منسحبة وخائفة من هجومنا على لبنان . وقد وضعت قوة في جزين لأجل حمايتها . وقد سمعنا ايضاً ان قسماً من انصار الحكومة في صيدا يهربون عيالهم الى بيروت خوفاً من هجومنا على صيدا . والخلاصة ان الوهم قد دب في كل البلاد ، والرهبة قد ملكت مشاعر الأعداء . إن تقدمنا الى جهات الساحل لا يوافق في الوقت الحاضر ، خوفاً من ان تحصل مذابح طائفية تضر الحركة ، فضلاً عن تجاوز الحدود الى لبنان قبل انقاذ سوريا الداخلية أمر سابق لأوانه . وقد نظمنا كتاباً الى اهالي جزين لإزالة ما علق بأذهانهم من الوهم ، إذ علمنا ان الحكومة الفرنساوية تسلح المسيحيين في لبنان ، وتمنع الدروز عن اقتناء السلاح ، ومن الضروري تجنب سوء التفاهم خوفاً من ان يصير للحركة صبغة دينية تضرنا سياسياً كما لا يخفى .

٢١٩

« غداً سنباشر بتشكيل حكومة لهذا القضاء ، ومن الموافق أن يأتي الى هنا شخص او شخصان من العارفين ليستلموا زمام ادارة المنطقة المحررة من الفرنساويين ، ولكي نتفرغ نحن لمطاردة العدو ، لأن اشتغالنا بهذه الأمور يضيع علينا الفرص العسكرية . اذا استحسنتم نرجو تكليف الأمير عادل ارسلان بالحضور ليتولى ادارة الحكومة الموقتة في هذه الجهة ، إذ علمنا من الشيفرة المكتوبة في مكتوب الأخ الطرابلسي انه يرغب بالمجيء .

(يشاع هنا ان قضاء الزبداني قد وقع بيد الثوار الموجودين بقيادة عزت بك العظم ، وعددهم آلاف ثائر ، وان بعلبك سقطت بيد الثوار ، ولكننا لم نتحقق من هذا الخبر حتى الآن(*) .

نرجو الإفادة عن العقداء الموجودين في الغوطة لنتخابر معهم ، وقد سمعنا اليوم أنه جرت معركة كبيرة بينهم وبين الفرنساويين فكان النصر حليفهم ، وقتلوا من الافرنسيين عدداً عظيماً ، ولا نعلم هل هذا الخبر صحيح أم هو من قبيل الاشاعات .

٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥

التواقيع

أخيكم : زيد الاطرش . علي عامر . صياح الاطرش . فضل الله الاطرش . فؤاد سليم . حمزة الدرويش » .

(لاحقة) : «نبشركم ان مفرزة من خيلنا مع توفيق ابو عساف كمنت للجنود الخيالة على عين الدلب التي يوردون منها خيولهم وضربتهم واخذت منهم اسرى وخمسة وعشرين حصاناً ، والقتلى كثيرون ، ولكن لم نعلم حتى الآن عددهم بالضبط ، أما سائر الخيالة فانهزموا على طريق زحلة اذ لم يمكنهم الدروز من الرجوع الى راشيا » .

حاشية ـ لفؤاد بك :

«أرجوكم الاهتمام لإرسال الأغراض الخاصة لي اذا كانت وصلت من عمان لأنني

(*) لا صحة لهذه الاشاعة . المؤلف .

مـرضت من البرد وسـاءت صحتي كثيراً بسبب احتيـاجي الشديـد الى الثياب . ثم ان حصاني لا يصلح كما كنت عرضت لكم ، فأرجوكم تأمين هذه المسألة ايضاً مع مسـألة الدراهم . نرجو الاطلاع على مكتوب الـطرابلسي لأن فيه بيـانات للصحف ضـروري نشرها في الظروف الحاضرة » .

فؤاد

قلنا قد تم اليـوم تشكيل حكـومة وطنيـة موقتـة يرأسهـا حاكم عسكـري لقضاء حاصبيا ومرجعيـون ، وقد عينا سامي بك شمس حاكماً عسكرياً ورتبنا معه مائة جندي من الدرك الوطني .

القيادة العامة للثورة الوطنية السورية

الدين لله والوطن للجميع

الى وجوه وأعيان الدروز والشيعيين في جبل لبنان

« أيها الأخوان :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فقد بلغنا ان الحكومة الافرنسية تجردكم من سلاحكم وتسلح اخوانكم أبناء الطوائف الأخرى بحجة الخطر على سلامتهم الناشيء على زعمهـا عن الثورة السـورية الوطنية ، على أننا نعلم نحن كما تعلم الحكومة نفسها ، إذ لا داعي لهذا السلوك الغريب الذي لم يسبق له مثيل في هذا العصر في أية بلاد من بـلاد الله ، ذلك لأن أبنـاء البلاد الذين تربطهم الروابط القومية ، وتشد بعضهم الى بعض المصالح الوطنيـة ، ليسوا في حاجة الى هذه التدابير الضارة ، وهم في خير وسلام لولا سوء ادارة الحكومة المنتدبة ، ولولا اعمالها الصادرة عن نيات غير سليمة .

وقد بات من الجلي الواضح ان الحكومة المستعمرة تريد ان تخدع العالم الخـارجي وإقناعه ان الثورة الوطنية ذات صبغة دينية ، وذلك لكي يقر في أذهان الأمم المتمدنة أن انتدابها على سوريا هو أمر ضروري لسلامة الأقليات وصيانة حقوقها ، ولذلك فإن من

المفروض الواجبة على كل من في قلبه اخلاص لوطنه وحب للحرية ويبذل أقصى جهوده ليكذب هذه المزاعم ، ويثبت لهذه أنه غير راض عن سياستها . ولقد أسرعنا بالكتابة اليكم لعلمنا ان تجريدكم من السلاح وتوزيعه على إخوانكم الآخرين قد يوقظ في نفوسكم شعوراً غير صالح تجاههم ، ويحملكم على النفور منهم بالريبة بهم ، وبالتالي قد ينشأ عن هذه الحالة حوادث تضر بالوطن ، وتؤذي القضية الشريفة والاغراض التي يسعى اليها رجال الثورة الوطنية ! ولا يخفى أن هذه النتيجة هي الغرض الذي تقصد اليه سياسة الحكومة ، لأنه يساعد على رسوخ قدمها في البلاد ويمكنها من الثبات في ربوع الوطن ، اذ يسقط بين يديها فريسة منهوكة القوى بسبب التطاحن الداخلي .

ولقد كتبنا بياناً عاماً للبنانيين الكرام أوضحنا فيه أننا لا نريد في حركتنا الحاضرة الا سوريا الداخلية ، فلا محل اذاً (لقلق احد على مسألة الحدود) وأمطنا فيه اللثام عن سوء نية الحكومة بسيرها في هذه السياسة الفاسدة ، وأوضحنا الأغراض الحقيقية الى تحقيقها بواسطة الثورة السورية ، واننا لعلى ثقة أن الذين كانوا يجهلون الحقيقة من اللبنانيين ممن حملتهم سياسة الحكومة على مقاومة الحركة الوطنية قد أخذوا الآن يدركون أن مساعدتهم للحكومة هي جناية على الوطن وخيانة لقضية الحرية تعافها الشهامة ، وينبو عنها الشرف ، وقد استدعت الحال ان نخصكم بهذه الرسالة على كره منا ، لأننا لا نريد ان نخاطب فريقاً من ابناء الوطن بصفته الطائفية .

ولذلك لكي نحذركم من سياسة الحكومة ، ونوصيكم بأن تكونوا صبورين ونحثكم على التقرب من اخوانكم وبني جلدتكم ووطنكم من أبناء الطوائف الأخرى ، ونرجوكم ان تزيلوا بحسن سلوككم وصبركم كل سوء تفاهم بينكم ، وان تتفقوا جميعاً على الذين يسعون لتكدير العلاقات الودية من الجهلة والسفهاء الذين لا يدركون ما يصنعون ، فتضربوهم بيد من حديد ، واننا لنرجو ان تكونوا انتم وجميع ابناء وطنكم الآخرين عند ظننا بكم من الحصافة والتعقل والوطنية الصادقة والسلام عليكم .

٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ باسم قائد الجيوش الوطنية العام
زيد الأطرش »

صورة المنشور الثاني

الدين لله والوطن للجميع

« أيها الاخوان :

لا شك في أنكم تعلمون الأسباب الوجيهة التي اكرهت سكان سورية الداخلية على القيام في وجه السلطة الاستعمارية الفرنسوية . وانكم فوق هذا تعلمون ان هذه الثورة التي بدأت في جبل الدروز قد عمت الآن بلاد سورية الداخلية لأن مظالم الحكومة وسوء ادارتها لم تكن مقصورة على جبل الدروز ، بل كانت ولا تزال عامة تشمل جميع البلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسي . والثورة الآن هي ليست درزية محلية ، بل هي سورية وطنية يشترك فيها جميع أبناء سورية على اختلاف مذاهبهم ، وهي تقصد الى اغراض وطنية بحتة لا شأن فيها للفوارق والنزعات الدينية . ولقد كنا اذعنا عدة بيانات في البلاد الداخلية اوضحنا فيها المبادىء التي تستند اليها الثورة والأغراض التي ترمي اليها ، فأدرك القسم الأول من اخواننا مسيحيي البلاد حقيقتها ، ولم يتأخروا على الاشتراك فيها تلبية لدواعي القومية والوطنية ، على ان الحكومة الفرنسوية كرهت أن يعلم العالم الخارجي ان في سوريا روحاً وطنية وشعوراً صحيحاً بالإخاء الوطني ، فعمدت الى أتباعها من المغرورين المخدوعين ، فزينت لهم ان يقفوا في جانبها ضد الحركة الوطنية ، وبذلت قصارى جهدها لبذر بذور الشقاق بين أبناء البلاد ، مستثمرة الفروق المذهبية .

لقد بلغ من سوء نيتها انها سلّحت فريقاً من أبناء البلاد وجردت الفريق الآخر لتوهم العالم ان هنالك خطراً على الأقليات ، ولتوهم الفريق الذي سلحته أنها حريصة على سلامته ، حال كون هذا العمل يؤدي حتما الى ايقاظ سوء الظن في الفريق الآخر ، ويحمله في التالي على الحيطة والوقوف موقف النفور من ابناء قومه ووطنه . ولا يخفى ان الغرض الرئيسي من هذه السياسة الفاسدة هو تحويل الثورة من صيغتها الوطنية الى حرب ذات صبغة دينية شنيعة الحال والنتيجة ، وذلك كي يقتنع الرأي العام في أوروبا ان وجود الانتداب الفرنسوي في سوريا هو أمر ضروري ، تتوقف عليه سلامة فريق من السكان . ولقد جنت الحكومة أول ثمرة من ثمار سياستها هذه في الحادثة المؤسفة التي

وقعت في قرية كوكبا من اعمال مرجعيون ، اذ سمحت بأن تحتشد فيها عصابات مسلحة بعد أن حرضتها على مقاومة الحركة الوطنية ، وعند مرور فريق من جيش الثورة بقرب كوكبا أطلق هؤلاء الرجال الرصاص على الجيش الوطني من دون سبب موجب ، فقتلوا ثلاثة من رجاله . وأسرع قائد القوة الى التفاهم معهم بنفسه ، ومعه كاهن حاصبيا ، ولكنهم عادوا فأطلقوا الرصاص وقتلوا الكاهن المذكور ، ورجلاً رابعاً من رجال الجيش ، فاضطر القائد عند ذلك الى الدفاع عن أرواح أتباعه وشرفه وشرف الثورة الوطنية ، وحصل ما حصل مما كان له الوقع السيء في نفوسنا ، مع علمنا انه لم يكن ليحصل لولا سياسة الحكومة المبنية على قاعدة التفريق بين العناصر ، ورمي بعض أبناء الوطن بالبعض الآخر ، توصلاً الى إضعافهم جميعاً . ثم روجت الحكومة الدعاية الى التجمع في جديدة مرجعيون بقصد خلق جيش من الأهالي لمقاومة الحركة الوطنية الاستقلالية ، وذلك بحجة الدفاع عن حدود لبنان ، فانخدع لها بعض أبناء الوطن من سكان لبنان ، واسرعوا الى حمل السلاح ، ثم جاء منهم فريق الى جديدة مرجعيون بقيادة بطرس بك كرم .

وفي ليلة ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ هاجم فريق من هؤلاء المتطوعين قرية برغز بقصد حرقها وقتل سكانها كما علمنا من النذر التي جاءتنا قبل وقوع هذا الاعتداء ، ولكن برغز كانت محمية بقوة أرسلت لصد المعتدين ، فوقع منهم بيد الحامية ستة عشر رجلاً اسرى ، وصد الباقون عن برغز . وقد اطلق قائد الحامية سراح الأسرى بعد ان أفهمهم خطأهم واوضح لهم ان الثورة هي وطنية نزيهة عن النعرات الطائفية ، على ان عد٧ّبة كرم أخذت بإطلاق الرصاص على برغز ، فجرّت بعملها الطائش نجدات من الجيش الوطني المرابط في حاصبيا ، ولم تلبث ان تراجعت امام هذه النجدات الى الجديدة ، فدخلت وراءها واشتبكت مع القوة الافرنسية واجلتها عن البلدة كما هو معلوم . وواضح من هذا البيان أن مجيء بطرس كرم ومن معه الى الجديدة كان جناية عليها وعلى الوطن ، اذ ساعد على خلق سوء التفاهم بين رجال الثورة وإخوانهم موارنة جبل لبنان ، وذلك في زمن قد استقبلنا فيه عهداً جديداً هو عهد القومية والوطنية الشاملة ، واصبح من الجناية على هذا الوطن المعذب أن يقوم من أبنائه فريق يزيد في مصائبه بسعيه لتثبيت أقدام الأجانب فيه ، وذلك جرياً وراء نزعات قد خبرت جميع أمم

الأرض أنها شر داء يصيب الأوطان ، وانها علة الضعف والتفكك في كل مجتمع من المجتمعات البشرية .

اننا نخاطب منكم جماعة المتنورين ، ونناشدهم ان يذكروا ما عليهم من الواجبات تجاه الوطن والتاريخ . ونطلب اليهم أن يشتركوا معنا في السعي للقضاء على روح التفرقة التي تود الحكومة المنتدبة أن تخلقها وتنميها لتستغلها لمصلحتها الاستعمارية . وأما مسألة الحدود بين سوريا الداخلية وبين لبنان ، فهي من الأمور التي يصح البحث فيها بعد الفراغ من انقاذ البلاد من الاعتداء الأجنبي ، واذا استدعت الضرورة العسكرية الاستيلاء على أمكنة معينة ، فلا داعي للقلق ، إذ المعوّل عليه في هذا الشأن هو ما يتقرر بعد استقرار الحال في البلاد . ونرجو ان لا يفوتكم أيها الأخوان أننا نقاوم دولة اجنبية لم تدع شيئاً مما يؤذينا ويؤذي وطننا وذرارينا إلا فعلته ، كأنها موكلة بهلاكنا وخراب ديارنا . ولقد بلغ من حقد قواد الجيش الفرنسوي وشغفهم بإلحاق الضرر بنا وبنهضتنا الوطنية ، أنهم قذفوا من أول هذه الثورة حتى الساعة ما يزيد على الثمانماية الف كيلو من الديناميت علينا وعلى اطفالنا ونسائنا ، فهل ترون بعد هذا من الشهامة والمروءة أن تكونوا انصاراً لهذه الدولة التي لم يأنف عمالها من استعمال هذه الوسائل الفظيعة للوصول الى اغراضها الاستعمارية ! ثم هل تجدون في مصلحتكم أن تؤسسوا عداء بينكم وبين اخوانكم سكان الداخلية وهم الأكثر عدداً وهم فوق هذا المصممون على ان ان يتخلصوا من الانتداب الفرنسوي ولو اضطروا الى محاربة كل من شاء ان ينتصر لعدوهم ؟ إننا لفي انتظار جوابكم لنعلم هل في هذا البيان كفاية لإزالة ما علق بأذهان بعضكم من الخطأ الناتج من الدعاية الكاذبة ام غير ذلك والسلام عليكم .

باسم القائد العام لجيوش الثورة الوطنية السورية

زيد الأطرش »

عود على بدء

وصل شكيب وهاب وأسعد كنج وبأمرته ٢٨ فارساً الى مزرعة الحمارة ، وكان الافرنسيون قد وزعوا السلاح على أهل كفر مشكي . ولما اصطدم الثوار مع الجند وانتصروا عليهم ، أرسلوا رسولاً الى دوما سالا والى أهل كفر مشكي يعلمهم بخطتهم

المثلى ، وهي « سحق جيش المستعمر » وانهم لا يقصدون بالأهالي شراً وخيروهم بين السلم الحيادي ، أو الاندماج بالثورة ، او الانضمام الى المستعمرين . فأجابوهم بأنهم سينضمون الى صفوف الثوار . وأرسلوا من قبلهم وفداً لوضع أسس التفاهم . فاجتمع وفد الطرفين ، وكان الثوار قد اتموا ترتيباتهم . ووثق الكاثوليكيون الثوار بصدق وطنيتهم ، فرجح الثوار الزحف على بكيفا وكفر مشكي أشد الطوائف تعصباً لعروبتهما فبارك الله فيهما .

استئناف الزحف على راشيا

كنا ألمحنا في بياناتنا السابقة ، وبيّنا بأن قوة العدو اعتصمت بقلعة راشيا بناء على طلب أهاليها . فأسرع نزيه بك في الطليعة ، ورافقه كلّ من أسد بك الأطرش ، وحمزة الدرويش ، وفرحان العبدالله ، وحسني القنطار ، ورؤساء المجدل وقسم من دروز حاصبيا وراشيا ميممين وجوههم شطر الميماس والكفير ، ومهمتهم تحريض السكان على الاندماج بالثورة .

قضوا ليلتهم في عين عطا ، وما كادت تتوافد نجدات العرقوب « وفزعات » الدروز ، حتى بدأ الثوار المجاهدون يزحفون ، وذلك في الساعة الثامنة . ولما شاهد نزيه تباطؤ حمزة في الزحف ، أسرع وتقدم ، وما كادت تتعارف الوجوه وينبلج نور الصباح حتى كان الثوار في القرية ، وهم عرضة لوابل الرصاص الهطال . فانسل المجاهدون من بين المنعطفات ومن حافات النوافذ ، ومن بين البيوت تفادياً للرصاص . ثم احتدم وطيس القتال . واليك وصفاً دقيقاً بقلم البطل نزيه المؤيد :

كيف دخل الثوار قلعة راشيا ؟

نهضت صباح يوم من الأيام في قرية حاصبيا على صوت حداء المجاهدين يقولون :

يا فرنسا والله ما نطيع ونهوش عند بلادنا
حنا النشامى مصيتين ذبح العساكر كارنا

فاستفسرت عن حقيقة الخبر ، فقيل لي انه قد وصل وفد من أهالي راشيا يستغيث بالمجاهدين المرابطين في حاصبيا لأن الحامية الفرنسوية فيها أخذت تسوم دروزها أنـواع العذاب بدعوى أنهم من المبحذين للثـورة والموالـين لها ، فلم تـطق نفس بعض شبان الدروز صبراً على هذه الحال فوقعت بينهم وبين الجند مصـادمات دمـوية أدت الى قتـل بعض الأفراد من الفريقين .

دخل الجنود وبعض المتفـرنسين من أهـالي راشيا القلعـة وتحصنوا بهـا ، وأخذوا يطلقون منها الرصاص على الدروز ، وهذه القلعة كناية عن حصن قديم بناه أحد امراء آل شهاب في الزمن الغابر . وعلى اثر تحصن الجند بالقلعة جاءنا الوفد المشار اليه طالباً النجدة . وفي الحال اجتمـع كبار زعماء المجاهدين في حاصبيا برئاسة زيد بك الأطرش شقيق عطوفة سلطان باشا الاطرش ، وقر قرارهم على ارسال نجدة لـراشيا ، وانتخب لقيادتها كل من اسد بك الاطرش وحمزة بك الدرويش وشكيب بك وهاب وصبري فريد البديوي وهذا العاجز وغيرهم . وبعد اتخاذ هذا القرار المستعجل امتطينا خيولنا وسرنا باسم الله ننهب الأودية والجبال نهباً ، وقـد لحق بنا من غـير رجالنـا خلق كثير من بـدو الفاعور وأهل العرقوب . قابلنـا في طريقنـا الى راشيا عـائلات عـديدة من الـدروز قد نزحت عنها ، وكان منظرها يفتت الأكباد ، فمن شيخ يقود بقرة وقد وضع عليها لحافاً او فراشاً ، الى عجوز تسحب حماراً قـد اركبت عليه عـدة اولاد ، ومن حسناء قـد ملأت الدموع عينيها لقتل اليفهـا او ذويها ، الى ثـاكل قـد مزقت ألبستهـا وقطعت شعـرها ، وأخذت تولول بين تلك الجبال وتنتحب بصوت يتردد صداه في كل واد فيمزق احشاء كل جبار عنيد . وبالاختصار كانت هذه المناظر تثير في نفوسنـا حب الانتقام وتحملنـا على الاسراع في السير .

وصلنا راشيا قبـل انبثاق الفجـر ، وكان يسـير في مقدمتنـا بعض شبانها ليهـدونا الطريق . وهنا انقسمنا الى اربع فرق ، ذهبت كل فرقة الى جهة خاصة ، وكانت جهتي في الجنوب ، وما كدنا نتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود حتى رأينا القلعة قائمة على بعد ٥٠٠ متر عنا ، وقد اقيمت في جميع نوافذها وسطوحها استحكامات حجرية وأكياس رملية .

ولما شعر الجنود بنا أخذوا يطلقون علينا رصاص بنادقهم ورشاشاتهم ويقـذفوننـا

بقنابلهم ، فقابلناهم بادىء ذي بدء بالمثل ، ثم كففنا عن اطلاق النار لأننا ادركنا ان رصاصنا كان يذهب سدى في تلك الاستحكامات الحصينة ، وغير خاف على القارىء الكريم أن عتادنا قليل والمسافة الى مركز تموبننا بعيدة ، لذلك قضينا يومنا الأول في التفكير لايجاد وسيلة لأخذ القلعة ، ولم نخرج في النهار من مكامننا لأن القلعة واقعة في منتصف البلد تقريباً وكائنة على الجهات الأربع .

ولما أرخى الليل سدوله اجتمع القواد بعضهم الى بعض ، وتناولنا طعام العشاء في دار احد الوجهاء ، ثم طفنا حول القلعة ، فوجدنا ان العدو قد هدم معظم المنازل القائمة حولها الى مسافة عشرة امتار تقريباً ، وأقام اسلاكاً شائكة عوضاً عنها .

بعد هذا الطواف اقترحت على اخواني المجاهدين مهاجمة القلعة واخذها عنوة ، فوافق الزعماء على ذلك وعهدوا الي بتنفيذ العمل . وافترقنا ليلاً على هذا الرأي . فطفت بالقلعة مرة ثانية فوجدت أن بالإمكان الوصول الى أسفل جدرانها بواسطة طريق نفتحه داخل المنازل من الجهة الغربية الجنوبية ، وعلى الفور بادرنا بالعمل وأخذنا نخرق جدران هذه المنازل . وعندما اصبح الصباح وجدنا انفسنا أمام الأسلام الشائكة ، وقد وصلناها كأننا ضمن نفق فلا يمكن للجنود القائمين على حراسة جدرانها رؤيتنا الا حين نخرج الى دائرة الاسلاك الشائكة .

صرنا هنا في اسفل جدران القلعة ، وصار الجند فوق رؤوسنا ، وبديهي انه من المحال علينا ان نخرج الى دائرة الاسلاك الشائكة ما دام الجنود رابضين في استحكماتهم على سطح القلعة . لذلك فتحنا في بعض جدران المنازل رمايات (أي ثقوب) ووقف خلفها رهط من رجالنا بقيادة « أسد بك الأطرش » ، و« صبري فريد البديوي » ، وأخذوا يطلقون النار على الجند القائمين على حراسة الجدار الذي اصبحنا تحته ، الى ان اكرهوهم على الجلاء عنه ، فصرنا في مأمن من رصاصهم ، ولكنهم أدركوا خطتنا وأخذوا يرموننا بالقذائف اليدوية من جهات عديدة ، وقد قتل وجرح من هذه القذائف عدة اشخاص من اخواني المجاهدين الذين كانوا محيطين بي ، واصبت في كتفي إصابة خفيفة أهاجت اعصابي وحملتني على المجازفة حتى النهاية .

اقتلعنا الأسلاك الشائكة تحت نار القذائف اليدوية ، وجلبنا سلّمين طويلين

ربطنا الواحد منها الى الآخر وطرحناهما على جدار القلعة ، ويبلغ علو هذا الجدار نحو خمسة عشر متراً ، وصعدنا عليها الواحد منا خلف الآخر ، وكان في مقدمة الصاعدين أحد أبناء الجربوع من دروز السويداء الذي ما كاد يصل الى أعلى الحائط ويتسلقه للاستحكام حتى أتته رصاصة أردته قتيلاً وسط الاستحكام ، ولعمر الحق هذه هي الميتة الشريفة التي يجب ان نفاخر بها على ممر الأيام . وصعد خلف هذا الشهيد مجاهد آخر نسيت اسمه ، فحل به ما حل بزميله ، سقط من فوق الجدار الى الحضيض . ووصل الدور الى هذا العاجز ، اذ كنت خلف الشهيد الثاني فرأيت أنه من الجنون أن أصعد الى داخل الاستحكام كما صعد الشهيدان ، ما دام الجند لا يزالون فوق السطح خلف الاستحكام ، لذلك أخذت قذيفة يدوية والقيتها خلف الاستحكام دون ان اصعد اليه أو ارفع رأسي فوق جداره ، وألحقتها بثانية وثالثة . وعلى أثر انفجارها سمعت صراخ الجنود السنغالية وَعَدْوهم فوق السطح ، والحق يقال كانت اصواتهم تشبه صأي الجرذان ، فأدركت أن قنابلي أصابت منهم مقتلاً فصعدت فوق الجدار ودخلت الاستحكام ، وصعد خلفي المجاهد الغضنفر حميد الشامي من أهل قبر عاتكة في دمشق ، ورمى بقنابله على الجند ومن ثم صعد خلفه المجاهد الباسل سليمان مرعي من أهالي مجدل شمس ، وعقبه ابراهيم حمودة من أهل البقاع ، فغيره من المجاهدين الذين لا تعي الذاكرة أسماءهم .

واخذنا جميعنا نطلق نيران بنادقنا بشدة على الجنود ، فارتبكوا أشد ارتباك لهذه المباغتة ، وصاروا يفرون الى كلّ ناحية لا يلوون على شيء . ودخل قسم كبير منهم الى غرفة فسيحة في القلعة ، وكان سقف هذه الغرفة قريباً من الاستحكام الذي نحن فيه ، فطلبنا من اخواننا في اسفل السلم ان يجلبوا لنا بترولاً . وللحال جلبوا لنا صفيحة من أحد المنازل ، فنزعت انا وسليمان كوفياتنا وبللناهما بالبترول ، ثم أدخلناهما في سقف الغرفة وأشعلناهما ، وللحال احترق هذا السقف وتساقطت نيرانه على الجنود ، فذعروا ذعراً شديداً وفروا الى أقبية القلعة في الدور الأرضي ، وصاروا يطلقون من بنادق ومسدسات خاصة قذائف ذات أنوار حمراء ساطعة (صواريخ) كانت تضيء في الجو مدة طويلة ، فيراها الناس من مسافة بعيدة ، وبالطبع كانت هذه القذائف علامة الخطر والاستغاثة .

وقد وجد اخواننا المجاهدون الذي كانوا في أسفل السلم ممراً ضيقاً في جانب الجدار مغطى ببعض الأحجار ، فاقتلعوا هذه الحجارة ودخلوا منه الى القلعة كالسيل العرم ، وهم ينشدون اناشيدهم الحماسية ويهتفون الله أكبر . الله أكبر عليهم . عليهم . اذبحوهم . اذبحوهم . وكسر المجاهدون الذين كانوا في الجهة المقابلة بقيادة شكيب بك وهاب وحمزة بك الدرويش باب القلعة ودخلوها مهللين مكبرين .

كانت الطيارات تحوم فوق راشيا كل ذلك النهار ، ولكنها لم تلق قنابلها على البلدة خشية ان تصيب القلعة ، بل كانت ترمي قنابلها على كل شخص تراه آتياً نحو راشيا او خارجاً منها . وقد القت على القلعة عدة لفافات ، فوقعت احدى هذه اللفافات بيدي فوجدت فيها ورقة مكتوبة بتوقع الجنرال غاملان قائد الجيش الفرنسوي العام في سوريا ، ومعنونة باسم قائد قلعة راشيا . ويرى القارىء الكريم صورتها هنا مع ترجمتها :

Géneral Gamelin

Com. Arme

Rachaya 22 Novembre Midi 30 Colonnes arriveront à Rachaya à date prévue visant encerclement Druzes.
Vous adresse félicitations pour belle défense.

Sig. Gé. Gamelin

ستصل النجدات الى راشيا في الوقت المقرر لها لكي تحيط بالدروز . نهنئكم بدفاعكم المجيد !

التوقيع
الجنرال غاملان

وبينما كنا نفتش القلعة وجدنا في بعض غرفها نفراً من جنود القناصة اللبنانية فأخذوا يصيحون بأعلى صوتهم « نحن بوجه سلطان باشا ووجهكم » . ومعنى هذه العبارة انهم يستجيرون بسلطان باشا وبنا ، ويسلمون أنفسهم لنا تاركين لشرفنا وشرف

سلطان باشا أمر سلامتهم ومن البديهي والحالة هذه أننا عفونا عنهم ولم نقتلهم ، على الرغم من انهم كانوا أشد مقاومة لنا من الفرنسويين ووجدنا ايضا في القلعة ذخائر كثيرة وأسلحة متنوعة ، وخيلاً وسجاداً الخ . وقد استولى المجاهدون ومن معهم من بدو وعرب على جميع هذه الأشياء ، وتركوا البقية الباقية من الجنود في الأقبية الى ان أتتهم النجدات القوية فأنقذتهم من الحصار .

وصف ثان للهجوم يصفه الفتى اسماعيل

كنا بقيادة نزيه بك المؤيد . ومكثنا خمسة ايام بحاصبيا ، وقد انذرتنا دروز راشيا ، وأعلمتنا بأن الجند نهبوا مواشي القرية ومؤونتها . وحاصروا في القلعة بعد ان نهب الجند السوق ، والقلعة مكونة من ثلاث طبقات وفيها ثلاث آبار ماء .

زحفنا بقيادة نزيه بك في الساعة الخامسة بعد الظهر . فوصلنا راشيا مع انبلاج الفجر ، وكنا نشاهد الصواريخ تخترق كبد السماء الأليل ، حتى انبثق عمود الصبح ، وقد اشترك المسيحيون بالحصار ، ونقلوا امتعتهم وادّخروها في السرايا . اشتبكنا مع الجند وخيولنا كادت تموت من الظمأ ، ولم نستطع ان نوردها إلا في الليل .

اجتماع قادة الحركة : اجتمع الرؤساء وتباحثوا في أمر احتلال القلعة ، فقر رأيهم على فتح ثغرات في جدران البيوت . وقد باشر الثوار بعمليتهم واستمر النقب حتى الليل . وصباحاً تمكنوا من الوصول الى أمام جدران القلعة . فهجم نزيه بك واسعد بك كنج على رأس عصابتيهما ، وجلب الثوار سلما خشبياً وأسندوه على جدار القلعة . وتسلقه نزيه فرماه الجند بالسلبند فسقط مغمى عليه فوق السلك ولكن بعض شباب الدماشقة والدروز تمكنوا من اعتلاء السطح .

رش الثوار الماء على وجه نزيه بك لإنعاشه ، وقد تخدشت بعض اعضاء جسمه ، فهجم الثوار هجمة صادقة ، ودخلوا القلعة . واشترى حميد واسماعيل صندوقاً من القنابل اليدوية وقذفوا بها الجند . وفي تلك الساعة الرهيبة سقط كل من نسيب الأسعد وحامد كمال شهيدين في ميدان الشرف ، واحتل الثوار القلعة عنوة واقتداراً . انسحب الجند الى الطابق الثالث وتلهّى الثوار بنهب الأمتعة ، وامتدت المعركة حتى العصر ،

وتغدى صبري فريد واسماعيل بأرغف وجدوها ملطخة بدماء الجند ، واخذ السيد صبري على عاتقه تضميد الجرحى ، وشاهد اسماعيل ثوار « الهوية » يحملون شهداءهم ، فساعدهم ، وحمل نسيب الأسعد وواروهم التراب . حينئذ ألقت الطيارة قنابلها ، فجرحت الفتى اسماعيل في فخذه فحمله مستو الافغاني ، وجرح سعيد الأطن ، وبلغ عدد المصابين ستين بينهم ٢٠ قتيلاً فوضعوا الجرحى في بيت نعمان زاكي وبينهم ١٢ جريحاً بحالة خطرة ، وفي عصر اليوم الثاني لم يبق سوى ٣٠ ثائراً بإمرة اسعد بك كنج .

وصول النجدات الافرنسية : ظهرت حملة من تلّ الأحمر الواقع شمالي راشيا فقذفت قنابل مدفعيتها ، وتقدم فرسان العدو حتى جدران راشيا ، فصدهم الثوار وولّوا مدبرين .

انسحاب عصابة الدماشقة : نفد عتاد عصابة الشجاع نزيه بك ، فانسحبت الى تنورة فوصلتها في الساعة السادسة عربية .

فك الجند الحصار ، وزحفت قواه من الدهليز السري (القبو) ، ودخلت دار الشيخ نعمان وأجهز الجند على الجرحى ، وعددهم ستون جريحاً ، بعكس ما فعل الثوار بالأسرى ، فأينا يحتاج للتهذيب والارشاد ، وأي الشعوب تحتاج للتهذيب الأخلاقي والانتداب العلمي والاجتماعي ؟ أهو الشعب العربي الذي هو مثال الفتوة والشهامة ، أم الجندي الافرنسي الذي هو مثال القسوة والغلظة ، وهل هناك فظاعة أشد هولاً من الإجهاز على الجريح ، والفتك بالنساء وقتلهن بالرصاص ؟ لقد اثبت الثوار باطلاقهم سراح الأسرى الأقوياء ، بأن الثورة مقدسة ، والثوار اصحاب فتوة ومثال الشهامة .

وسنترك وصف وصول نزيه بك الى الغوطة للصفحات المقبلة .

اسعد بك كنج يصف الهجوم

بعد وصولنا راشيا تغلغلنا في الأحياء حتى وصلنا القلعة ، فشاهدت تزاحم الرجال وتهافتهم على تسلق السلم المنصوب على جدار البرج ، فتسلقوه وهاجموا الاصطبل للاستيلاء على الخيل . ولما شاهدت أن الاختلاف كاد يذر قرنه على تقسيم

الخيل ، قتلت سبعاً منها ، وتقدمنا مشاة ، ولولا التوقف الفجائي الذي حدث من جراء التقسيم ، لسقطت القلعة بأيدينا واستسلم الجند نهائياً . وقد ابرز كل من سليمان مرعي ونجيب يوسف علم الدين ونزيه بك واخوانه شجاعة خارقة ، وأصبح البرج والجهة الغربية تحت سيطرتنا ، ولم يبق بأيدي الجند سوى قسم السرايا وقسم من الاصطبل . استمرت المعركة حتى المساء . واستولى حمزة الدرويش على الجهة الشرقية ولكنه انسحب ليلاً الى عيحا .

ثبات اسعد بك : توافدت نجدات المجدل وعددها ٢٠٠ محارب ، ومن الاقليم ٥٠ محارباً . واتجهت القوة الى المجدل والى ناحية قلعتها الشرقية . فاضطر مجاهدو المجدل الى الهروع لإيقاف زحف العدو عن المجدل بلدهم . ولم يبق بجانب أسعد بك سوى ١٠ أشخاص ، وبلغ عدد الاصابات ١٨ اصابة منهم خمسة شهداء من راشيا ، بينهم حسن حمود الصفدي وفارس حمود ومحمد السلقي وقاسم الفعلق ، وبقي بأمرته كل من سليمان مرعي ونايف مرعي وسبعة من الثوار .

هبط المساء وودعت الغزالة آفاق راشيا ناشرة لعاب انوارها الصفراء الممتزجة بلون ناري فوق جبالها . شاهد الثوار إشارات تخترق سجف الذرات الهوائية . وفي الساعة الواحدة عربية مساء ، قذفت دبابة قنابل مدفعيتها على الثوار فتأكدوا من زحف العدو ، وقرروا مناوأته في سفوح التل الأحمر على مقربة من الجسر ، وترك البعض لتثبيت الحصار لكي لا يصبح الثوار بين نارين . شدد الثوار الحصار على الجند لكي يستسلموا رغم اقتراب النجدات ، وقد ابلى نزيه بك وثوار عين عطا بلاء حسناً ، واتخذوا التدابير لانقاذ الأسرى . وافتهم نجدة ابي ضامن العريان المؤلفة من ٥٠ محارباً ، ونيط به الدفاع ضد قوة المستشار . استسلم الجند . وتسلّموا الى الشيخ نعمان زاكي ، ومعظمهم مسيحيون ومغاربة ، وفي ذلك الوقت كنت أحرس السطح وقد غنمنا عتاد الأسرى ، وثبتنا خمس ساعات ونصفا ، وأصبحت قوتنا ١٥ مدافعاً ، وبما ان مركز دفاعنا ضيق فكنا كالمقر (المرصوف) استفدنا من مناعة موطننا فقتلنا ضابطاً وسبعة جنود أمام الحواجز ، واستسلم آخرون والبعض قذفنا بمقذوفات البنادق (قنبلة البندقية) .

زحف العدو من الجهة الشمالية ، فأخلى العريان مكانه ، فتدفقت نجدات العدو وأصبح الصمود من رابع المستحيلات ، إذ كنت متألماً من جراحي . وفي الساعة الثانية

زوالية طوقنا العدو من الجهة الغربية والشمالية . واستشهد طيار بو صالح ، حين كان متوجهاً لجلب الماء . واذ بمناد ينادي : أدركنا العسكر .

كنا نجهل زحف الجند من الشمال والغرب . انسحبنا بسرعة من بين الفرجات ، وما كدنا نصل آخر ثغرة حتى شاهدنا الجند وقد احتلوا دار نعمان التي أجهزوا فيها على جرحانا ، واصبحت المسافة بيننا وبينه ستين متراً ، وارغمنا على القتال وجهاً لوجه ، ولم نتمكن من الانسحاب الا من الطريق الشرقي الجنوبي ، وارتفاع موقعنا ٤ أمتار وتحته خربة . دافعنا بالمسدسات . طُوِّقنا من الجهة الشرقية ايضا ، فاستبسلنا بدفاعنا ، واستشهد منا خمسة رجال . بقينا ثمانية ، والعدو يقذفنا بنار حامية من الغرب والشرق . فيا لهول الموقف .

استشهاد النساء

النسوة تحت رحمة النيران : استشهدت بنت أخت أحمد زاكي واحدى قريباتها . واستشهد الشيخ يوسف بينما كان يذود عنهن وكان يبعد ستة أمتار عن موقعي ، فولولن ، فاضطررت الى الرجوع لإنقاذهن وحمايتهن تحت هطل الرصاص . كنت وكأني في وسط بركان تتقاذفني حممه . ومرميات الشيخ زين تعمل بأقفيتنا . أسرع لنجدتي كل من ولد اختي وفياض بو صالح وحسين رضا وعلي القاضي . المسافة بيننا وبين العدو (٥٠) متراً . استشهد الشيخ يوسف زين وابراهيم العسل . لكن النسوة انقذن وكانت اعجوبة . وهذا منتهى البسالة والفتوة .

وصول طليعة النجدة : وفدت طليعة النجدة بقيادة زيد بك وصياح بك من جهة حاصبيا ، بينما كان الجند ينحدر من ظهر المنشار . اشتبك زيد مع الجند وساندته قوة شكيب بك وانقذت (بكيفا) كما اشترك فارس مفرج في المعركة . بعد أن هدأت عاصفة الحرب ، اجتمع الثوار في مزرعة (الفاقعة) وقرر القادة اعادة الكرة واسترداد القلعة .

مصادر الثورة

مقتضبة من مذكرات فضل الله بك :

٢٩ تشرين الثاني ٩٢٥ الموافق ١٠ جمادى الأولى عام ١٣٤٤

اجتمع كل من زيد بك وصياح بك والأمير حسن ، فقرروا ابقائي محافظاً على الأمن ، وسافروا في ١٠ كانون الأول : حلقت ثلاث طيارات في سماء حاصبيا وقذفت قنابلها ، واستمرت على هذا المنوال حتى يوم السبت .

١٤ كانون الأول : زحف العدو نحو الجديدة بقوة مؤلفة من ٣٠٠ مقاتل نظامي ، و١٠٠ متطوع ماروني ، ومدفع جبلي .

١٨ كانون : زحف العدو من ظهر الأحمر الى لباية بقوة مؤلفة من ٧٠٠ مقاتل و٥٠ متطوعاً ونضيدة ونصف جبلية (بطرية - ن) .

التدابير الحربية - عقد اجتماع حضره كل من شكيب بك وسامي بك فقررا الزحف على القنيطرة بعد ان علم شكيب من النذير بأن خطة الجيش احتلال المجدل .

الزحف على حاصبيا - زحف شكيب واسعد كنج بـ ١٥٠ ثائراً للذود عن حاصبيا . وحين وصلوا عرنة علموا بأن قوى العدو اتجهت نحو الشوكتلية بعد ان قضوا الليلة السابقة بحرب في جوار حاصبيا .

مهاجمة لباية - هاجم الثوار لباية بقوة مؤلفة من ١٠٠ ثائر .

الغنائم - ٢١ بغلاً و١٦ بندقية ورشاشتان .

الخسائر - كانت خسائر الثوار اربعة قتلى . وخسائر الجند ٤٦ قتيلاً . وفي اليوم الثاني طوق الجند ومعهم سبع دبابات الثوار ، إلا ان الثوار دحروهم وطاردوهم حتى الشحار .

يوم السبت - هاجم الثوار الجند في الشحار وفي زمارينة والعوجا وغنموا منهم ٧ رشاشات و٢٤ بندقية ، وسقط منهم ما لا يقل عن ٣٢ قتيلاً . ولكن قلة المجاهدين واهتمامهم بنقل أسرهم ، وتدفق نجدات العدو ، أرغمتهم على الانسحاب الى الشبعا ، وفي الساعة السادسة عربية صباح السبت احتل الجند حاصبيا .

حروب المجدل ـ في اليوم الثاني التحق ثوار حاصبيا بقوى المجدل ، فدحروا الجند حتى المنصورة واخرجوهم منها قسراً .

يتبين للقارىء الكريم ان ثوار المجدل كانوا حاربوا نصف يوم في حاصبيا وغادروها للدفاع عن المجدل ، فوصلوها بعد طلوع الشمس ، فكان الموقف الحربي كما يلي :

تمتد جبهة الثوار في المجدل من (البويب ـ السكرة ـ الخاروط ـ حتى جوار ثب والعدو من سلقاطع ـ برك طراد ـ المنقوعة .

ولما عرفوا مكان فؤاد امتطوا خيولهم منحدرين نحو المرج ، فوصلوا المخاضة واجتمعوا هناك مع قوة عكاشة الباسل . اشتبكوا مع الجند واوقفوهم ، وعلى اثر وصول نجدة محمود كنج عادوا وهاجموا الجند من الجهة الشرقية المعروفة بالقاطع ، والتحموا مع العدو وأجلوه عن متاريسه . فانسحب الى الخطوط الخلفية . قتل الشجاع محمود كنج ثلاثة جنود في متاريسهم . جدد الثوار هجومهم على الخط الخلفي ، وقذفت المدفعية الجبهة بقنابلها بشكل متواصل . وبعد ربع ساعة من تجديد الهجوم الثاني ، تمكن محمود كنج من الوصول الى الخط الثاني ، ولكنه استشهد بعد ان استولى على اول متراس . (محمود كنج بطل من الأبطال الجبارين ، ومن اشجع شجعان الاقليم شهد معاركه كلها ، وله يعود الفضل في إحراز النصر ، وهو الذي زج الاقليم في اتون الثورة ، وقاد ثواره من نصر الى نصر تغمده الله برحمته) .

استشهاد البطل فؤاد سليم

عقد اجتماع بمجدل شمس ، حضره من القادة كل من فؤاد بك سليم وزيد بك وصياح بك وفضل الله بك والامير حسن ، قرروا فيه الدفاع عن المجدل . زحفت قواهم واشتبكت مع الجند حين كان متمركزاً في بركة رام ، ولما اشتدت وطأة هجومه ، قرروا فيما بينهم الانسحاب من الجبهة الحورانية حين تقدمت النجدات من جهة البويب . ومن الغرب من طريق مسعدة كانت قوى العدو الغربية زحفت عن طريق القنيطرة خشية من الاحداق ببقية الجند .

ثبت فؤاد بك وأبت عليه فتوته العنترية الانسحاب ، وصمد بجانبه ١٤ بطلاً من عصابته بينهم سليمان مرعي ، وسعيد اليماني ، وحسن احمد ، ومحمود الزرعاوي ، وابراهيم حمود وغيرهم . دخل قسم كبير من العدو المجدل ، واستمرت الجبهة الغربية والشرقية وهما جبهتا فؤاد واسعد في الدفاع . اندحر العدو امامهما ، وتمكنت النساء والأطفال من الانسحاب من خلال الثغرتين . استشهد الشجاع محمد كنج .

واندحر العدو من أمام قوة البطلين ﴿ **وكَمْ مِن فئةٍ قليلةٍ غَلَبت فئةً كثيرةً بإذن الله** ﴾ وذلك بفضل ثباتهما .

انسحب معظم الثوار ، واحتلت بعض قوى العدو المجدل من جهات أخرى ، فيما كانت الشمس تودع هذا الكون بلونها الأصفر الشاحب . أمر البطل اخوانه بالاضطجاع خوفاً عليهم من الفناء . وفيما هو يهم بامتطاء صهوة جواده إذ بقنبلة طائشة تصيب احد اخوانه من بلدة حضر كان يراقب العدو ، فتناثرت شظاياها واصابت احداها مقتلاً من البطل فؤاد سليم فاستند على جنب جواده ثم خارت قواه ومال ، ثم سقط على الأرض ، وطلب ماء ، فحضنه حمد صعب وكانت كلمته الأخيرة قول الشاعر : « ومبلغ نفس عذرها مثل منجح » .

وهكذا صعدت روح بطل من خيرة الابطال تغمده الله برحمته وأسكنه جنانه .

نبذة عن الشهيد فؤاد ـ ولد في بعقلين عام ١٨٩٣ ، وتخرج في الكلية الاميركية واشترك بالثورة العربية عن طريق القريّات مخترقاً الصحراء . ترقى الى رتبة رئيس ، واستخدم بالدرك الفيصلي وله مواقف مشرفة في حروب العصابات في بلاد البقاع . اشتهر بالثورة الكبرى في أعمال النسف . وبعد مغادرة مليكه المرحوم سوريا توجه للشرق العربي ، وتنقل في الوظائف حتى حاز رتبة قائمقام ، وعين رئيس اركان حرب الجيش ، وقطن القاهرة على أثر مغادرة حزب الاستقلال الاردن ، وامتشق القلم مدافعاً عن القضية الكبرى ، حتى اذا نشبت الثورة اخترق صحراء سيناء القاحلة على ظهر هجين ، واجتاز نهر الشريعة سباحة ودخل الأردن خلسة ملتحقاً بالثورة وخاض معاركها الدامية ، ثم تسلّم أركان حرب حملة الاقليم ، فشهد معاركها الهائلة ، وقضى نحبه شهيداً في ميدان المجد .

لقد كان فؤاد بطلاً من الأبطال الحلاحل الغر الميامين ، ومن خيرة رجال القضية ، نافح عن كيان وطنه بسيفه وبقلمه وبدماغه . فهو طليعة ضباط الكفاح ، وأول من توج مناشيره بالآية الذهبية الدين لله والوطن للجميع . كان مثالاً حيا للتضحية وانموذجا للبطولة ، ضحى بنفسه وبوظيفته وبماله وبكل عزيز لديه في سبيل حرية سوريا خاصة ، وفي سبيل استقلال العرب عامة . ويعود الفضل في توسيع نطاق الثورة لجهوده الثمينة ، فإذا بكينا فؤادنا ، فإنما نبكي العلم والتضحية ، نبكي الفتوة العنترية ، والبسالة العدنانية . نبكي الوفاء العربي والجود الحاتمي . نبكي الإباء والشمم . ونبكي الطموح والكرم . نبكي الهمة القعساء ، والشجاعة الخالدية .

لقد فقدنا قائداً مدرباً حكيماً محنكاً ، وان الزمان بمثله لضنين ، رحم الله زميلي البطل واسكنه فراديس جنانه .

ألا فليسلك شباب الوطن نهجه . وسلام الله عليك يا فؤاد يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا .

زميلك في الجهاد

محمد سعيد

المجاهد محمود بك رعد

كبير انجال المرحوم الشهيد الزعيم حسن آغا رعد

استشهد مؤخراً في مدينة يافا حيث لم يشمله العفو مع عموم انجاله

ولد في قصير حمص عام ١٢٩٧ هـ ، واتم دراسته في مدارس حمص الابتدائية والثانوية ولم يتمم علومه نظراً لحاجة والده اليه حيث سلمه زمام عمله ، وكانت تدار قرى والده واملاكه الشاسعة من قبله لأن والده رحمه الله كان يقضي معظم اوقاته في حل الخلافات الناشئة بين العشائر في تلك الربوع على طريقة العشائر المعروفة . وكان رحمه الله صاحب السيطرة الوحيدة ، والسلطة الواسعة في لواء حمص . وكان الحظ آنئذ باسما له ، وكلمته هي العليا في تلك الانحاء ، يسري مفعولها على جميع تلك البلاد والقبائل البدوية المخيمة . كان رحمه الله محبوباً لدى الجميع ، لما عرف عنه من جود وكرم حتى

كان ينفق جميع وارداته من كافة قراه المتعددة في سبيل الله . وقد كانت مضافته العامرة مأوى الغادي والصادي ، وكان نجله الأكبر الذي ذكرنا ترجمة حياته في هـذه العجالـة يتصرف بجميع شؤون والده الاقتصادية والادارية تصرفاً مطلقاً ، لأن هـدف والده في المستقبل أن يكون ولده هو خليفته ، وان يكون رب البيت ، نظراً لدماثة أخلاقه وبعد نظره ، وحسن تصرفه في شؤون والده الاقتصادية والعمرانية .

وقد منحه هبة قدرها ١٥ الف ليرة ذهبية عثمانية ، ولكن لسوء حظ محمـود بك رعد فإن هذه المبالغ الضخمة ذهبت طعمة للسلطة الافرنسيـة التي نهبت أثاث بيـوتهم وهدمتها بالديناميت ، وتركتها اثراً بعد عين . وكان صاحب التـرجمة قـد قام بمشـاريع اقتصادية هامة تتعلق بشخصه من شراء مزارع على ضفاف نهر العاصي تضاهي مزارع والده المسماة زور الموح وأبا حوري والنهرية ، كما زج بنفسه في خضم التجارة . وقـد تولى وظائف هامة في الحرب العامة وشغل وظيفة معاون مدير مـداخر الحبـوب في لواء حمص حين كان مديرها السيد عبـدالله الكزبـري عضو بلديـة دمشق الحالي . وانتخب عضواً في بلدية القصير ، وكاد يرشح لـرئاستهـا ، ولكن الأقدار هـدمت مجد بنيـانه ، وتحطمت آماله الذهبية باصطدامها بصخرة الثورة الدامية ، فقضت على ثروته الخاصـة وثروة أبيه العامة ، واثبت باشتراكه في الثورة حبه لوطنه (اشترك بصحبة نسيب البكري في معظم وقائع الغوطة وقلمون فقط) . كما اشترك بوقائع الهرمل وحمير حتى خمدت نيران الثورة ، وانسحب اثناء انسحاب نسيب بك وغيره من المجاهدين .

ومن ثم نزح لجبل الدروز والأزرق ، ومنها اتى عمان ومصر ، وأخيراً جعل سكنه يافا ـ فلسطين الى يومنا هذا ، لأنه من الذين استثنتهم السلطة الافرنسية بقائمتها (ب) في البلاغ الرسمي . وتقدر خسائره المادية بنحو ٤٠ ألف جنيه ذهباً كما ذكر في جـدول الغرامات ، وحجزت السلطة الافرنسية جميع أملاك والده واملاكه الخاصة مقابل الديات والغرامات ، ولم تزل تستغلها لمصلحتهـا وتستوفي وارداتهـا ، بعد ان حـرمت اصحاب الحق المشروع من الانتفاع منها حتى هذه الساعة .

المحتويات

لماذا هذا الكتاب ٥
الاهداء ٦
تقديم ٧
ثورة حماة ٩
أبطال القوميات ١٩
أشهر رجال الثورة ٢٣
الاجتماع السري الأول لاعلان الثورة ٢٧
وثيقة تاريخية ٥٧
التغلغل بالغوطة ٦٧
بوادر الاختلافات ١٠٧
الزحف على الغوطة ١٣٦
سجل الخلود ١٥٥
حروب الاقليم الهائلة ١٦٧
المقدمة ١٦٩
الثورات المستقلة ١٧١
بوادر الثورة ١٧٥
صورة المنشور الذي وزعه زيد الأطرش على النصارى ١٨٦
بلاغ فرنسوي رسمي ١٩٧
الزحف على مرجعيون ٢٠١
تشكيل حكومة حاصبيا ٢١٥
صورة المنشور الثاني ٢٢٣
استشهاد النساء ٢٣٤



أبو عبده سكر وبجانبه عز الدين الجزائري والى يمينه الأستاذ جميل شاكر الخابخي والى يساره السادة سعيد بك العاص وهو جريح وأبو عبده فارس وأحمد اللحام و وجدي فريد

٢٤٢



سعاد ابنة القائد
سعيد العاص



المؤلف وطفلته سعاد العاص والدة المهندس
سعيد الترك



سعيد العـاص يرتـدي بزة الجيش العربـي
الأردني عام ١٩٢٤

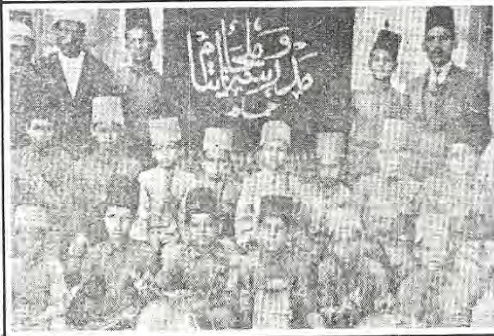
٢٤٣



في الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥
من اليمن : سعيد العاص ورفيقه في الجهاد
نزار مؤيد العظم



المجاهد الكبير الأمير عادل ارسلان



ملجأ ومدرسة أيتام حماة أول معهد أسسه المؤلف



ابن فلسطين البار المجاهد الشجاع
راغب بدران

٢٤٤



من اليسار الشهيد البطل الأمير عز الدين الجزائري والمؤلف

٢٤٥





القائد العام للثورة السورية عطوفة سلطان باشا الأطرش والزعيم السياسي الكبير معالي الدكتور عبد الرحمن الشهبندر

٢٤٦



الشهداء زكي الحلبي والخباز وحسن رعد وأنجالهم

٢٤٧



الشجاع علي عبيد

٢٤٨

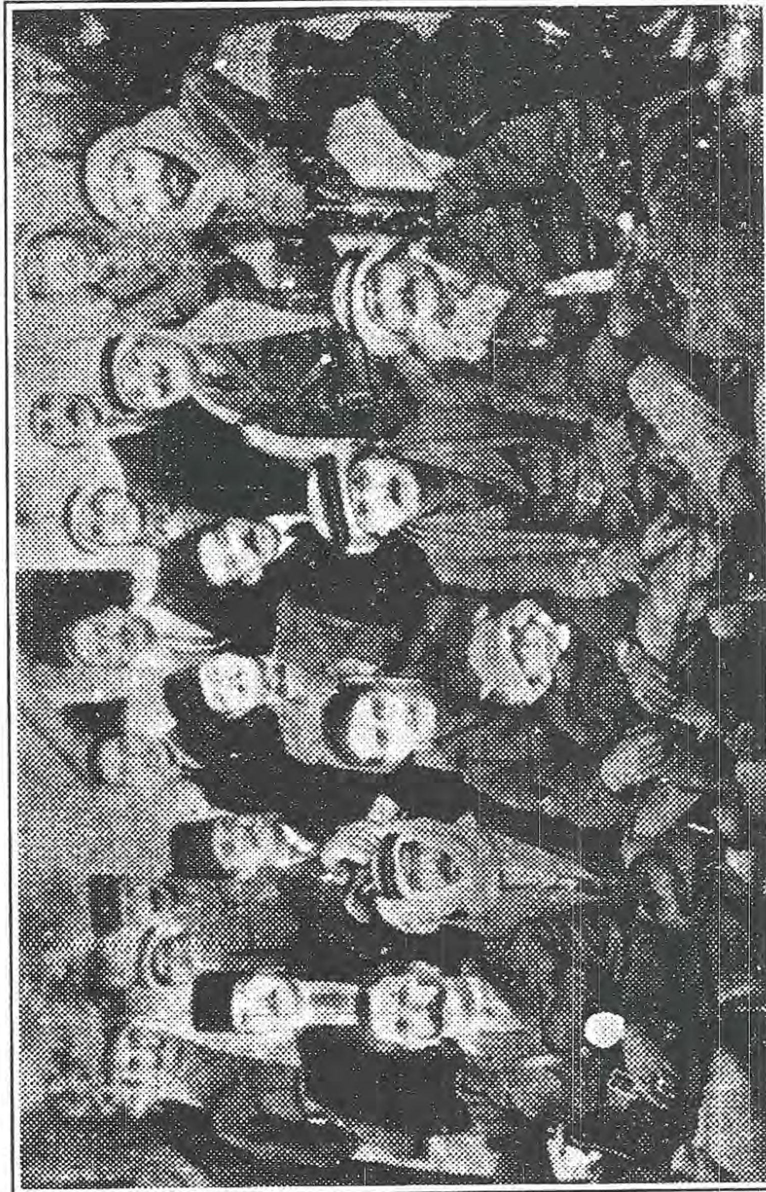


الشجاع محمد بك عز الدين

٢٤٩



بطل ثورة قطنا أحمد بارافي الكردي



الشهيد فؤاد سليم والمؤلف ونخبة من الوطنيين السادة الأستاذ المظفر ونبيه العظمة وعوني عبد الهادي وغيرهم

٢٥٦



أسرة الشهيد حسن رعد وأنجاله الشهيد محمد حسن وأخوانه المجاهدين عبد الكريم ونجيب أبي الهدى وأبي الخير



في أعماق السجون الوجيهان الثائران السيدان عبد القادر رعد أبو السعود والثائران السيدان نجيب رعد وأبو الهدى رعد



المجاهد الشجاع منير الريس

٢٥٣



من اليسار البطل فوزي القاوقجي والدكتور أمين رويحة

٢٥٤



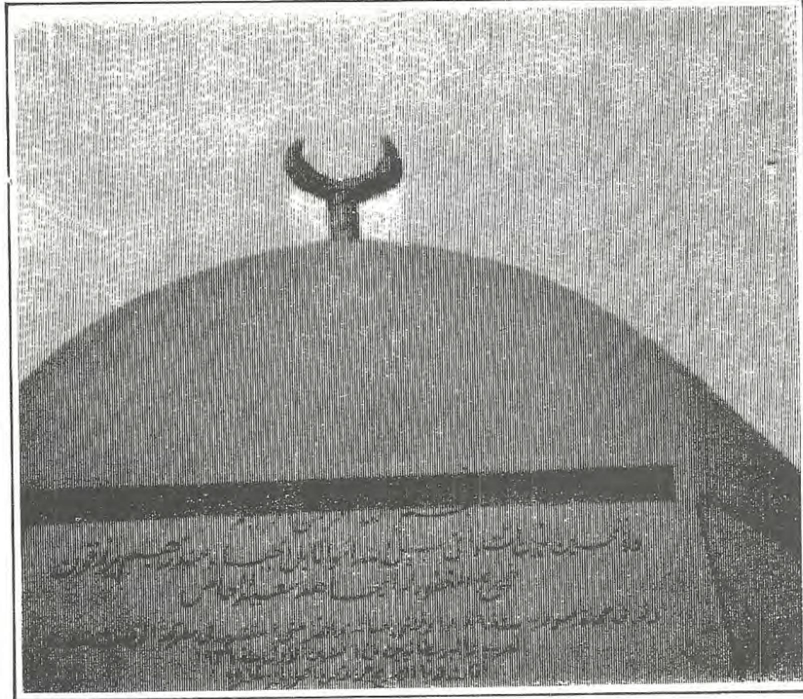
فؤاد سليم يرتدي بزة ملازم أول في الجيش السوري - دمشق ١٩٢٠

٢٥٥



قائد الغوطة وضواحيها أركان الحرب مصطفى وصفي بك

٢٥٦



ضريح الشهيد سعيد العاص في قرية الخضر بين بيت لحم والخليل في فلسطين